خطب نهج البلاغة

بحث في الدلالة

رسالة تقدم بها

أحمد هادي زيدان نصيف

إلى مجلس كلية التربية-جامعة بابل, وهي جزء من متطلبات نيل درجة (ماجستير) في اللغة العربية وآدابها(اللغة)

بإشراف الأستاذ الدكتور

صباح عباس السالم

١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م

SPEECHES OF NAHJ AL BALAGHA
A Research in Semantic

A thesis submitted by

Ahmed Hadi Zaydan Nsayyif

To the council of the college of education - Babylon university

In partial fulfillment for requirement of the degree of

MASTER in Arabic language and its literature (linguistic)

Supervised by :

Prof. Dr. Sabah Abbas Al Salim

١٤٢٧ A. H. **٢٠٠٦ A. C.**

In the Name of Allah , the Most Beneficent , the Most Merciful

ABSTRACT

This is a research in a language semantic in (Speeches of Nahj Al balagha) including a production and a prelusion and three chapters then a conclusion later a list (research tributaries)

Production included a show of what the research had contained from chapters and titles with showing the procedure that was depended in the research in general , then in each chapter in particular , the production also included some aims that the research attempt to achieve .

The prelusion was presented briefly for some semantic themes in human heritage and it took as an example four nations that were influenced by works which are within the depth of semantic lesson . Those nations are people of Mesopotamia , Greece , Indians and Chinese . The semantic works for those nations were presented in the prelusion in shapes of samples such as forming the dictionaries whether those of double language (face each other) or meanings dictionaries in the same language and such some semantic divisions and the themes that dealt with one of holy books in explanation and interpretation .

First chapter included (semantic and the themes of semantic science in Arabic heritage in light of the modern lingual . This chapter dealt with the meaning of the origin (dallala) through linguistic dictionaries , Holy Koran and the prophet's speech then it presented a number of semantic themes in Arabic heritage , the research aimed – as it can – in this chapter to connect that heritage with modern lingual lesson data for pacing the modern to the point it reached then re-creation the spirit in ancient to be a means that fits to study the language today . The research was not limited to show only semantic themes in Arabic heritage on specific group but it showed many different groups for those themes such as the scientists of doctrine origins , philosophers , rhetoricians and linguists .

The second chapter – it is in application situation of what was achieved - , it was titled (The levels of language in speeches of Nahj Al balagha … shapes – indications , in this chapter the procedure required to divide the language in (speeches of Nahj Al balagha) into four divisions , they are (putting vowels , sounds , forms , and sentences) then showing if one of those divisions has an element to indicate meaning or something from the meaning . The researcher tried in some themes of this chapter helping by old and modern linguistic sight to analyze the language in speeches of Nahj Al balagha as semantic analysis .

The third chapter – the last one – was under the title (semantic relations or relations of meaning in speeches of Nahj Al balagha) . That title included four relations which are : (antithesis) , (common verbalism) , (synonymy) and (contrast) . The researcher in this chapter depended on a descriptive method to prove what are available of these relations in (speeches of Nahj Al balagha) and

negate what existing in those speeches – The research – in the third chapter – attempted to record what actually registered of those phenomena (relations) in (speeches of Nahj Al balagha) .

Then the research finished with a conclusion that give some results briefly that the researcher aimed to with follow the semantic in (speeches of Nahj Al balagha) , later after conclusion , it came the tributaries of research which are narrative included ancient and modern texts that the researcher depended on in his work .

At last I would like to thank God for his helping and guiding to complete this research , also I thank the supervisor Prof. Dr. Sabah Al Salim for every thing he had done for me .

Thanks for all who helped me .

AHMAD HADI ZAYDAN

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إقرار المشرف

أشهد أن رسالة طالب الماجستير (**أحمد هادي زيدان نصيف**) الموسومة بـ(**خطب نهج البلاغة- بحث في الدلالة**) أعدت بإشرافي في قسم اللغة العربية, كلية التربية – جامعة بابل. واستوفت خطتها وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة ماجستير في اللغة العربية وآد

المشرف

الإمضاء :

الاسـم: أ. د. صباح عباس السالم

التاريـخ : / /٢٠٠٦

بناء على التوصيات المتوافرة, أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

الإمضاء:

الاسم: أ. م. د. عامر عمران علوان الخفاجي

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ : / /٢٠٠٦م

الموضوع رقم الصفحة

تقديم. أ- د

تمهيد: علم الدلالة... تاريخ وتطور. ١-٢٠

مباحث دلالية في التراث الإنساني: ٦

أولاً: حضارة وادي الرافدين. ٦- ١٢

ثانياً: الفلسفة اليونانية. ١٣-١٦

ثالثاً: اللغة الهندية المقدسة. ١٦-١٩

رابعاً: المعجم في الصين. ٢٠

الفصل الأوّل: الدلالة ومباحث علم الدلالة في التراث

العربي في ضوء اللسانيات الحديثة. ٢١- ٥١

أولاً: الدلالة:

أ. الدلالة في المعاجم العربية. ٢٢

٢٢-٢٣

ب. الدلالة في القرآن الكريم.٢٣-٢٤

ج. الدلالة في الأحاديث النبوية. ٢٤-٢٦

ثانيا: مباحث علم الدلالة في التراث العربي في ضوء اللسانيات الحديثة: ٢٦-٥٤

١- مباحث علم الدلالة عند علماء أصول الفقه. ٢٩-٣٤

٢- مباحث علم الدلالة عند الفلاسفة. ٣٤-٣٨

٣- مباحث علم الدلالة عند البلاغيين. ٣٨-٤١

٤- مباحث علم الدلالة عند اللغويين. ٤١-٤٩

علم الدلالة... نظرة حديثة. ٥٠-٥١

الفصل الثاني: مستويات اللغة في خطب نهج البلاغة

الأنماط... الدلالات ٥٢-٢١٤

أولاً: دلالة الحركات في خطب نهج البلاغة. ٥٣- ٦٨

ثانيا: إيحاء الأصوات في خطب نهج البلاغة. ٦٩-٨١

ثالثا: دلالة الصيغ الصرفية في خطب نهج البلاغة:

١. دلالة صيغ الأفعال:

أ. الثلاثي المجرد.

ب. الثلاثي المزيد.

٢. دلالة صيغ المصادر. ٨٢-١٤٨

٨٤-١٤٠

٨٤

٩٦

١٤٠

رابعاً: دلالة الجمل في خطب نهج البلاغة: ١٤٩-٢١٤

أ. جمل النفي.

ب. جمل الشرط.

ج. جمل التوكيد.

د. جمل الاستفهام. ١٥٢-١٦٣

١٦٤-١٧٨

١٧٩-١٩٢

٢١٤-١٩٣

الفصل الثالث: العلاقات الدلالية في خطب نهج البلاغة. ٢١٥-٢٨٥

أولاً: التضاد:

١. التضاد في الأسماء.

٢. التضاد في الأفعال.

٣. التضاد في الصفات. ٢١٨-٢٣٥

٢٢٠-٢٢٥

٢٢٥-٢٣٢

٢٣٢-٢٣٥

ثانياً: المشترك اللفظي ٢٣٦-٢٤٧

ثالثاً: الترادف. ٢٤٨-٢٦٥

رابعاً: التقابل:

أ. التقابل في الألفاظ المفردة.

ب. التقابل في الجمل.

ج. التقابل في الصور.

د. التقابل الموقفي. ٢٦٦-٢٨٦

٢٦٨-٢٧٥

٢٧٥-٢٧٦

٢٧٦-٢٧٨

٢٧٨-٢٧٩

خاتمة. ٢٨١-٢٨٢

روافد البحث. ٢٨٤- ٣٠٧

ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية. A- B

مشرفاً رئيساً

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم...

الحمد لله ربِّ العالمين, والصلاة والسلام على من اصطفى من الخلق, وانتجب من الورى, محمدٍ وآله أولي الفضل والنهى, وعلى الصحب ممن ارتضى، وبعد...

ليست اللغة إلا نظاماً يضم أنظمة أخرى لا تقل عن نظامها أهمية ودقة, وإذا جاز لوصف أن يعبر عن علاقة ذلك النظام بتلك الأنظمة, فإن وصف(نظام الأنظمة) يصدق على نظام اللغة. وإذا كان الحال كذلك فلا بد- لتعرّف اللغة- من معرفة أنظمتها, أو معرفة القوانين والسنن التي جعلت اللغة توصف بذلك الوصف, وما البحث في الدلالة إلا مسعى يتوخى الوصول إلى تلك المعرفة, وتسجيل الثابت والمتغير من القوانين والسنن التي تشهدها، وقد لا تبدو في ذلك الأمر مجازفة, ولكن المجازفة تتأتى عندما يكون هدف ذلك المسعى هو (خطب نهج البلاغة).

ولما كان البحث في(خطب نهج البلاغة) فإن في نهج البلاغة وخطبه غنىً عن هذا البحث في الحديث عنهما أو عن صاحبهما, ذلك لأن هذا البحث هو(بحث في الدلالة) أو هو بحث في دلالة اللغة على وجه التحديد وهذا ما اقتضى أن تقام أركانه على تمهيد وثلاثة فصول.

أما التمهيد فقد تضمن عرضاً تاريخياً موجزاً للجهود الأولى التي حاولها الإنسان في مجال الدلالة, بدءًا من السعي لاكتشاف وسيلة توصل ذلك الإنسان بمحيطه, وانتهاءً بصناعة المعجم التي هي خطوة متقدمة في العمل الدلالي. ولم يتجاوز البحث- في تمهيده- ما تناثر هنا وهناك من مباحث دلالية ضمّها تراث الفكر الإنساني القديم, إذ قد تجيء تلك المباحث بين أثناء حوار له طابع الفلسفة التي عرفت بها أمة اليونان، أو قد تجيء المباحث في كتب التفسير أو المعاجم التي أنتجها عقل وازعه التدين والحرص على(الفيدا) كتاب الهنود المقدس، أو قد تجيء المباحث على شكل معاجم أقيم بناؤها أصلاً على أساس دلالي, وتلك هي معاجم المعاني التي دفع إليها الحس اللغوي لدى الصينيين.

وأما الفصل الأول من البحث فقد انتظمه العنوان (الدلالة ومباحث علم الدلالة في التراث العربي في ضوء اللسانيات الحديثة) واحتوته وقفات عدة, بدأت من تتبع معنى الأصل(دلل) في معاجم اللغة, وفي القرآن الكريم, وفي الحديث النبوي الشريف, ومرت برصد البدايات

التي شكلت بعضاً من ملامح الدرس الدلالي العربي, مع ربط كلِّ معطى من معطيات تلك الملامح بما توصَّل إليه الدرس اللساني الحديث, وما ذلك إلا مجاراة للآخر في ما وصل إليه من جهة, ومن جهة أخرى بعث الروح في ذلك الإرث الذي كثر الحديث عنه ولم يجد هو إلى الواقع سبيلاً, لذلك عرضه هذا البحث على ذلك الشكل ليستلَّ منه منهجاً يصلح لأن تدرس اللغة من خلاله, ومن ثم تُبعد اللغة نفسها بوساطته عن مشكلات الفلسفة والمنطق, وعن تعقيدات الفقه والأصول. فالغرض إذن من عقد الفصل الأول هو استخلاص علم دلالة لغوي من التراث العربي, يكون الهدف منه وصف دلالة اللغة, أو على وجه التحديد وصف دلالة اللغة في(خطب نهج البلاغة) فالبحث- هنا- بحث في دلالتها اللغوية لا غير. ثم تنتهي وقفات هذا الفصل بنظرة حديثة إلى علم الدلالة من حيث النشأة والدواعي التي دعت إلى ظهوره.

وأما الفصل الثاني- وهو محل تطبيق ما نُظّر له- فقد تقدمه العنوان(مستويات اللغة في خطب نهج البلاغة... الأنماط- الدلالات) إذ حَتَّمَ المنهج الذي استخلص تحليل اللغة في تلك الخطب إلى مكوناتها, ومن ثم بيان ما كان من تلك المكونات عنصراً ذا أثر في الدلالة, أو في شيء من الدلالة على المعنى, فكان أن بدأ البحث- في هذا الفصل- بـ(دلالة الحركات في خطب نهج البلاغة) ثم (إيحاء الأصوات في خطب نهج البلاغة) ثم (دلالة الصيغ الصرفية في خطب نهج البلاغة) ثم أخيراً وقف البحث عند (دلالة الجمل في خطب نهج البلاغة)، إذ اتخذ في فقرته الأخيرة أربعة أساليب نماذجَ يدل نظم تراكيبها على معان نحوية دلالية, أمثال(النفي) و(الشرط) و(التوكيد) و(الاستفهام)، أو على معان مجازية خرج الأخير إليها, ودلَّ عليها السياق في خطب النهج. ولم يَفت البحث- في أثناء هذا الفصل- محاولة تأصيل ما يُذكر, ومن ثم وصل ذلك الأصيل بالحديث بغية الاستعانة بالاثنين معاً على تحليل اللغة دلالياً.

ثم يأتي الفصل الثالث وهو الأخير من هذا البحث لتُدرس عيناته تحت عنوان (العلاقات الدلالية في خطب نهج البلاغة) فكان أن ضمَّ هذا الفصل أربع علاقات هي (التضاد) و(المشترك اللفظي) و(الترادف) و(التقابل)، وقد تمَّ عرض بعض تلك العلاقات بوصفها ظواهر يكشف عنها تتبع ورودها في نص معين- وهو(خطب نهج البلاغة) في هذا البحث- وهذا ما جنبها, ثم جنب البحث فيها الخوض في قبولها ورفضها، أو إثباتها وإنكارها، فذلك كله مما يستجلبه تلمس تلك الظواهر في نصوص اللغة عامة, وبين هذا وذاك فرق, ولكل منهما منهج.

ثم خلص البحث بعد ذلك كله إلى خاتمة توجز من نتائج البحث في خطب النهج أهمها, ومن الوقوف على دلالة اللغة فيها خلاصته. ثم أفضى البحث بعد خاتمته إلى قائمة (روافد البحث) التي هي في حقيقتها مكتبة رجع إليها وراجعها البحث كلما كان يَعنُّ له شيء.

ولا يفوت هذا البحث- قبل أن ينهي تقديمه- أن يشكر مَنْ يشكره الشكر نفسه الأستاذ الفاضل الدكتور صباح عباس السالم الذي كانت له أيادٍ يُعد منها هذا البحث, ثم لا يعددها البحث وصاحبه, فله ولأياديه من الشكر شكره عرفاناً وتجلّة.

تمهيد

علم الدلالة... تاريخ وتطور

لم يختلف حال الدراسات اللغويّة عن غيرها من الدراسات التي تناولت مجالاً ما من مجالات الحياة، من حيث صعوبة الوقوف على البدايات التي انطلق منها هذا الجانب أو ذاك، بل ربما يبدو الأمر معقداً أكثر حين يُلتمس ذلك عند اللغة، وأكثر تعقيداً عند ركنها(اللامرئي) أي المعنى.

وعلم الدلالة في أبسط صوره هو تلك الدراسة التي تجعل من مضمون اللغة(المعنى) محوراً لأبحاثها، وبتعبير آخر هو علم دراسة اللغة من الداخل. وبناءً على هذا المفهوم المتواضع جداً لذلك العلم، ستحاول هذه الصحائف التمهيديّة أن تقف عند ملامح بارزة من الدراسات الدلالية في التراث الإنساني، أو على وجه التحديد عند الدراسات التي شكّل منها(المعنى)عنصراً ذا بال.

إنّ أوّل ما يلفت نظر من يحاول أن يؤرخ لعلم الدلالة هو تداخل ذلك العلم مع علوم مختلفة- بقطع النظر عن التفاوت الذي يوليه علم وآخر لذلك الجانب- كذا الأمر في امتداد جذور ذلك العلم في أعماق التاريخ حتى لكأنّها قد بدأت مُذ بدأ الإنسان نفسه التفكير فيما يدور من حوله محاولاً استكناهه والوقوف على مضامينه. ولم يبق الحال على ما هو عليه، إذ إنّ الإنسان- بطبعه- يبحث عما ييسر له حياته، ويجعله أكثر انسجاماً مع محيطه، فقادته فطرته- استجابةً للواقع الذي كان يحياه- إلى أن يترجم ما ينتابه من حالات إلى رموز وإشارات تشبع نهمه في التعاطي مع البيئة التي يتعامل معها، فقد "ذهب بعض العلماء إلى أنّ الإنسانيّة ظلت صامتةً لا تتكلم إلا بالإشارة والرموز فترات طويلة، وأنّ التعبيرات اللغويّة التي بقيت على شكل صور وإشارات أو رموز في كثير من الكتابات القديمة، ليست إلا بقايا من عصور التفاهم بالإشارة والرموز"[1]، ومما لا شك فيه أنّ تلك الحقبة في حد ذاتها تمثّل نواة التفكير في(المعنى)، وما تلك الرموز أو الإشارات إلا دلائل اختزلت ذلك(المعنى).

ثم يرتقي الإنسان طوراً آخر من حياته لتزداد حاجاته ويزداد تعقيدها، ولتحول الرموز والإشارات التي أومأ بها من قبل دون إدراك مطلبه، فسعى لتعويضها بإدارة أكثر تجريداً للواقع، وأوفى تلبيةً لمراميه، فكانت اللغة- بصرف النظر عن مصدرها أو شكلها الأوّل- وهذا بدوره شكل مرحلة أخرى من مراحل الانشغال بالمعنى، وهي بطبيعة الحال أكثر رقياً من سابقتها، لكونها اختصرت أكبر قدر ممكن من الأشياء والموجودات في أقل عدد من الأشكال, إذ إن اللغة تتأثر في تطورها وارتقائها بعوامل عامة كثيرة, ويعد التغيير(التطور) في المعنى جانباً من جوانب التطور اللغويّ، وهناك أسباب كثيرة لتغيير المعنى، منها الحاجة إلى كلمة جديدة أقدر من غيرها على التعبير عن المقصود[2]، وأن ذلك التغيير الذي يطرأ على المعنى يستلزم هو الآخر تغييراً(تطوراً) في الوسائل التي تؤديه. ومن هنا أصبح همّ الإنسان غير مقتصر على المعنى وحده, وإنّما صار يفكر في تلك العلاقة التي تربط بين المعنى من جهة, وبين ما يُعبّر عنه من جهة أخرى, فابتكر الكتابة التي مثلت تلك العلاقة تمثيلاً جليّاً. ويزداد ذلك الأمر تأكيداً عندما تخبر الآثار والوثائق عن شكل الكتابة في أطوارها الأولى التي امتازت بالتصويريّة, أي أن الأشياء نفسها تحوّلت لدى الإنسان إلى صور تمثّلها أو تمثل قسماً منها، "وذلك أنّ الناس في أوّل الأمر كانوا يرسمون صور الماديات للدلالة عليها فإذا أرادوا أن يدلوا على معنى الأسد رسموا صورة الأسد وإذا قصدوا الدلالة على معنى النخل رسموا صورة نخلة وإذا راموا الدلالة على المعبد رسموا صورة معبد وهلمَّ جرًّا"[3], ثم تزداد بعدُ وظيفة الصور الكتابية فتتجاوز التعبير عن الشيء عينه لتختزل مشاهد حياتيّة أوسع نطاقاً من الأشياء, فمثلاً إذا "أرادوا أن يذكروا أنّ ملك مصر حارب الآشوريين وغلبهم واخذ منهم أسرى رسموا صورة ملك مصر بالعلامة المصطلح عليها ومعه جنود مدججون بالسلاح ورسموا صورة ملك آشور بعلامته المصطلح عليها ومعه جنده بعضهم واقع على الأرض مضرجاً بالدم وبعضهم واقع تحت سنابك الخيل وبعضهم مولون الأدبار ورسموا جملة من الجند مربوطين بالسلاسل يقودهم جندي

---

(١) مقدمة لدراسة علم اللغة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤م: ١٤٠- ١٤١(في هامش ١).
(١) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم- دراسة دلاليّة مقارنة: عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٩٨٥م: ٤٥.
(٢) حياة اللغة العربية: حفني ناصف، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٢م: ٤٧.

مصري"[٤]. وعلى الرغم من الرقيّ الذي بلغته الكتابة في ذلك العهد غير أنّها ظلت قاصرة عن تأديّة المعاني جميعها, والمجردة منها خاصةً, ذلك "لأنّ من المدلولات ما لا صورة له ماديّة كالخوف والحزن والفرح والنسب الإضافيّة والتوصيفيّة والنسب الكلاميّة التي تتصور بين الموضوع والمحمول فكان الخط شيئاً خيراً من لاشيء ثم بدا لهم بعد زمن أن يدلوا على المعاني التي لا صور لها بصور لوازمها كأن يرسموا الدواة والقلم للدلالة على الكتابة، والشَّعْر المسدول للدلالة على الحزن ... وماديات أخرى للدلالة على ملزوماتها"[٥].

وبمرور الزمن تجمعت لدى الناس أعداد من المصورات التي تعكس مدلولاتها, وأصبح من العسير الإلمام بذلك الكم من الأشكال, فعمدوا إلى "اختزال الأعداد الكثيرة للعلامات الصوريّة عن الشيء الماديّ نفسه والاقتصار على بضع علامات قليلة لتمثيل هذا الشيء وتبسيط رسم العلامات"[٦], ولما كان التطور سُنّة ألفها الإنسان قديماً كما يألفها اليوم, فقد استمر هذا التطور في هيأة الكتابة ليأخذ شكل الكتابة المسماريّة التي قُلِّصت علاماتها فيما بعد من(٢٠٠٠) علامة إلى نحو(٨٠٠) في عصور تالية[٧], ولا يدلّ ذلك(التقليص)على استغناء المجتمع عن العلامات التي أهملت بقدر ما يعني أنّ العلامات التي بقيت قد حملت من المعاني نتيجة الاستعمال ما جعلهامغنية عن غيرها من العلامات .

ثم تأتي بعد ذلك حقبة أخرى هي في حقيقتها مزيج من طورين كتابيين, فبينا تستحيل الأشياء إلى رموز, تأتي المعاني من تلكم الأشياء الماديّة لتضاف إلى الرمز فتؤدّي معانيَ مختلفةً, وقد ألجأ إلى ذلك ظهور استعمال العلامات الدالة على الكلمات أي التي تقوم مقام الكلمة مما يصطلح عليه بالكتابة الرمزيّة(Ideogram) أو(Logogram), ثم استعمال المعاني المشتقة من الأشياء الماديّة المدونة بالعلامات المسماريّة, مثل تأدية صورة القدم السومريّة(DU) لجملة كلمات من بينها أفعال مهمة تقترن بعضو القدم والرجل مثل(قام) و(دخل) و(ذهب) و(حمل) و(رفع)[٨].

ولا تخفى أهميّة انتقال التعبيير عن المعاني من الرموز الصوتية إلى العلامات الصوتيّة في تاريخ الكتابة, ثُمَّ في تاريخ الدلالة, إذ شكل المعنى الهاجس الذي شغل حياة الإنسان فجعله يختار له أفضل ما أتيح ليخرجه من حيز المفاهيم والتصورات إلى حيز الرموز والإشارات. وهذا العصر هو عصر انتقال من تلك "المرحلة الرمزيّة إلى المرحلة الصوتيّة(Phonetic) باستخدام أصوات العلامات المسماريّة المشتقة من ألفاظ أشياء مادية للتعبير عن قيم صوتيّة مجردة عن معاني الكلمات المشتقة منها لكتابة الكلمات والجمل كتابة صوتيّة على هيئة(كذا) مقاطع(Syllables)"[٩]، ويظهر في هذا الطور من الكتابة أنّ العلامة المسماريّة لا تشكل دوراً في آخر عهدها, ذلك لأنّ الكلمة قد لعبت الدور عينه مكانها.

ولعلّ أوضح ما يمثل الاهتمام بالمعنى في الأطوار الكتابيّة هو "اختيار طائفة من العلامات المسماريّة تكتب قبل أسماء الأشياء أو بعدها لبيان الصنف الذي تعود إليه أو المادة المصنوعة منها مثل العلامة الدالة على الخشب(GISH) للدلالة على أسماء الأشجار والأخشاب, وهذا ما يصطلح عليه في طريقة الكتابة المسماريّة بالعلامات الدالة(Determinative)"[١٠], واشتهر هذا النوع من الكتابة عند السومريين الذين كانوا "يرفقون كل لفظة بإشارة تحدد صنف مدلولها, وذلك لكثرة الألفاظ المتجانسة لديهم وضيق لغتهم التي يغلب على ألفاظها المقطع الواحد, وبهذه الإشارة التي تكون غالباً كبادئة للكلمة كانوا يحددون صنف الكلمة, إذا كانت اسماً لإله أو لشجرة أو لطائر أو لإنسان أو لمعدن, أو لأي شيء آخر"[١١]. وبمرور الزمن تراكمت الأسماء التي تم تدوينها, فاحتيج مع ذلك إلى علامات تبين هويّة تلك الأسماء, فتراكمت هي الأخرى بحيث أصبح من الصعب الاحاطة بها, وهذا ما حتم

---

(١) حياة اللغة العربية: ٤٧ .
(٢) نفسه: ٤٨.
(٣) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين: طه باقر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢ ، ١٩٨٦م: ١/ ٢٤٢.
(٤) ينظر: نفسه: ٢٤٢/١.
(١) ينظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة- الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين: ٢٤٣/١.
(٢) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة- الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين: ٢٤٣/١.
(٣) نفسه: ٢٤٣/١.
(١) البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيويّ القديم: يوسف الحوراني، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٨م :١٧٣.

جمعها وتدوينها وبيان مدلولاتها, لذلك "ظهرت المحاولات الأولى لتأليف أثبات أو جداول بالعلامات المسماريّة لشرح أصواتها ومعانيها, أي بعبارة أخرى ظهور فن المعاجم"[١٢].

وبدءاً من المحور الذي وقف عنده الكلام السابق, سيعرض ما سيأتي من السطور بعضاً من الملامح العامة لجهود الأمم السابقة في مجال الدلالة, ويقصد بالسابقة هنا, التي سبقت التأليف في المجتمع العربي قبيل الإسلام وبعده.

مباحث دلاليّة في التراث الإنسانيّ:

أولاً: حضارة وادي الرافدين:

تناوبت على بلاد مابين النهرين أقوام مختلفة, ولابدّ من أن يكون لكل واحد منها أثر في تلك البلاد, فتراكم إثر ذلك إرث معرفي متنوع كان منه اللغويّ- بطبيعة الحال- وهو الذي تتضح أهميّته في سعته وتنوعه, لذلك ينبغي بل من الواجب أن يكون ذلك الموروث اللغويّ "في مقدمة الموضوعات التي يجدر أن يضطلع بها باحثونا اللغويّون ذلك لأنّه يدخل في صميم ذلك التراث الضخم المتمثّل في الجهود الجبارة التي قام بها لغويّونا القدماء، وفي مقدمة ذلك المعاجم العربيّة التي تعد بحق من أروع ما أنتجه الفكر العربيّ في ميدان علوم اللغة, وكان أساساً ومنطلقاً في تطوير علم المعاجم (dexicogrphy) في الحضارة المعاصرة"[١٣].

واللافت في أمر(المعاجم) أنّها أخرجت من ميدان الدرس الدلالي الحديث, لكون الأخير يفترض من جهة لوازم غير المعنى لعد هذا الجهد أو ذاك مما ينتمي إليه, ويتضح ذلك جليّاً في تصريح جورج مونان إذ قال: "إنّه من الضروريّ عدم الخلط بين علم الدلالة(Sematique) والدراسة المعجمية(Lexicograghie) هذه التي لا تهتم إلا بوصف فحوى الكلمات كما نراها- في الحالة التقليديّة- حين تسجيلها في المعجم"[١٤], وفي الوقت نفسه فإنّ ذلك الدرس يشترط من جهة أخرى - استناداً إلى ما تشير إليه مادة(دلّ) لغويّاً[١٥]- "توفر عناصر الهدى والإرشاد والتسديد, أي توفر مرشد ووسيلة إرشاد وأمرٍ مُرْشَدٍ إليه. وحين يتحقق الإرشاد تحصل الدلالة"[١٦], والعناصر التي اشترط توافرها هي نفسها "مفاهيم الباثّ والمتقبل ووسيلة الإبلاغ والتواصل وشرطها, ثم المرجع المفهوميّ الذي تحيل عليه الرسالة الإبلاغيّة"[١٧] في علم اللغة الحديث, لذلك لا يتصور أن المفردات في المعجم قد فقدت أركان الدلالة أو عناصرها، فالمعجميّ هو الباث, والقارئ يمثّل المتقبل, والمفردة نفسها وسيلة الإبلاغ, وهي التي تحقق التواصل بين طرفي الدلالة الرئيسيَّيْن (الباث والمتقبل), والمعنى بالإضافة إلى كونه مدلولاً عليه فإنّه يأخذ أيضاً دور وسيط التواصل. وعليه "فإنّ الدراسات المعجميّة- كما قام بها علماء المعجم- لا يمكن إغفالها أو إسقاطها من الجهود الدلاليّة"[١٨]، فالمعاجم إذن مباحث دلالية بقطع النظر عن نوع المادة التي يتم عرضها من خلالها.

وقد حاولت بعض النصوص أن تؤرّخ لفن صناعة المعاجم, فبدأت الحديث على ذلك الفن بالألواح والمسارد التي كشف عنها التنقيب محتوية اللغة السومريّة برموزها المعهودة, وإلى جانبها اللغة الأكديّة التي تتكفّل فكّ طلاسم تلك الرموز وبيان معانيها, أي "أن المعاجم الأولى التي عرفها الإنسان كانت (معاجم ترجمة) أو(معاجم زوجية). أي أنّها تجمع ألفاظ لغة أخرى أجنبيّة, وتعرف بها

---

(٢) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة- الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين: ٢٤٣/١.
(٣) من تراثنا اللغوي القديم- ما يسمى في العربية بالدخيل: طه باقر، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،١٩٨٠م: ٦.
(١) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق- دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: فايز الدايه، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م: ٢٠٤-٢٠٥.
(٢) ينظر: أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عبد الرحيم محمود، مطبعة أولاد أورفان، القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م: ١٣٤.
(٣) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي- دراسة: منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ م: ٢٩.
(٤) نفسه: ٢٩ .
(٥) نفسه: ٣٠.

واحدة واحدة, بطريقة وضع اللفظ القومي المعادل في المعنى أمام اللفظ الأجنبيّ"[١٩], فهي كما يسميها الدكتور صباح عباس السالم(معاجم تقابليّة)[٢٠]. ولكن واقع الحال بالنسبة لبدء التأليف في المعجم يذهب إلى غير ما ذهبت إليه النصوص من حيث أنّ المعجمات قد نشأت مزدوجة اللغة, إذ إنّ هناك مرحلة سبقت تلك المرحلة يمكن أن تعد بحق بداية التصنيف في ذلك اللون اللغويّ, وتلك المرحلة هي (ترميز) اللغة السومريّة نفسها, أي منذ أن وضعت الرموز أمام الكلمات لتوضيح معانيها ودلالاتها, فمن "المعروف أنّ الكتابة المسماريّة كانت من الكتابات المعقدة جداً مقارنة مع الكتابات الأبجديّة. فقد ضمت أكثر من خمسمائة[كذا] علامة مسماريّة في طورها المختزل وكانت تضم أضعاف هذا العدد قبل ذلك. وكان لكل علامة أكثر من قيمة صوتيّة واحدة إضافة إلى معاني العلامة الرمزيّة المعقودة, لذلك اضطر الكتبة القدماء إلى وسائل عدة لتسهيل مهمة تعلّم الكتابة وقراءة النصوص, فاستخدموا العلامات الدالة التي كانت توضع قبل أو بعد الأسماء للدلالة على ماهيتها وصنفها, كأن وضعوا علامة النجمة أمام اسم كل إله, وعلامة الأرض بعد اسم كل مدينه وهكذا, واستخدموا النهايات الصوتيّة وغيرها من وسائل الإيضاح"[٢١]. والأسباب التي تكمن وراء عمل لوائح من هذا النوع كانت تعليميّة بالدرجة الأساسيّة, إذ "كان تعليم القراءة والكتابة وقواعد اللغة السومريّة وآدابها تقتضي وضع مصنفات عثرت عليها التحريات، وتتناول الهجاء والمفردات... وتقوم مقام المعاجم الوحيدة اللغة"[٢٢], ولا يعدو الأستاذ الدكتور صباح عباس السالم هذا الرأي, غير أنّه يعزوه إلى سببين فيقول: "إن مما لاشك فيه هو حاجة أبناء المجتمع الإنسانيّ إلى ما يفسر لهم مفردات لغتهم باللغة نفسها, لأنّ هذه الأجيال– نتيجة بعد عصرها عن عصر ما يصلها من آثار- يصعب عليها فهم دلالات تلك المفردات، وذلك لسببين رئيسيين:

أولهما: التراكم اللغويّ الذي لا يشعر بعبئه أهل الأجيال المتقدمة, وإنما يحسه أهل الأجيال المتأخرة.

والآخر: الاندثار, إذ إنّ كثيراً من المفردات يهمل استعماله بمرور الزمن, فلا يُدرك المتأخرون حينئذٍ معناه, لذلك ينبري بعض اللغويّين من الأجيال المتأخرة إلى تأليف مدونات تحفظ من جهة اللغة من الضياع, ومن ثم تقربها لمن أراد استعمالها بالشرح والتفسير من جهة أخرى. وعليه يمكننا أن نسمي هذا النوع من المدونات بـ(المعجمات الذاتية)"[٢٣]

وإذا كانت أرض الرافدين – كما مرّ- قد تداولت عليها أمم مختلفة فإنّ كل امة قد اختطت لنفسها منهجاً للتعامل مع مفردات الحياة عامة ومفردات اللغة خاصة, ومن بين تلك الأمم التي ردفت السومريين الأكديون(الساميون) الذين ورثوا من كان قبلهم عبر قنوات متعددة كانت اللغة من أهمها, وذلك بعد أن نقلوا من السومريين "طقوس تدينهم ومفاهيم لاهوتهم وامتصوا بطريقة فذة بنية ذهنيتهم بل ما فيها من طرائق تفكير وتعبير, بحيث غدا هؤلاء أسلافاً للأكاديين بالثقافة, وإن لم يكونوا أسلافاً بالسلالة والنسب"[٢٤].

ويبدو أنّ التلاقح الحضاري بين الأمتين قد استتبع تلاقحاً لغويّاً بين الشعبين (السومريّ والاكديّ) وقد آتى ذلك التلاقح أُكُلَه عندما توافرت له بيئة صالحة وشروط مناسبة, كان منها

---

(١) كلام العرب من قضايا اللغة العربية: د. حسن ظاظا، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٧٦م: ١٢٢.
(٢٠) ينظر: محاضرات الدكتور صباح عباس السالم على طلبة الدراسات العليا، في جامعة بابل- كلية التربية- قسم اللغة العربية(مدونتي), ٢٠٠٤م.
(٣) العراق في التاريخ: نخبة من الباحثين، بغداد، ١٩٨٣م: ٢٢٢-٢٢٣.
(١) تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين: جورج مونين، تر: د. بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م: ٤٨-٤٩.
(٢) النص عن لقاء مع الدكتور صباح عباس السالم، وذلك في يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٣/١٠/٢.
(٣) البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي القديم: ١٦٧-١٦٨.

"اتصال الأمة الواحدة بالأمة الثانية, أي الأمة الآخذة كلمتها من الأمة الثانية المقتبسة منها الكلمة أن تتصل بها"[٢٥], ومما يدل على أنّ ذلك الاتصال كان إيجابيّاً، أي بمعنى أنّه كان مبنيّاً على أساس استفادة الطرف الغالب من الطرف المغلوب لا على أساس تنحية الآخر وإلغاء وجوده, هو اللغة التي حظيت بمكانة مرموقة, فقد استمرت اللغة السومريّة "حتى عهد آشور بانيبال(٦٦٨-٧٣١ق. م), أي بعد ما يقارب خمسة عشر قرناً من توقف استعمالها كلغة محكيّة"[٢٦], بل إنَّ الأمر قد تجاوز الحفظ والتداول ليصل إلى حد الشرح والتفسير, "وقد وجدت جداول مدرسية متعددة تحوي مفردات متقابلة من اللغتين السومريّة والأكاديّة, مما يشير إلى استمرار تعليمها لغايات ثقافيّة, قد يكون على رأسها فهم النصوص اللاهوتيّة والتشريعيّة القديمة"[٢٧], وتتضح المسألة بجلاء أكثر عندما يتخذ الغالب "لسان المغلوبين لسان أدب ودين"[٢٨].

ولا يهم ما آل إليه التمازج اللغويّ بين سومر وأكد, وإنّما المهم أنّ هناك مسارد وألواحاً تضمنت نوعين من اللغات, وتكفلت الأخرى منهما بشرح الأولى وبيان معانيها, أي أنّ المعنى كان ضمن عدد من المسوغات التي استدعت ذلك النوع من التأليف, ومن ثم استدعى ذلك النوع- هو الآخر- أن تكون تلك الجهود مدرجة تحت حقل الدراسات المعجمية, وهي بلا ريب جهود دلالية.

ومن النماذج التي تعضد ما سبق من الكلام "طائفة من الكتابات المسمارية التي عثر عليها في مدن العراق القديم، وكانت بمثابة معاجم لشرح مفردات اللغة السومرية وتأدية أصواتها باللغة البابلية(الآكادية) التي أصبح الباحثون على معرفة بها"[٢٩], أما ما اشتملت عليه تلك المعاجم فكان "قوائم بالنباتات والحيوانات (ومنها الحشرات والطيور) والأقطار والمدن والمعادن والأدوات وهلم جراً"[٣٠], كما أنّ الدور الأبرز لتلك المعاجم يظهر في كونها "تضم المعرفة السومريّة والبابليّة كلها"[٣١]. ويمثل الشكلان الآتيان(١, ٢) نموذجين لذلك النوع من المعاجم[٣٢].

---

(٤) نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها: الأب انستاس ماري الكرملي، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت: ١٠٩.
(١) البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي القديم: ٨٥ .
(٢) نفسه: ٨٥ .
(٣) الوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي، منشورات دار الشرق، ط٢، د.ت: ٣٣ (في هامش١).
(٤) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١٢٦.
(٥) بابل تاريخ مصور: جون أوتس، تر: سمير عبد الرحيم الجلبي، دائرة الآثار والتراث، ١٩٩٠م: ٢٤٧.
(٦) نفسه: ٢٤٧.
(٧) الشكل رقم(١): نفسه: ٤٨, الشكل رقم (٢): من ألواح سومر: صمويل كريمر، تر: طه باقر، مراجعة وتقديم: د. أحمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد، ومؤسسة الخانجي، القاهرة، د.ت: ٤١٤.

ثانيا: الفلسفة اليونانيّة:

شغلت فلسفة اليونان ومازالت تشغل أذهان من ولجوا عالم المعرفة قاصدين الوقوف عند الحقيقة وتعرف ماهيتها, وليس ذلك بالأمر المستغرب, فقد دار في أروقة اليونانيّين من الجدل والحوار ما اتّسم ببعد النظر وعمق التفكير بحيث غدت المسائل التي طرقوا أبوابها منهلاً لمباحث العقل والمنطق في العصور التي تلت عصرهم. فلا بد – والحال كذلك- من أن تستوقف اللغة- بما تنطوي عليه – أولئك الفلاسفة, وتجعلهم يكرسون جانباً من سجالاتهم الفلسفيّة لذلك العنصر الحيويّ من حياتهم. وقد تنوع تناول اليونانيين للظاهرة اللغويّة على مشارب مختلفة، كان منها:

١. **اللغة بين التوقيف والاصطلاح:**

إذا كانت الأمم غير اليونانيّة تطرح مسائلها اللغويّة انطلاقاً مما يحيط باللغة التي تعنى بها من قدسيّة ومهابة, فإنّ لأمة اليونان نظرتها الخاصة في تلك المسائل، فقد "كان اليونان فلاسفة أكثر من كونهم علماء دين"[٣٣], فضلاً عمّا كانت لهم من "مشاغل أخرى لا تتعلق بالنصوص الدينيّة, بل كانوا يختصمون على نوع من ميتافيزقية اللغة: ما اللغة؟ أين يجب التفتيش عن أصلها؟ ما الكلمة؟ هل بين الكلمة والشيء علاقة طبيعية ولازمة؟ هل العلاقة بين الكلمة ومعناها علاقة طبيعية أم هي علاقة اصطلاح وتواطؤ؟ "[٣٤]، والملاحظ أن تلك المسائل عميقة في فحواها, ولا تخضع إجاباتها إلى قواعد وقوانين محدّدة تشبه قواعد الصوت والصرف والنحو, وإنّما تتجاوز تلك الأبعاد إلى ما وراءها، لذلك بقيت أسئلتها بالكيفيّة التي طرحت بها بلا حسم مُذْ أذكيت جذوتها وإلى الآن.

ولعلّ أوّل ما سجل في هذا الصدد هو ذلك الحوار الميتافيزيقي الذي نقله أفلاطون, ويتضح من خلاله "نقاش لغويّ له طابعه الفلسفيّ بين متحاورين يدور حوارهما في طبيعة العلاقة بين الأشياء والألفاظ التي تدل عليها أهي علاقة طبيعيّة ضروريّة أم علاقة عرفيّة واتفاق بين الناس"[٣٥]، وهو حوار له أهمّيته في تاريخ الدراسات الدلاليّة لكونه يتخذ من اللغة أداة لتعرف المضامين التي انطوت عليها تلك اللغة, ومن ثم إرجاع تلك المضامين إلى مصادرها.

ويعد حوار كراتايلس(Cratylus) الصورة التي نقلت الأخذ والرد في ذلك الموضوع, "فهو عبارة عن محاورة تدور بين هرموجين وقراطيل وهما من تلاميذ سقراط... أما قراطيل فيرى أنّ الأسماء وضعت على شاكلة الأشياء... وأما هرموجين فيرى بأنّها نتيجة الاتفاق والاصطلاح"[٣٦]. وقد ألقت تلك المحاورة بظلالها على التفكير والنظر آنذاك, فَسادَ "اتجاهان, أحدهما ينادي بالعلاقة الطبيعيّة بين الكلمات وما تدل عليه. ويظهر هذا فيما يرويه أفلاطون عن أستاذه... وأما الاتجاه الثاني فكان أصحابه يرون أن الصلة بين اللفظ والدلالة ماهي إلا علاقة اصطلاحية عرفية اتفق عليها الناس وقال بهذا الاتجاه أرسطو"[٣٧].

٢. تقسيمات دلالية:

استقرّ رأي أرسطو على أنّ اللغة توضع باتفاق الجماعة البشريّة, ولما كان المرجع الذي تنتمي إليه تلك اللغة هو واحد في الأصل, وهو الناس أنفسهم, إذن فلا بدّ من أن يكون شكل اللفظ وجهاً آخر من مضمونه, وعلى وفق ذلك أثبت أرسطو "أنّ الكلمة ليست مجرد أصوات منطوقة قسيمها المعنى, بل المعنى جزء متكامل من الكلمة, فلا توجد كلمات تكون مجرد أصوات بدون دلالة"[٣٨], فأهميّة الكلمة تتأتى عند أرسطو من التناغم الحاصل ركنيها(اللفظ) و(المعنى)، وهذه الثنائيّة لها مكانتها في الأبحاث اللغويّة القديمة والمعاصرة, ومنها الدلالية على وجه الخصوص. ويظهر الأمر أكثر تداخلاً مع تلك الأبحاث عندما استند أرسطو "إلى الدلالة والمعنى في وضع تقسيم منطقيّ لأجزاء الكلام من حيث إنّها ليست إلا مجرد أصوات منطوقة وإنّما يعد المعنى جزءاً لا يتجزأ منها, ومن ثم فالاسم والفعل لهما معنى في أنفُسِهما, وأما الحرف فليس له معنى في نفسه, والفرق بين الاسم والفعل يرجع أيضاً إلى الدلالة, فالاسم له دلالته المستقلة عن الزمن في حين ترتبط دلالة الفعل بالزمن"[٣٩].

وهناك تقسيم آخر ورد بين طيات المباحث التي عرض لها أرسطو, وهو أيضاً يدخل في صميم العمل الدلاليّ, ويتضح ذلك التقسيم في تمييز "أرسطو بين أمور ثلاثة:

أ- الأشياء في العالم الخارجي.

ب- التصورات= المعاني.

ج- الأصوات= الرموز والكلمات "[٤٠].

---

(١) علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م: ٣٤٧.
(٢) الوجيز في فقه اللغة: ٣٤.
(١) مدخل إلى علم اللغة: د. محمد حسن عبد العزيز، كلية العلوم، جامعة القاهرة، د.ت: ٢٥٢.
(٢) العلاقة بين اللغة والفكر- دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة: د. أحمد عبد الرحمن حماد، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م: ١٠(في هامش١).
(٣) الكلمة- دراسة لغويّة معجميّة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة، ٢٠٠٤م: ٩٠.
(٣٨) البحث اللغويّ: د. محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، د.ت: ١٩.

(١) مقدمة لدراسة علم اللغة: ١٤٢.
(٢) علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م: ١٧.

وهذه الأشياء هي نفسها (اللفظ, المعنى, المرجع) في البحث اللسانيّ الحديث.

٣. قضايا أُخر:

أَسهم عاملان محوريان في بلورة الشكل الذي بدت عليه الدراسات اليونانيّة, والعاملان هما اللغة بما تفضي إليه من آفاق, وطبيعة التناول الذي طرح به اليونانيّون شؤونهم, فنتج عن ذلك مناخ فكري يقود بعضه إلى بعض, فأدى السجال في أصل اللغة– على سبيل المثال- إلى إثبات قضية الترادف أو نفيها, وكذلك ألجأ تقادم عهد اليونانيين إلى الإقرار بتغيّر اللغة وذلك حين **"**لاحظ برقلس بعد قرون من تدوين اللغة اليونانيّة وبعد انتشارها في مناطق واسعة من العالم القديم وبعد استخدامها في الشعر والنثر تنوع المستويات اللغويّة باختلاف الزمن... فطرح برقلس قضية التغيير الدلاليّ وحاول أن يفسره بالتغيير الحضاري, ولاحظ أنّ التغيير الدلاليّ يتخذ عدة أشكال، منها المجاز وتوسيع المعنى وتخصيص المعنى**"**[٤١], وهذا بدوره سوّغ للملاحم والأساطير اليونانية القديمة حركة تفسيرية (دلاليّة) تقام لأجلها، "فكثر الشرّاح الذين شرحوا النصوص, والمعجميون الذين درسوا المفردات, والمفسرون الذين اهتموا بشرح الكلمات الغريبة"[٤٢].

والملاحظ على جهد اليونان في مجال الدلالة أنه- على الرغم من غزارة الأفكار والرؤى التي تقاسمتها مباحثهم الفلسفيّة- لم يأتِ مستقلاً وله طابعه الذي يميزه, فاللغة عندهم – صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالةً - بقيت طوال عملهم وسيلة لغايات أخر, حتى صارت اللغة عندهم باباً من أبواب الفلسفة والمنطق.

ثالثاً: اللغة الهنديّة المقدسة:

لا تعدو اللغة أن تكون وعاء للأفكار والتجارب التي عاشها الإنسان ووعاها, ومن ثَمَّ اختزلها في مجموعة رموز ضمنت له الوقوف أمام التلاشي والضياع, ومن الطبيعيّ أن تتناغم تلك الرموز مع نوع الأفكار والتجارب التي تنقل من خلالها, بمعنى آخر أن أهميّة اللغة (الرموز) تخضع لما حملته وانطوت عليه, فتعظم بعظمه, وتصغر بصغره وضآلته, بل أن قيمتها قد تبلغ حد ما عبرت عنه, والحال عند الهنود كانت على هذه الشاكلة، ذلك لأن لغتهم (السنسكريتيّة) كانت الوعاء الذي نقل لهم معتقداتهم وأفكارهم اللاهوتيّة, فكان لزاماً أن تحظى بالمكانة التي تستحق بين أبنائها. فالدين له مكانة سامية لدى الشعوب القديمة, ومن بينها التي عرفت لها كتب مقدسة خاصةً, ومنها الهند على وجه التحديد، فقد كان داعي الانشغال باللغة عندهم "وليد شعور ديني يدفعهم إلى المحافظة على كتابهم المقدس (الفيدا) وإلى تلاوته تلاوة صحيحة، ومن ثم نظروا إلى لغة هذا الكتاب وهي (السنسكريتيّة) نظرة التقديس ووسموها بالكمال وكانت دراسة هذه اللغة والعناية بها لوناً من ألوان العبادة"[٤٣]، لذلك تطوع بعض أبناء الهند لممارسة ذلك الطقس العباديّ، وكان من بينهم بانيني(panini) النحويّ الذي بقيت آراؤه "مقبولة لدى اللغويّين الغربيّين المحدثين، حتى إنّ بعض المصطلحات الفنيّة التي وضعها لعدد من الظواهر اللغويّة لا يزال مستعملاً حتى الآن"[٤٤]. في حين انبرى آخرون للتأليف في ما يمكن أن ينضوي اليوم تحت عنوان البحث الدلاليّ، إذ "لم يكن الهنود أقل اهتماماً بمباحث الدلالة من اليونانيين. فقد عالجوا في وقت مبكر جداً كثيراً من المباحث التي ترتبط بفهم طبيعة المفردات والجمل، بل لا نغالي إذا قلنا إنّهم ناقشوا معظم القضايا التي يعتبرها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة"[٤٥].

وأهم ما لفت أنظار الهنود في مجال الدلالة:

١. أصل اللغة:

---

(٣) الوجيز في فقه اللغة: ٣٥.
(١) التطور اللغوي التاريخي: محاضرات ألقاها إبراهيم السامرائي على قسم الدراسات الأدبيّة واللغويّة، دار الرائد للطباعة، ١٩٦٦م: ١٠.
(٢) مدخل إلى علم اللغة: ٢٤٧.
(١) فقه اللغة في الكتب العربية: د.عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م: ١٢(في هامش١).
(٢) علم الدلالة: ١٨.

شغلت اللغة بكونها نظاماً صوتيّاً ذا دلالات حيزاً من تفكير مَن اشتغلوا بها في بقاع مختلفة، وكانت "من المشكلات التي لفتت أنظار علماء الدلالة الهنود. وقد اختلفت فيها وجهات النظر بين اعتبار اللغة قديمة وهبة إلهية ليست من صنع البشر، واعتبارها من اختراع الإنسان ونتاج نشاطه الفكريّ"[٤٦], وهذا النوع من الخوض وإنْ أُخرج من ميدان البحث في الدرس اللساني الحديث غير أنه لا يمكن إغفاله في كونه يمثل مرحلة من مراحل الانشغال بالمعنى وطريقة الدلالة عليه.

٢. علاقة الألفاظ بالمعاني:

كان من البديهيّ أن يسفر الحديث عن أصل اللغة عن حديث آخر يتناول ماهيّة العلاقة التي تربط اللفظ بمعناه، "فقد جذب هذا الموضوع اهتمام الهنود، ربما قبل أن يجذب اهتمام اليونانيّين, وقد تعددت حوله الآراء"[٤٧]، وطبيعي أن تسبق الهندُ اليونانَ في هذا الجانب، لكون الأخيرة لم تُصْفِ على لغتها القدسية التي أضيفيت على لغة الهند بحيث أكسبتها بعداً غيبيّاً يجعل من مسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى أمراً قريب المأخذ، فذهب بعض الهنود نتيجة لذلك إلى "رفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى قائلاً: إنّ كل شيء يتصور مقترناً بالوحدة الكلامية الدالة عليه، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر... ومنهم من صرح بأنّ العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطريّة أو طبيعيّة... ومنهم من قال بوجود علاقة ضروريّة بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة اللزوميّة بين النار والدخان, ومنهم من رأى أنّ الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة، ولكنها طبقاً لإرادة إلهية"[٤٨]. وإذا سجلت ثنائية(اللفظ والمعنى) وحقيقة العلاقة التي تربط هذا بذاك حضوراً عند الهنود، فنظروا إليها من زوايا مختلفة، فهي من الأهميّة اليوم ما يجعلها أساساً ومنطلقاً يقيم عليه بعض اللسانيين المحدثين بناءه الدلاليّ.

٣. المعجمية الهندية

إذا كانت الغاية التي دفعت اليونانيين إلى عمل المعاجم هي الرغبة في حفظ تراثهم الأسطوريّ وقصصهم الخياليّة، ثم الوقوف عليها بالشرح والتفسير، فإنّ الحاجة عند الهنود إلى ذلك العمل تبدو أشد، والرغبة أكثر، ذلك لأنّ حفظ التراث عندهم يعني حفظ العقائد والقيم، والشرح والتفسير لديهم معناه فهم الدين بالشكل الصحيح، وتلك المهمات جميعها يضطلع بها المعجم, بل يتعداها, "فالمعاجم تحفظ مفردات اللغة وتتولى تفسيرها وتوضيحها، وتتكفل ببيان صور استعمالها... فيرجع إليها الإنسان ليتزود بما يحتاج إليه من ألفاظ يعبر بها عما تخطر له من أفكار وتبدو له من معان، ويتعرف على ما صعب عليه فهمه من مدلولات، وبذلك يحيي لغته، وينعشها، ويبقيها ثابتة حية متطورة مع الزمن باستخدامه المستمر السليم لها نطقاً وكتابة"[٤٩]، فالمعاجم كانت كتب تفسير قبل كل شيء, وقد بدأت بهذا الشكل "منذ عهد سحيق على يد الهنود"[٥٠], وكانت تلك المعاجم على "شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجود في نصوصهم المقدسة، ثم تطور هذا النظام فألحق بكل لفظ في القائمة شرح لمعناه، ويمكن أن يُعدّ هذا العمل من نوع(معاجم الموضوعات) أو(معاجم المعاني). وبعد ذلك ظهرت كتب لا تقصر نفسها على ألفاظ النصوص المقدسة"[٥١]، وأوّل ما سجل في هذا الصدد معجم "لمؤلف بوذي اسمه أمارا سنها (Amara Sinha) وقد ضم هذا المعجم واسمه (Amara Kasa) جزءاً فيه الكلمات المترادفات، وجزءاً فيه كلمات المشترك اللفظيّ، وجزءاً عن الكلمات غير المتصرفة والكلمات المذكرة أو المؤنثة أو المحايدة"[٥٢]. فتصنيف المعاجم على وفق الأنماط التي ذكرت يدل على بُعد النظر لدى الهنود، بحيث جاء تأليفهم المعجمي مرتباً على ما يحيل إليه اللفظ من معنى لا على شكل ذلك اللفظ أو بنيته الصوتيّة.

٤. تقسيم الأشياء:

---

(٣) نفسه: ١٨.
(٤) نفسه: ١٨.
(١) علم الدلالة: ١٨-١٩.
(٢) أم اللغات- دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها: سعيد أحمد بيومي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م: ١٢٦(في هامش١).
(٣) صناعة المعجم الحديث: د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤١٨ هـ -١٩٩٨م: ٢٥.
(١) البحث اللغوي عند العرب - مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣م: ٦٠.
(٢) نفسه: ٦٠.

لا يبعد علم النحو كثيراً عن علم الدلالة، فالنحو معانٍ، والشغل الشاغل لعلم الدلالة هو المعاني أيضاً، وعليه فإنّ كل واحد منهما يأخذ من الآخر مقدار احتياجه من ذلك الآخر، وهذه الحقيقة يظهرها نحاة الهند عندما يقرون "بوجود أربعة أقسام للدلالات تبعاً لعدد الأصناف الموجودة في الكون، لأنّ الكلمات شارحة لهذه الأصناف، وتلك الأقسام الأربعة هي:

١- قسم يدل على مدلول عام أو شامل(رجل).

٢- قسم يدل على كيفية(طويل).

٣- قسم يدل على حدث(جاء).

٤- قسم يدل على ذات(محمد)"[٥٣], فالتقسيم- كما يظهر- قائم أيضاً على أساس دلالي, ذلك لأن كل لفظ رُعي فيه دلالته على مدلوله

رابعاً: المعجم في الصين:

تدل صناعة المعاجم على أنّ هناك حساً لغويّاً عالياً دفع ذويه لمثل ذلك الاهتمام, وذلك بقطع النظر عن الأسباب التي دعت إليه، أدينية كانت أم دنيويّة, إذ إنّ الحس اللغويّ – في حد ذاته- كافٍ لإيجاد تلك الصناعة, فعلى سبيل المثال لا يعرف السبب الذي هدى الصينيين إلى مزاولة عمل المعاجم – ولو بالقدر الذي عرضت به المصادر لهذا الموضوع – ومع ذلك فقد عرف لدى تلك الأمة "أوّل عمل صينيّ معجميّ قديماً جداً, ولكن أوّل محاولة منظمة للتعريف بالأشكال التعبيريّة كانت العمل المسمى(Eah Ya) الذي يمكن أن يؤرخ بالفترة مابين ٢٠٠ق.م وميلاد المسيح. وهو أشبه بمعجم من معاجم المعاني التي توزع الكلمات تحت موضوعات أو معان مختلفة"[٥٤], فالمعاجم التي أُثرت عن الصينيين يبدو أنها قد انتظمت على وفق الموضوعات أو المعاني, لذلك يمكن تسمية ذلك النوع من المعاجم بـ(معاجم المعاني) أو (معاجم الموضوعات) كما تعرف اليوم.

ويبدو أنّ الصينيين قد أدركوا بمرور الزمن أهميّة المعجم, فاتخذ التأليف عندهم في هذا المجال منحىً آخر, ففي "نهاية القرن الأوّل الميلاديّ ظهر أوّل معجم حقيقي وهو معجم(Show Wan) وقد كان جلّ اهتمام المؤلف منصباً على الكلمات التي وردت في النصوص الدينيّة"[٥٥], ثم يكتسب الصينيون خبرة في هذا الحقل, ليظهر معجمهم بعد ذلك بمنهجيّة أكثر وترتيب أدق, فقد "رتبت فيه الكلمات صوتيّاً تبعاً لنطقها، فكل الكلمات ذات الصوت الواحد تعالج معاً في باب واحد بغض النظر عن اختلاف طرق كتابتها. وأول معجم صيني يتبع هذا النظام هو معجم (Hu Fa Yen) الذي كتب بين عامي٥٨١ و٦٠١م"[٥٦]. فالمعنى كان شاغلا لدى الصينيين أيضا، لذلك انبروا لصناعة المعاجم التي تعين على الوصول إلى ذلك المعنى، وتساعد في الدلالة عليه، والمعاجم- كما مر- هي بحث في الدلالة.

الفصل الأول

الدلالة ومباحث علم الدلالة في التراث العربي

في ضوء اللسانيات الحديثة

أولاً: الدلالة

---

(٣) علم الدلالة: ١٩.
(١) البحث اللغوي عند العرب: ٧٤.
(٢) نفسه: ٧٤.
(٣) نفسه: ٧٤-٧٥.

أ. الدلالة في المعاجم العربية:

جاء في (كتاب العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) أن "الدل دلال المرأة ... والرجل يدل على أقرانه في الحرب يأخذهم من فوق. والبازي يدل على صيده... والدلالة مصدر الدليل(بالفتح والكسر)"[٥٧] فمعنى الجذر اللغوي (دلّ) عند الخليل ينحصر في الأشياء المادية, ولم يتعدَّ ذلك المعنى إلى ماهو معنوي.

ولا يختلف معنى الأصل (د ل ل) عند الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في (أساس البلاغة) إلا فيما يرد عليه ذلك الأصل من استخدام مجازي, فيكون"الدال على الخير كفاعله. ودلّ على السراط ولي عليه على هذا دلائل. وتناصرت أدلة العقل, وأدلة السمع. واستدل به عليه"[٥٨], فكأن المفردة (د ل ل) عند الزمخشري قد توسعت في معناها لتشمل ما هو مادي وغير مادي في ما تدل عليه.

ويضيف ابن منظور (ت٧١١هـ) في (لسان العرب) عنصراً إيجابياً آخر إلى معنى الأصل (دل ل) وهو التسديد, إذ كان معنى ذلك الأصل عنده من "دلّه على الشيء يدُلُّهُ دلاً ودلالة فاندلّ: سدده إليه... والدليل ما يستدل به، والدليل الدال, وقد دلّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودلُولة والفتح أعلى"[٥٩]. فالذي يستفاد من المعاني التي سلفت أنَّ الدلالة لا تقتصر في معناها على الأمور المحسوسة, وإنما تشمل ما هو مجرد أيضا, وكذلك يظهر مما سبق أن الدلالة يُشترط لتحققها وجود عنصر التسديد, أي أن يتم الوصول بواسطة الدال إلى ما يُدَلُّ عليه بغض النظر عن نوع ذلك المدلول. ولما كان نطاق هذا البحث منحصراً في اللغة وحسب, فإن ما يفيده من معنى الأصل اللغوي(د ل ل) هو دلالة اللفظ على معناه, وهذا ما تكفل بإيراده محمد مرتضى الزبيدي(١٢٠٥هـ) في معجمه (تاج العروس من جواهر القاموس) الذي ذهب فيه إلى أن الدلالة هي" كون اللفظ متى أطلق أو أحسّ فهم منه معناه للعلم بوضعه، وهي منقسمةٌ إلى المطابقة والتضمين والالتزام"[٦٠], ويتضح مما عرض له الزبيدي من تعريف للدلالة أثر المنطق في ذلك التعريف, فهو لا يكتفي ببيان المعنى, وإنما يقسم أيضا الدلالة على أنواع, وهو التقسيم عينه الذي يعرض له الفلاسفة وأهل النظر المنطقي.

ب. الدلالة في القرآن الكريم:

لم يبعد معنى الكلمة (دلل) في أصله اللغوي عما جاء عليه في القرآن الكريم على الرغم من مجيء ذلك الأصل في مواضع متعددة وصياغات مختلفة من كتاب الله تعالى, ومن ذلك مثلاً قوله تعالى:﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ (طه/٤٠), فالحديث في هذه الآية الكريمة عن موسى النبي (عليه السلام) وأخته عندما صارت مرشدة إلى من يتكفل أخاها بالرعاية والتربية[٦١], فكانت (الأخت) الدالة على ذلك, وصار ما قامت به من عمل هو الدلالة.

---

(١) كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، مطبعة صدر، ط٢، ١٤٠٩هـ: ٨/٨.
(٢) أساس البلاغة: ١٣٤.
(٣) لسان العرب: ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٥هـ:٢٤٨/١١-٢٤٩(د ل ل).
(١) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت: ٣٢٤/٧.
(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ: ٢٠٤/١٦.

أما الموضع الذي عرض فيه القرآن الكريم المادة (د ل ل) بالمعنى نفسه, ولكن بصيغة أخرى فهو قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ (سبأ/١٤),

فدابة الأرض هي الدالة على الموت – والحديث عن سليمان (عليه السلام)- أي أن الدابة قد أرشدت الآخرين إلى موت سليمان, بمعنى آخر أن الدابة قد أظهرت ما كان خافياً, وبذلك أعلمت الآخرين ما لم يعلموه من قبل حتى صار موت سليمان- وهو ما عُلِمَ- واضحاً بيناً, وتلك الوظيفة- أي وظيفة الإعلام- هي الدلالة في حدّ ذاتها.

وفي القرآن الكريم أيضاً مورد غير السابقين جاء فيه الأصل (د ل ل) حاملاً المعنى نفسه, وتم التعبير عنه بصيغة المصدر لما يقتضيه المحل, وذلك في قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلاً ﴾(الفرقان/٤٥) فكلمة(دليلاً) في الآية الكريمة هي بمعنى دالة, لأن الوظيفة التي تقوم

بها الشمس في هذا المقام هي وظيفة إظهار الظل, والإرشاد إليه, وهذه هي الدلالة بعينها, إذ ليس المقصود من الدلالة هو الدال أو المدلول عليه, وإنما الدلالة تعني الوظيفة التي يؤديها الدال حتى يدل على مدلوله, فالشمس مثلاً- في الآية السابقة- هي الدال, والظل هو المدلول عليه, وما تقوم به الشمس من دور حتى تظهر الظل(المدلول عليه), وترشد إليه هو الدلالة. وهذا المعنى هو الذي اعتمده القرآن الكريم في اغلب الآيات التي تضمنت الجذر(دلل)[٦٢].

ج. الدلالة في الأحاديث النبوية:

رُوِي في الأثر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((**ألا أَدُلُّكُم عَلَى أَمرٍ إذا فَعَلتُمُوهُ تحابَبْتُم أَفشُوا السلامَ بَينكُم**))[٦٣], فلا يختلف معنى كلمة (أَدلكم) في الحديث المذكور عما درجت عليه اللغة والقرآن الكريم من معنى. فالحديث يبين أثر إفشاء السلام بين الناس, وقد دل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك الأثر, فالرسول هو الدال عليه, وما قام به من عمل هو الدلالة, وإفشاء السلام هو المدلول عليه, فالدلالة - كما يفهم من الحديث النبوي- هي ما يقوم به الدال من عملٍ, أو ما يؤديه من وظيفة. وقد يكون الدال وما يدل عليه بوساطة الدلالة بمنزلة المرتبة الواحدة, لذلك عبر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)عن ذلك في حديث له قائلاً: ((**الدَّالُّ على الخيرِ كفاعِلِه**))[٦٤], فهنا يقترب الدال من المدلول حتى ليكاد أن يساويه في الأهمية, وليس ذاك إلا بفضل ما قام به الدال من عمل (دلالة), فالدلالة هي التي قربت الدال من مدلوله. فالذي يستشف مما عرض أن الدال يتفاوت في دلالته على مدلوله، وهذا ما جعل الدلالة هي الأخرى تتفاوت تبعا للدال عليها.

---

(١) جاءت المادة (د ل ل) من القرآن الكريم في محال غير التي ذكرت, منها في سورة القصص/١٢, والصف/١٠, وطه/١٢٠, وسبأ/٧, وهي جميعاً بالمعنى الذي أشير إليه في متن البحث, غير أن هناك موضعاً واحداً فقط جاءت فيه المادة(د ل ل) بمعنى مختلف, وهو قوله تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ (الأعراف/٢٢). ينظر: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، س١٤٠٥هـ: ٢٤/٧ .

(٢) سنن أبي داود: الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ٥١٧/٢.

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: الميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤٠٨هـ: ٢٠٨/٧.

وفي ضوء ما تقدم يتبين أن المفهوم الذي تواضعت عليه اللغة للأصل(د ل ل) بقي واحداً على الرغم من تنوع القنوات التي عرضت له بأشكال مختلفة، وقد توسع ذلك الأصل بمعناه حتى شمل كل دال يفضي بمتلقيه إلى المدلول. غير أن ما يعني البحث من ذلك هو دلالة اللفظ على معناه, أو بمعنى أعم هو دلالة اللغة على ما تحيل إليه, وإذا كان ذلك الأمر قد شكل من التراث العربي معلماً ذا وجوه متعددة, وأخذ كل وجه منها سماته من الفئة التي رسمت ملامحه, فان البحث سيقف في الصحائف القادمات عند بعض ممن شغلتهم دلالة اللفظ على المعنى, وكانت جهودهم جزءاً من المباحث التي أثرت عن العرب في المجال الذي يسمى اليوم بـ(علم الدلالة).

ثانياً: مباحث علم الدلالة في التراث العربي في ضوء اللسانيات الحديثة

نبذة تاريخية:

ليس الاهتمام بالكلمة ومعناها حديثاً طارئاًعلى المجتمع العربي, وعلى وجه الخصوص عندما يعرف عن ذلك المجتمع بأنه مجتمع قد أخذت اللغة منه حيزاً ذا بال حتى غدت صورة لواقع ذلك المجتمع وحتى صار المجتمع بها واقعاً يعكس حال تلك اللغة، "فالعربية- في أول حياتها- كانت تعيش حياة بدوية خالصة في صحراء الجزيرة, ولذا تحمل ألفاظها سمات تلك المرحلة"[٦٥], ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك هو ما اتسمت به بعض الألفاظ العربية من نقل أمين للبيئة التي ترعرعت بين أكنافها, فكلمة الأمة مثلاً تعني "التي تؤم مكاناً واحداً, أو تأتم بقيادة واحدة, والشعب هو الجماعة التي تتخذ لها شعبة واحدة في الطريق, والفئة هي الجماعة التي تفيء إلى ظل واحد, والنفر من القوم هم من ينفرون معاً للقتال أو لغيره, والقوم في جملتهم هم الذين يقومون قومة واحدة للقتال خاصة"[٦٦]. فإذا كانت اللغة من جانب تشكل من العرب هذا المقدار, فالأحرى بالعرب– من جانب آخر- أن يولوا لغتهم نصيباً من الاهتمام ينسجم مع أمانتها في نقل واقعهم.

وإذا أراد البحث أن يستظهر الجهد العربي في مجال الدلالة, أو بعبارة أخرى ما حاول العرب كشفه من معانٍ للغتهم, فأنه سيقف أولاً عند كتاب العرب الأول, وهو القرآن الكريم, وما احتوى عليه من اضاءات يكشف بعضها عن بعض, وينطق قسم منها على لسان القسم الآخر, وكل ذلك جاء استجلاءً للمعنى, وإرشاداً إليه, ليكون بذلك أول عمل يسعى لاستظهار معاني بعض الألفاظ, وبيان المراد منها, وذلك من خلال توجيه دلالة تلك الألفاظ إلى الوجه المطلوب، وصرف معناها إلى ما يراد. لذلك فالقرآن الكريم قد سعى في بعض وقفاته إلى بيان دلالة عدد من المفردات، وإعطاء معانيها بغية الإرشاد إلى تلك المعاني. ومن الأمثلة التي يراد الاستشهاد بها على ما سبق وليس الحصر قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ وَمَآ

(١) علم اللغة بين القديم والحديث: عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي ، ط٣، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م: ١٨١-١٨٢.
(٢) اللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد، مطبعة مخيمر،١٩٦٠م: ٦٥.

﴿ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ (المطففين/٧-٨) إذ يأتي بعد تلكما الآيتين ما يفسر معنى كلمة (سجين) ويحدد المراد منها وذلك في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴾ (المطففين/٩), لتتوجه أثر ذلك دلالة كلمة (سجين) ويُرشد إلى معناها. وكذلك يأتي القرآن شارحاً ومبيناً كلمة (الحطمة) في قوله تعالى:﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴾ (الهمزة/٤-٥), ليكون معناها في موضع آخر هو﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ ﴾ (الهمزة/٦-٧). والأمثلة على ذلك كثيرة, وكفى بها لتفتح باباً لنوع من تفسير القرآن الكريم عرف فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن, وذلك النوع من التفسير يعد عند أهل علوم القرآن أحسن أنواع التفسير[٦٧].

ولم يكد ينتهي دور القرآن الكريم مفسراً لنفسه حتى يأتي دور الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ليأخذ الدور نفسه، وقد أوكل الله تعالى ذلك الأمر إلى شخص النبي عندما خاطبه في مواضع عدة من القرآن الكريم ليعرفه ذلك الدور، ومن ذلك مثلا قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل/٤٤). وقد وردت بعض الأحاديث النبوية لتفسر آيات أو ربما تكون كلمات من كتاب الله تعالى لتكون بذلك خطوة أخرى تضاف إلى سابقتها على طريق جهد العرب في مجال الدلالة، أو على الأقل في المجال الذي يخص علاقة اللفظ بالمعنى، إذ إن التفسير بشكل عام وجه من وجوه الاشتغال بالدلالة، وعليه فإن تلكما الخطوتين تمثلان نواة البحث الدلالي في التراث العربي, ذلك لأنهما يشكلان البذرة الأولى لفن صناعة المعاجم في الثقافة العربية لا ما شاع من إرجاع ذلك اللون من التأليف إلى سؤالات نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر لعبد الله بن عباس[٦٨] ومن أمثلة بيان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الصدد ما ورد من تفسير النبي معنى كلمة (قوة) في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾(الأنفال/٦٠)، إذ أُثر عن النبي أنّه قال: إنّ معنى القوة في الآية هو الرمي[٦٩]. ومن الأمثلة كذلك على التفسير النبوي بيان معنى(الصلاة الوسطى) في قوله تعالى:﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ (البقرة/٢٣٨)، فقد نقل في الأثر عن النبي

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ط١-١٣٧٦هـ-١٩٥٧م: ١٧٦/٢.

(٦٨) ينظر: المعجم العربي- نشأته وتطوره: د. حسين نصار, دار مصر للطباعة, ط٢, ١٩٦٠م: ٤٠/١-٤٥, المعاجم العربية- دراسة وتحليل: د. عبد السميع محمد أحمد, مطبعة مخيمر, ط١, ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م: ١٢, المعاجم العربية- بدءتها وتطورها: د. إميل بديع يعقوب, دار العلم للملايين, بيروت, لبنان, ط٢, ١٩٨٥م: ٢٦, مقدمة لدراسة التراث المعجمي: د. حلمي خليل, دار المعرفة الجامعية, إسكندرية, مصر, ٢٠٠٣م: ٩٦.

(٢) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٦٥هـ: ١٩٢/٣.

أن(الصلاة الوسطى) في هذه الآية تعني صلاة العصر [٧٠]. لذا يتضح "أنّ السنة النبوية تفسير للقرآن الكريم"[٧١]، أي أنّها أبانت معنى بعض النصوص القرآنيّة، وأرشدت إلى المراد منها عن طريق بيان ما تدل عليه بعض الألفاظ والآيات.

وقد انتهج أهل البيت(عليهم السلام) وصحابة الرسول(رضي الله عنهم) السبيل نفسها التي سلكها القرآن الكريم والنبي في استثمار اللغة بأشكالها كلها لبيان معنى كلمة، أو مقصود آية، وما روي عن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) وعبد الله بن عباس(رضي الله عنه) ما فيه الكفاية والاستشهاد على ذلك[٧٢].

ويظهر مما سبق أنّ القرآن الكريم كان هو المحور والباعث أيضاً على دارسة المعنى، وقد تأتت محوريتُه من كون معناه هو المطلوب، وأما باعثيته فجاءت من كونه كتاب عقيدة يتعبد في السعي لإدراك ذلك المعنى، ولعل في ذلك ما يفسر شيوع عدد من الأسئلة سئل عنها النبي، وأوردها القرآن بين أثناء آياته[٧٣]، أو مجيء عدد من القضايا التي دارت بين ابن عباس(رضي الله عنه) ونافع بن الأزرق على شكل سؤالات-وهي من التفسير– فكل ذلك كان يتوخى معاني القرآن الكريم لغرض فهمها وإفهامها.

وإذا كانت تلك الجهود تمثل دراسة للدلالة– بمعنى من المعاني- فإنّ مباحث الدلالة بعدها علماً لها مجالات أخرى لا تظهر إلا عندما تأخذ تلك المجالات بالتخصص، ويصير لكل مجال مَعْلَمٌ ينماز به عن غيره. وسيقف البحث عند بعض تلك المجالات، ويظهر الحيز الذي شغلته الدلالة ومباحثها من مجمل هذا المجال أو ذاك.

١- مباحث علم الدلالة عند علماء أصول الفقه:

قبل البدء بالخوض في المباحث التي تطرق فيها علماء الأصول لمسائل علم الدلالة، هناك أمران سوف يسعى البحث لأخذهما في الحسبان، إذ يتعلق أولهما بقضية تأصيل العلوم عند العرب، وثانيهما يختص بحقيقة كون العلوم العربية قد بدأت – في أول نشأتها- بشكل عملي قبل أن تأخذ إطارها التنظيري, فمن المعروف أنّ "العلوم عند العرب لا ينبغي أن تبحث في سياق (الأصالة) و(عدمها) وإنما في إطار(التملك) (appropriation)"[٧٤]، وأنّ من المعلوم أيضاً "أنّ المفكرين المسلمين بدأوا بما هو عملي قبل أن يصلوا إلى وضع (منهج نظري) لكل فرع من فروع البحث، فكانت- مثلاً- قراءة القرآن عن طريق التلقي والعرض أسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات"[٧٥]. لذلك سوف لا يسعى البحث في فقره اللاحقة إلى تأصيل علم الدلالة عربياً، ولا إلى عرض القوانين النظرية التي تحكم خطوات ذلك العلم بقدر ما سيسعى إلى استظهار بعض من المباحث التي عالج فيها العرب القدامى موضوعات ذات طابع دلالي، وأول تلك المباحث التي سيعرض لها البحث هو علم أصول الفقه.

يعرّف علم أصول الفقه تعريفات عديدة منها "هو إدراك القواعد التي يُتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية"[٧٦]، وكذلك يعرّف بأنّه "العلم بالقواعد التي يتوصل بها الفقه على وجه التحقيق"[٧٧]، وقد امتازت تلك القواعد

---

(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: أبو محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ: ٣٧٧/٨.
(٤) التفسير النبوي للقرآن: سلمان بن فهد العودة، المكتب العلمي بموقع الإسلام، د.ت: ٣٨.
(٧٢) ينظر: عبد الله بن عباس – شخصيته وآثاره: محمد تقي الحكيم, مطبعة ستارة, ط١, ١٤٢٣هـ: ٢/ ٧٨- ٨٨.
(٢) كالسؤال مثلاً عن الأهلة، أو عن المحيض، أو عن الشهر الحرام، أو غيرها.
(١) النحو العربي والدرس الحديث- بحث في المنهج: د.عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م: ١٠ (في هامش٢).
(٢) مناهج البحث عند مفكري الإسلام: د.علي سامي النشار، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م: ٣١.
(٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تح: محمد سعيد البدري، مطبعة دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م: ١٨.
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي، تح: لطفي عبد البديع، راجعه: أمين الخولي، تر: د. عبد المنعم محمد حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٢٨هـ- ١٩٦٣م: ٢٥/٣.

بالضبط والإحكام، لأنّ مدار عملها ينحصر بالأحكام الشرعية وما تستدعيه من أدلة يكون مصدرها القرآن والسنة، "ومن هنا دق النظر الأصولي في تصور اللغة ودلالتها ما دام الأمر يتعلق باستنباط أحكام من النص القرآني"[٧٨] أومن السنة النبوية.

ومن أوائل الأصوليين الذين عقدوا في كتبهم مباحث تتعلق باللغة عامة، والدلالة منها على وجه الخصوص، هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(ت٢٠٤هـ) في مؤلفه البكر في علم أصول الفقه، وذلك المؤلَّف هو كتاب(الرسالة) الذي تناول فيه صاحبه موضوع دلالة اللفظة المفردة من حيث الخصوص والعموم، وقد جاء طرحه لهذا الموضوع عند حديثه عما ينماز به اللسان العربي وما خصه الله تعالى به، يقول الشافعي في ذلك: "فإنّما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاماً وظاهراً يراد به الخاص وظاهراً يعرف في سياق أنّه يراد ظاهره"[٧٩], فاللفظ عند الشافعي يقسم من حيث دلالته على الخصوص والعموم على قسمين هما خاص وعام، وكذلك من حيث الظهور والخفاء، فإنّه يقسم على ظاهر وخفي، غير أنّ تلك الدلالة قد تتداخل فيما بينها، والذي يحدد معناها هو سياقها الذي ترد فيه. إن فهم الدلالة بالشكل الذي طرحه الشافعي هو الذي تنادي به النظرية السياقية في علم اللغة الحديث، إذ إنّ معنى الكلمة عند أصحاب تلك النظرية "هو استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه. ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا يكتشف إلا من خلال تنسيق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة"[٨٠]، فالسياق هو الذي يتكفل بيان ما تدل عليه الوحدات اللغوية من معان، أي أنّ السياق – حسب النظرية السياقية- هو الذي يحدد للمفردة معناها فتكون بذلك دالة على خاص أو عام أو غيرها من الدلالات. وأما ما يعرف باسم الاشتراك والترادف اللذين صار لهما محل من المباحث الدلالية في العصر الحاضر، وذلك المحل صار يعقد تحت عنوان(العلاقات الدلالية) أو (علاقات المعنى)[٨١]، فقد كان لهما نصيب من وقفات الشافعي، إذ يقول في صنف المفردات التي تدخل تحت ذلك العنوان: "وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة"[٨٢]. وللشافعي أيضاً مواضع أُخر يعرج فيها على موضوعات تعد اليوم من صميم الدلالة في عرف علم اللغة الحديث، كموضوع المجاز، وموضوع التباس مدلول الكلام وغيرها من الموضوعات.

ومن الفقهاء الذين اشتملت كتبهم الأصولية على نظرات ذات طابع دلالي، وهي اليوم تدخل في مجال علم الدلالة، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، فقد جاء في كتابه (التذكرة بأصول الفقه) ما نصه "ومعاني القرآن على ضربين: ظاهر، وباطن. فالظاهر: هو المطابق لخاص العبارة عنه تحقيقاً على عادات أهل اللسان، كقوله سبحانه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (يونس/٤٤). فالعقلاء العارفون باللسان يفهمون من ظاهر هذا اللفظ المراد. والباطن: هو ما خرج عن خاص العبارة وحقيقتها إلى وجوه"[٨٣]، فالحديث في هذا المحل يدور حول خروج دلالة اللفظ من معنى إلى آخر، وهو ما يصطلح عليه بالتطور اللغوي في الدرس اللساني الحديث الذي عنده أنّ التطور في أبسط صوره هو"التغيير الذي يطرأ على اللغة سواء في أصواتها أو دلالة مفرداتها، أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة أو النقصان الذي يصيبها"[٨٤]، ويمثل الشيخ المفيد لكلامه بكلمتي (الصلاة) و(الزكاة) ويبين الفرق بين استعمالهما في أصل اللغة واستعمالهما في القرآن الكريم[٨٥].

وأما الأصولي الآخر الذي امتازت مباحثه في ميدان الدلالة بالسعة والتنوع فهو الفقيه الشافعي سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي(ت٦٣١هـ) وذلك في كتابه(الإحكام في أصول الأحكام) الذي حوى من مباحث الدلالة ما جعل اللغة تبدو وكأنها "منظومة دلالية في حاجة إلى الإحاطة بأسرارها ومعانيها وقدراتها على تحديد المعاني تحديداً يتجاوز النص

---

(٥) التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه: د. السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣م: ٨ .
(١) الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي، تح: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت: ٥١-٥٢.
(٢) علم الدلالة: ٦٨.
(٣) ينظر: مقدمة لدراسة فقه اللغة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣م: ١٥٧.
(٤) الرسالة: ٥٢.
(١) التذكرة بأصول الفقه: الشيخ المفيد، تح: مهدي نجف، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ: ٢٩ .
(٢) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: ٤٥.
(٣) ينظر: التذكرة بأصول الفقه: ٢٩.

المكتوب إلى رؤية تأويلية تعطي لفحوى النص أبعاده الدلالية الخاصة"[٨٦]، وفي ضوء هذا الفهم لنصوص اللغة، ومكوناتها عقد الآمدي الكثير من فقرات كتابه لمسائل الدلالة، ومن ذلك مثلاً تقسيمه دلالة اللفظ المفرد على قسمين، هما لفظية وغير لفظية، فاللفظية عنده "إما أن تعتبر بالنسبة إلى كمال المعنى الموضوع له اللفظ، أو إلى بعضه، فالأول دلالة المطابقة كدلالة لفظ الإنسان على معناه. والثاني دلالة التضمن كدلالة لفظ الإنسان على ما في معناه من الحيوان أو الناطق... وأما غير اللفظية فهي دلالة الالتزام، وهي أن يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه، ولو قدر عدم هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهومًا"[٨٧]، وتقسيم دلالة الألفاظ على ثلاثة أقسام هو الذي يذهب إليه النظر اللغوي الحديث، إذ إنّ الدلالات الثلاث(المطابقة والتضمن والالتزام) في اللسانيات الحديثة هي قسم من أقسام الدلالة اللفظية، وذلك القسم هو مايسمى بالدلالة الوضعية[٨٨]. وأما ما ذكره الآمدي في ما يخص دلالة الالتزام فهو الذي يطرح اليوم بعنوان الدلالة العقلية، فالفكر- الذهن عند الآمدي- في هذا النوع من الدلالة يتحول "من الحقائق الحاضرة إلى حقيقة غائبة عن طريق المسالك العقلية بمختلف أنواعها"[٨٩]، فارتباط الدلالة التلازمية بأعمال الفكر(الذهن)، وابتعادها عن اللفظ- وإن كان دالاً عليها-هما اللذان جعلا الآمدي يعد ذلك النوع من الدلالة دلالة غير لفظية.

والذي يظهر من تتبع المباحث التي عقدها الاصوليون للغة عامة, والدلالة بشكل خاص, أن تلك المباحث لم يقصد من عندها اللغة لذاتها, وإنما يصب غرضها في الغرض العام من علم أصول الفقه, وذلك الغرض هو "الوصول إلى معرفة الأحكام الشرعية التي هي مناط السعادة الدنيوية والأخروية"[٩٠], فعلى الرغم من توافق الكثير من تلك المباحث مع معطيات علم اللغة الحديث, إلا أنّها تختلف عنها في الغاية التي يتوخاها علم اللغة من اللغة نفسها.

٢- مباحث علم الدلالة عند الفلاسفة:

العلاقة بين الدلالة والفلسفة علاقة وشيجة, فأينما وجد العقل الفلسفي, وجدت معه المباحث الدلالية, وما ذلك التلازم إلا لأن الإثنين يبحثان عما وراء الأشياء, فالفلسفة تنقب عن ماهية الوجود وحقيقته, والدلالة هي المكنون الذي ينضوي تحت الألفاظ، أو هي أيضاً الحقيقة التي تخفيها صور الكلمات.

وللفلسفة مفهومان عام وخاص, فهي بالمعنى العام "نظرة إلى العالم, وشكل من أشكال معرفة الواقع, الذي هو الإنسان والمجتمع والطبيعة"[٩١], وهي بمعناها الخاص تعني" التفكير الحر المنظم والمتناسق والواعي"[٩٢]وإذا كانت الفلسفة تتعلق بالمعرفة والتفكير, فمن الطبيعي أن يكون للغة ودلالاتها مكان مهم من المباحث التي تمت معالجتها من قبل الفلاسفة، ذلك لأن اللغة- بمعناها الخاص- وسيلة من وسائل المعرفة والتفكير، بل هي من أهم وسائلهما.

ومن أوائل الفلاسفة الذين شكلت لديهم اللغة إطاراً مفهومياً مترامي الأبعاد والأغوار, هو أبو نصر محمد بن محمد الفارابي(ت٣٣٩هـ) الذي لم يكتف بعرض مسائل اللغة بين أثناء مؤلفاته, وإنما "كان يرى ضرورة الأخذ بعلوم العربية وقوانينها وسننها في التعبير والخطاب, لأنها أدوات أساسية في البحث المنطقي والفلسفي"[٩٣], فهو لذلك يستثمر ما في اللغة من إمكانات, ثم يسخرها لغرض التحصيل المعرفي الذي يصبو إليه, لذا فقد تحولت اللغة عنده إلى عُدة أساسية لا غنىً عنها لحل لغز الحقيقة.

وقد طرح الفارابي جملة من القضايا اللغوية التي كان للدلالة منها نصيب وافر, ومن ذلك مثلاً تقسيمه للألفاظ ودلالاتها, إذ إنَّ من الألفاظ عنده ما تكون "مفردة تدل على معان مفردة ومنها مركبة تدل على مفردة... والألفاظ الدالة على المعاني المفردة ثلاثة أجناس: اسم وكلمة وأداة، وهذه الأجناس الثلاثة تشترك في أن كل واحد منها دال على معنى منفرد"[٩٤], وهذا النوع من التعامل مع

---

(٤) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: ١٦٩.
(١) الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، مؤسسة النور، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٢ هـ: ١٥/١.
(٢) ينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: ٦٨.
(٣) اللسانيات وأسسها المعرفية: د. عبد السلام المسدي، المطبعة العربية، تونس، ط١، ١٩٨٦م: ٤٧.
(٤) الإحكام في أصول الأحكام: ٧/١.
(١) دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي: د. حسام الآلوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م: ٤٧.
(٢) نفسه: ٤٧.
(٣) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي:٣١.
(١) العبارة(كتاب في المنطق): الفارابي، تح: محمد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب العربي، ١٩٧٢م: ٧٤.

اللغة مبني في أساسه على قواعد النظر العقلي, والحس التصوري اللذين هما أساسان ينبني عليهما المنطق, وتستفيد منهما الفلسفة في استنباط القوانين، لذا فلا غرو إذن أن تأتي مباحث اللغة الدلالية في-خضم هذه البيئة- مشبعة بمفاهيم العقل وأحكام المنطق.

وأما المعاني عند الفارابي فمحلها في النفس, وتقوم الألفاظ بالدلالة عليها, وإذا أريد لرأي ما أن يتغير فعليه أن يعمد إلى تلك المعاني التي هي المعقولات عنده, لذلك يقول: "وأما موضوعات المنطق, وهي التي تُعطي القوانين, فهي المعقولات من حيث تدل عليها الألفاظ, والألفاظ من حيث هي دالة على المعقولات وذلك أن الرأي إنما نصححه عند أنفسنا بأن نفكر ونروي ونقيم في أنفسنا أموراً ومعقولات. شأنها أن تصحح ذلك الرأي"[٩٥], وهذه العلاقة التي يبحثها الفارابي بين اللفظ والمعنى هي نفسها العلاقة بين الدال والمدلول التي يطرحها (دي سوسير) في مباحثه اللغوية، ويتضح طرح (دي سوسير) لتلك العلاقة في اهتمامه "بتحديد قيمة الكلمة أو العلامة اللغوية من خلال النظام اللغوي، وقد حلل هذه العلاقة إلى مكونين.... مكون صوتي هو الدال (Singnirer) ومكون ذهني هو المدلول (Signified) كما ربط بين المدلول المجرد الذي يمثل الفكر, والدال المحسوس الذي يمثل الصوت ربطاً محكماً مما جعل الفصل بينهما أمراً صعباً"[٩٦], فالألفاظ (الدوال) والمعقولات (المدلولات) عند الفارابي هما أنفسهما (المكون الصوتي) و(المكون الذهني) عند (دي سوسير), وفي كلتا الحالتين لا يمكن الفصل بين الاثنين لأنهما يمثلان وجهين لعملة واحدة.

ولا يذكر علم الدلالة عند العرب إلا ويذكر معه أبو علي الحسن بن عبد الله ابن سينا(ت٤٢٧هـ), وذلك نظراً لما انماز به ذلك الفيلسوف الطبيب من بعد عقلي ونفسي جعلاه يغور في أعماق الفكر والروح, مثرياً بذلك نتاجه المعرفي بطابع ملؤه الدقة والتأمل, ولا يكاد ينحصر ذلك الطابع في بعض ما أفاض فيه ابن سينا, وإنما يمتد ذلك ليكون أبرز صفةٍ تفرد بها ذلك الرجل, فهو قد "شرح... العملية الدلالية اللغوية على نحو يثير الفضول العلمي المعاصر اليوم. ذلك أنه وقف على دقائق الأبعاد النفسية اعتماداً على درايته, وبراعته في التحليل العقلي المقترن بالنزعة التشريحية, فقد كان الفيلسوف والطبيب في آن معاً"[٩٧], فلا غرابة إذن إذا جاءت مباحث ابن سينا في هذا المجال أو ذاك محكمة متقنة.

فعن العلاقة بين اللفظ واللافظ يقول ابن سينا "وذلك أن اللفظ بنفسه لا يدل البتة. ولولا ذلك لكان لكل حرف حق من المعنى لا يجاوزه بل إنما يدل بإرادة اللافظ, فكما أن اللافظ يطلقه دالاً على معنى كالعين على ينبوع الماء, فيكون ذلك دلالته ثم يطلقه دالاً على معاني أخرى كالعين على الدنيا فيكون ذلك دلالته, كذلك إذا أخلاه في إطلاقه عن الدلالة بقي غير دال"[٩٨], فاللفظ تبع لإرادة لافظه, يتحكم فيه حيث يشاء, فهو الذي ينقله من معناه المتواضع عليه إلى معنى آخر, وذلك يعني "خروج اللفظ من دلالته بالوضع الأول(الحقيقة) إلى دلالته بالوضع الطارئ(المجاز) على وفق إرادة المتخاطبين باللغة"[٩٩], فابن سينا لا يثير قضية الحقيقة والمجاز في اللغة فحسب وإنما يضفي صفة اجتماعية على تلك اللغة, ذلك لأنّ اللغة عنده تعكس واقع المجتمع الذي يتكلم بها, وهذا ما صار له حقل في اللسانيات الحديثة يعرف بعلم اللغة الاجتماعي، إذ يهتم هذا العلم "بدراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معان اجتماعية وثقافية مألوفة وغير مألوفة، ويشمل أيضاً كل ما يتعلق بالعلائق بين اللغة والمجتمع، مدخلاً في الاعتبار كل الميادين التي نعثر عليها مع علم الاعراف البشرية(Ethnology)، الذي يدرس اللغة لا لذاتها وإنما باعتبارها تعبيراً عن سلالة، عن شعب، عن حضارة"[١٠٠], فاللغة- من منظور علم اللغة الاجتماعي- صورة يُنتجها أفراد المجتمع، وهذا ما ألمح إليه ابن سينا في كلامه السابق, وذلك من خلال ربط اللغة بإرادة المتكلمين بها.

ويناسب ابن سينا في موضع آخر بين الأمور والتصورات، والألفاظ والكتابات, ليبين الصلة بينها, وما يقتضيه كل واحد منها من الآخر, فيقول: "وأما دلالة ما في النفس على الأمور فدلالة طبيعية لا يختلف الدال ولا المدلول عليه, كما في الدلالة بين اللفظ والأثر النفساني, فإن المدلول عليه وإن كان غير مختلف, فإن الدال مختلف ولا كما في الدلالة بين اللفظ والكتابة, فإن الدال والمدلول عليه جميعاً قد يختلفان"[١٠١], فابن سينا في هذا النص يعطي للغة بعدين، أحدهما ثابت، والآخر متغير، والبعدان يمثلان حقيقة تلك اللغة, وهذه الحقيقة هي الدعامة التي يستند عليها اليوم(نوام تشومسكي) في بحثه عن قواسم مشتركة بين اللغات, وسعيه لإقامة

---

(٢) إحصاء العلوم: الفارابي، تحقيق وتعليق: د. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣, ١٩٦٨م: ٧٤.
(٣) أصول تراثية في اللسانيات الحديثة: د. كريم زكي حسام الدين، الرشاد للطباعة والتغليف، القاهرة، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ٨٩.
(١) علم الدلالة العربي: ١٣.
(٢) الشفاء(المدخل): أبو علي الحسن بن عبد الله (ابن سينا)، تح :الأب قنواتي ومحمد الخضري وفؤاد الأهواني، المطبعة الأميرية ، القاهرة، ١٩٥٢م: ٢٥.
(٣) البحث الدلالي عند ابن سينا- في ضوء علم اللغة الحديث (اللسانيات)(رسالة ماجستير): مشكور كاظم العوادي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١١ هـ-١٩٩٠م: ١٨٠.
(١) علم اللغة الاجتماعي عند العرب: د. هادي نهر، دار الغصون، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ -١٩٨٨م:٢٤.
(٢) العبارة(الشفاء): ابن سينا، تح: محمد الخضري، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٠م: ٥.

نظريته في النحو الكلي(Universal Grammar), إذ إنّ التركيب الذهني واحد عند جميع البشر, وكذلك المدلولات في العالم الخارجي, وإنما الاختلاف يكمن في الدلائل والرموز[١٠٢].

وإذا كانت اللغة بمضامينها الدلالية قد أعانت الفيلسوف على (عقلنة) الأشياء وأخضاعها إلى رؤاه المنطقية, فظلت اللغة بذلك رهينة تلك الرؤى من جانب، فإنها(اللغة) من جانب آخر قد بقيت دون ما يمثل منطقها الخاص، أو طبيعة العلاقات التي تحكمها، فعلى الرغم من الدقة والشمول اللذين ميزا المباحث الفلسفية عامة، واللغوية منها على وجه الخصوص، فإن ذلك لم يعكس واقع اللغة بقدر ما عكس تصورات الفلاسفة ونظراتهم العقلية للأشياء، واللغة منها بطبيعة الحال, فإذا كان هناك من منطق وعقل يحكمان اللغة فهما غير المنطق والعقل اللذين يحكمان الفلسفة, فمنطق اللغة وعقلها هما اللغة نفسها لا منطق الفلاسفة وعقلياتهم.

٣- مباحث علم الدلالة عند البلاغيين:

لقد قادت التجاذبات التي دارت حول قضية(خلق القرآن) إلى الخوض في حقيقة كلام الله تعالى، وهذا ما استتبع طرح مسألة اللفظ والمعنى، وحدود كل واحد منهما، وطبيعة العلاقة التي تربط هذا بذاك، ثم حَتَّم ذلك- بدوره- التصدي لبيان مزية النص القرآني، وإظهار وجوه الإعجاز فيه، لذلك فقد جاء بين أثناء مباحث البيان والبلاغة من الموضوعات ما يمكن أن يضاف إلى الرصيد العربي في ميدان الدلالة.

فأصناف البيان مثلاً كما حددها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ) خمسة أنواع، تشمل ما هو لفظي وغير لفظي، وقد حدد الجاحظ تلك الأنواع بقوله: "وجميعُ أصنافِ الدَّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياءَ لا تنقُص ولا تَزيد: أوّلها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد، ثمّ الخَطّ، ثمَّ الحالُ التي تسمّى نِصْبةً"[١٠٣]، فالجاحظ لا يحصر النظام العلاماتي باللفظ وحده، وإنما يجعله مستوعباً كل ما يؤدي وظيفة دلالية من أنظمة الأشياء، وهذه الشمولية هي التي يذهب إليها علم السيمياء الحديث، الذي هو "علم يهتم بدراسة أنظمة العلامات: اللغات، أنظمة الإشارات، التعليمات... وهذا التحديد يجعل اللغة جزءاً من السيمياء"[١٠٤]، وإذا كانت اللغة تشكل حيزاً من ذلك العلم، فإنّها عند الجاحظ تعد النظام الأهم من بين سائر الأنظمة الإبلاغية الأخرى، فهي تأتي عنده في المرتبة الأولى, وقد خصها بالحديث عندما قارن بين الألفاظ والمعاني فقال: "ثم اعلم-حفظك الله- أنّ حُكْمَ المعاني خلافُ حكمِ الألفاظ؛ لأنّ المعانِي مبسوطةٌ إلى غير غاية وممتدةٌ إلى غير نهاية، وأسماءَ المعاني مقصودةٌ ومعدودة ومحصَّلةٌ محدودة"[١٠٥]، فهو يُقرّ بركني العلاقة اللسانية إقراره بالاختلاف بينهما، وهذه الثنائية هي التي اعتمدها(دي سوسير) في أبحاثه اللغوية، فكانت عنده على شكل وجهي الورقة الواحدة[١٠٦].

والدلالة عند الجاحظ أيضاً هي التي تتكفل إظهار القصد، وبيان "المعاني القائمة في صدور الناس المتصوَّرة في أذهانهم والمختلَجة في نفوسهم... وعلى قَدْر وُضوح الدَّلالة وصوابِ الإشارة، وحسن الاختصار، ودِقّةِ المَدْخَل يكون إظهارُ المعنى... والدَّلالة الظاهرةُ على المعنى الخفيّ هو البيانُ الذي سمِعْتَ الله عز وجل يمدحُه، ويدعو إليه ويحثُّ عليه"[١٠٧]، فالدال اللساني لا تتأتى أهميته من قيمته الذاتية، وإنما مما يؤديه من وظيفة دلالية يجعل ذلك الدال محققاً لغايات الكلام البشري.

لقد بقيت ثنائية اللفظ والمعنى هاجساً يلقي بظلاله على الدراسات التي تلت الجاحظ بعقود، بل إن النظر في تلك المسألة قد تعمق إلى الحد الذي لا يكتفي برصد علاقة اللفظ بمعناه، وإنما ذهب كذلك إلى رصيد العلاقات التي تحكم المعنى بعضه ببعض داخل المركب الجملي، وقد تهيأ هذا الفهم لعبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت٤٧١هـ)، فصاغ منه نظرية مكتملة الجوانب عرفت بـ(نظرية النظم)، إذ عند الجرجاني أنّ "النظم في جوهره يتَّصل بالمعنى من حيث هو تصوُّر للعلاقات النَّحْويّة، كتصوّر

---

(٣) ينظر: علم الدلالة العربي: ١٥, تشومسكي(فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه): د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٤٠٩ هـ -١٩٨٩م: ١٥١، علم الدلالة- أصوله ومباحثه في التراث العربي: ١٤٨.
(١) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: د.عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م: ٧٦/١.
(٢) السيمياء: بيارغيرو، تح: أنطوان أبو زيد ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط١، ١٩٨٤م: ٥.
(١) البيان والتبيين: ٧٦/١.
(٢) ينظر: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة: ٨٩، علم السيمياء في التراث العربي(مقال): د. بلقاسم دقّة، مجلة التراث العربي، دمشق، ع٩١، س٢٣، ٢٠٠٣م: ٧٠.
(٣) البيان والتبيين:٧٥/١.

العلاقة الإسنادية بين المسند إليه والمسند، وتصوُّر علاقة التَّعْدية بين الفعل ومفعوله، وتصوّر علاقة السببية بين الفعل والمفعول لأجله، الخ"[١٠٨].

فلم يعد النحو عند عبد القاهر أداة تناط بها مسؤولية ضبط الصواب والخطأ من الكلام، وإنما تحول النحو عنده إلى منظومة ذات أبعاد دلالية تتحكم ببث القيم الجمالية بين الجمل، وذلك من خلال ما ينتظم بين مركب تلك الجمل من علاقات، فالمفردة - وهي من مركب الجملة- لم توضع للدلالة على نفسها، وإنّما توضع لكي تتضح قيمتها الدلاليّة وذلك عندما تصير جزءاً من النسيج الجملي, يقول عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز) موضحاً تلك الحقيقة: "فلا يقوم في وَهْمٍ ولا يصحّ في عقل، أن يتفكَّر مفكِّر في معنى (فِعْلٍ) من غير أن يريد إعمالَه في(اسم)، ولا أن يتفكر في معنى (اسم) من غير أن يريد إعمالَ (فِعْلٍ) فيه، وجعله فاعلاً له أو مفعولاً، أو يريد فيه حكماً سوى ذلك من الأحكام، مثل أن يريد جَعْلَه مبتدأً أو خبراً أو صفة أو حالاً، أو ما شاكل ذلك"[١٠٩]، فالمعنى المعجمي للكلمات غير كاف لإبراز السمات الدلالية لتلك الكلمات، وإنما الذي يعطي تلك الكلمات كفايتها الدلالية هو أن تنظم في سلك يرتضيه النظام النحوي الذي يتبع ترتيب المعاني في النفس، فأمر النظم عند عبد القاهر "ليس شيئاً غيرَ توخِّي معاني النحو فيما بين الكَلِم، وأنك ترتب المعاني، أولاً في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظَ في نطقك"[١١٠]. إن المعنى الذي طرحه الجرجاني للنحو ووظيفته الدلالية هو الذي يؤكده اللغوي(بيرس) الذي يصرح بأنّ "المعنى ليس ما تحمله الوحدة المعجمية في نظام علائقي مع وحدات معجمية أخرى، وإنّما المعنى عبارة عن علاقة معقدة بين أحداث كلامية وأوجه أخرى للواقع الموضوعي"[١١١].

أما طريقة أداء المعنى والدلالة عليه، فلها عند عبد القاهر ضربان، "ضرْبٌ أنت تصِل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحدَه، ولكن يَدُلّك اللفظ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دِلالَةً ثانية تصل بها إلى الغرض"[١١٢], فالمعنى قد لا يكون الغاية التي يمكن الحصول عليها مباشرة مما يدل عليه اللفظ، بل ربما أحال ذلك المعنى إلى فضاء معنى آخر، فيكون ذلك الآخر معنى للأول منهما، وقد أشار الجرجاني إلى كلا المعنيين بقوله: "وإذ قد عرفت هذه الجملة، فهمُنا عبارة مختصرة وهي أن تقول:(المعنى)، و(معنى المعنى)، تعني بالمعنَى المفهومَ من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"[١١٣], وقد صارت تلك القضية التي طرحها الجرجاني في القرن الخامس للهجرة موضوعاً لكتاب أصدره اللغويان (ريتشاردز وأوجدن)، يحمل عنوان (The meaning of meaning)، أو(معنى المعنى)، وذلك في عام ١٩٢٣م[١١٤]، ففكرة العنوان تُوحي بما أشار إليه عبد القاهر من قبل.

ويتضح مما سبق أنّ المباحث الدلالية عند البلاغيين لم تكن في أغلبها منطلقة من أسس خارج نطاق اللغة، فهي لم تحكم بقواعد الذوق الخاص كما هي الحال عند النقاد، وهي كذلك لم تخضع لقوانين العقل والمنطق، كما اتضح ذلك جلياً عند الفلاسفة، وإنّما اتسمت تلك المباحث - ولا سيما ما عرض لها عبد القاهر- بملاءمتها لروح اللغة، فهي(المباحث) لم تُلزم نفسها بما لم تلزم اللغة نفسها به، ولم تستعن بغير اللغة في استنباط الأحكام التي انبنت عليها تلك اللغة، لذلك جاءت تلك الأحكام لتعكس بنية العقل العربي الذي صدرت منه التراكيب اللغوية.

٤- مباحث علم الدلالة عند اللغويين:

لا يُراد من كلمة(اللغويين) في هذا المحل المعنى الذي حدده القدماء، والذي ينحصر في طائفة دون أخرى، وإنّما المراد من الكلمة معناها العام الذي يشمل جميع من اشتغل باللغة سواء أكان على مستوى الجمع، أم على مستوى التنظير والتقنين.

---

(٤) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٥م: ٩٥.
(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م:٤١٠.
(٢) نفسه: ٤٥٤.
(٣) علم الدلالة- أصوله ومباحثه في التراث العربي: ١٥٨.
(٤) دلائل الإعجاز: ٢٦٢.
(١) دلائل الإعجاز: ٧٨.
(٢) ينظر: علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي: ٣١٩- ٣٢٠.

وقد تنوعت المباحث الدلالية لدى اللغويين القدامى حتى شملت اللغة بمستوياتها المختلفة، ابتداءً من أصغر وحدة كلامية حتى أكبرها، بل إنّ اللغة بمجملها قد تحولت عند لغويي العرب إلى منظومة ذات طاقة اشارية، لا يكاد يخلو جزء من أجزائها من أبعاد دلالية تُسهم في تأدية المعنى. فاللغة في العرف العربي هي "أصواتٌ يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[١١٥], فهي إذن نظام من الرموز، وظيفته التعبير عن الأغراض، وأغراض الناطقين بها على وجه التحديد، غير أنّ ذلك لا يعني أنّ نظام اللغة لا ينطوي هو الآخر على شبكة من الأنظمة تتحكم فيه وتحدد مساره, فللصوت- وهو جزء من اللغة- نظام، وللصيغ الصرفية نظام، وهي أيضاً جزء من اللغة، وكذلك للجمل- التي هي الوحدات الكبرى في اللغة- نظام. وقد فطن العربي لكل مستوى من تلك المستويات، فسعى لإعطاء كل واحد منها نصيبه من الدلالة.

فالحركة- وهي بعض الحرف(الصوت)[١١٦]- تمتلك(طاقة) دلالية تجعلها منسجمة مع ما تعتبر عنه، وقد صرح بذلك أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، عندما ذكر أنّ "الذِّلُّ في الدابة: ضد الصعوبة، والذُّلُّ للإنسان وهو ضد العز. وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة، لأنّ ما يلحق الإنسان أكبر قدراً مما يلحق الدابة، واختاروا الضمة للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة"[١١٧]، وكذلك "قولهم للسُّلَّم: مِرقاة، وللدرجة مَرْقاة، فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقي, وكسر الميم يدل على أنّها مما ينقل ويعتمل عليه وبه كالمِطرقة والمِئزر والمِنجل، وفتحة ميم مَرقاة تدل على أنه مستقر في موضوعه، كالمنارة والمثابة"[١١٨], فليست الحركة في الدرس العربي هي ذلك الحيز النطقي والخطي الذي يُشغل من بنية الكلمة , وليست الحركة أيضاً هي التي " تقلقل الحرف الذي تقترن به, وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها"[١١٩]، وإنّما للحركة أثر يمتد ليمس واقع المعنى المعبَّر عنه، لذا فالحركة "تُعد... في داخل الكلمة العربية ملمحاً تمييزياً كذلك؛ لأنّها تغير المعاني"[١٢٠]، إذ المقصود من المعاني هو حقيقة المدلول عليه الذي جاءت الحركات لتحاكيَه. وعلى وفق ذلك التصور "يتعامل علم اللغة الحديث مع الحركة على أنّها عنصر له أهميّة في التعبير عن المعنى"[١٢١].

أما إيحاء الصوت اللغوي بتمامه بالمعنى المراد التعبير عنه، أو بالمسمى الذي يرام إيصاله إلى الآخرين، فأمره أكثر جلاء من الحركة عند ابن جني، فقد يكون ذلك المسمى قوياً أو ضعيفاً، فيأتي الصوت مشيراً إلى كلا الحالين، وقد مثل ابن جني لذلك قائلاً: "ألا تراهم قالوا قَضَم في اليابس، وخَضَم في الرَّطْب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف"[١٢٢], فلصفة الصوت إذن وما تنماز به مسوّغ في الدلالة على المعنى، لذلك "اختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حَذْواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[١٢٣]، فكأنّما الصوت اللغوي-عند ابن جني- قد اختزل ذلك المعنى فصار معبراً عنه، وصار الصوت دليلاً عليه، ويضرب ابن جني مثلاً آخر، مستشهداً بقوله تعالى:

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ (الرحمن/٦٦)، فيقول: "النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح... فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغِلَظها- لما هو أقوى منه"[١٢٤]، فالقوة والضعف قد عُبّر عنهما صوتياً.

---

(١) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت: ٣٣/١.
(٢) لم تتضح الحدود التي تفصل بين الحرف والصوت لدى اللغويين العرب القدامى، ولذلك تداخلت التسميات لديهم، للتفصيل والاستزادة ينظر: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب- في ضوء علم اللغة الحديث (أطروحة دكتوراه): تحسين عبد الرضا الوزان، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م: ٤٩-٥٥.
(٣) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: علي النجدي ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م: ١٨/٢.
(٤) الخصائص: ١٠٠/٣.
(٥) سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي, دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع, دمشق, ط٢, ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م: ٢٦/١-٢٧.
(١) الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب- في ضوء علم اللغة الحديث: ١٦٩.
(٢) الصوائت والمعنى في العربية- دراسة دلالية ومعجم: د. محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م: ١٧.
(٣) الخصائص: ٦٥/١.
(٤) نفسه: ١٥٧/٢-١٥٨، وينظر: المحتسب: ١٩/٢.
(٥) الخصائص: ١٥٨/٢.

ويذهب ابن جني مذهباً أبعد من ذلك، فيجعل لتقارب الصوتين من حيث الصفات أثراً في تقارب المعنيين المومأ اليهما، ودليله على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (مريم/٨٣)، إذ

كانت كلمة(تؤزهم) عنده "في معنى تهزُّهم هَزّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ, لأنّك قد تهزّ ما لابال له، كالجذع وساق الشجرة"[١٢٥]، فكأنّ لكل معنى- حسب رأي ابن جني- صوته الخاص الذي إن لم يتكفّل الدلالة على ذلك المعنى كله، فهو يلمّح له تلميحاً. "وبناء على ذلك ستؤدي الحروف وظيفة بوصفها عناصر تمييزية خالصة إذ ستساعد على تمييز معاني الكلمات"[١٢٦]، وهذا ما يقره الدرس الألسني الحديث كما سيتضح لاحقاً.

ومما تجدر ملاحظته في مباحث الصوت والدلالة التي عرض لها ابن جني، أنّها جاءت مقرونة بشواهدها التي قد تكون كلمة واحدة أو مجموعة كلمات كالآية القرآنية والحديث النبوي، ذلك حتى لا يُتوهم أن الصوت بمفرده له قيمة دلالية، إذ "إنّ الفونيم [الصوت] يشارك في الدلالة ولكن ليس له دلالة في حد ذاته ووظيفة الفوينم في الوحدة اللغوية للدلالة على أنّ لهذه الوحدة معنى آخر يختلف عن معنى أي وحدة مماثلة لها"[١٢٧].

وأما دلالة الصيغ الصرفية على المعنى فقد أدركها العربي بحسه اللغويّ قبل أن تمثُل اللغة أمامه مادةً للدرس والتنظير، ويظهر ذلك في المشهد الذي نقلته كتب الأدب عن حسان بن ثابت الأنصاري وهو ينشد بيته الشهير[١٢٨]:

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَما

فعابه النابغة الذبياني قائلاً له: "لقد قللت جفانك وسيوفك"[١٢٩]، فالمعنى يحتم على الشاعر استخدام صيغ تدل على الكثرة، لأنّه في موضع فخر وتعظيم، وقد أدرك النابغة ما للصيغة الصرفية من أثر في الدلالة على المعنى والإرشاد إليه.

وعندما تصير اللغة بين يدي الدارسين من لغويي العرب، فإنّ لظاهرة دلالة الصيغ على المعنى محلاً من مباحث الدرس اللغوي العربي. وقد كان لسيبويه(ت١٨٠هـ) وقفات عدة لاستظهار ما امتازت به بعض الصيغ الصرفية من دلالات, ومن تلك الوقفات التي جاءت في متن كتابه (كتاب سيبويه) قوله: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النَّزَوان, والنَّقزان, وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع. ومثلُه العَسَلان والرَّتَكان"[١٣٠], فالصيغة الصرفية- كما يظهر في كلام سيبويه- قد تحكمت في المعنى وكانت عنصراً ذا دلالة. وللدلالة على صوت ما - عند سيبويه أيضاً- ما يعبر عنه من صيغ، يقول سيبويه ذاكراً دلالة بعض الصيغ على الأصوات: "فُعال نحو النّزاء والقُماص، كما جاء عليه الصوت نحو الصّراخ والنّباح؛ لأن الصوت قد تكلف فيه من نفسه ما تكلَّف من نفسه في النَزَوان ونحوه", أو قد يجيء الصوت "على فعيل كما جاء على فُعال... وذلك نحو الهدير، والضجيج، والقليخ، والصهيل، والنهيق، والشحيج"[١٣١]، ومما خصصه سيبويه في كتابه لهذا الموضوع باب أفرده تحت عنوان "هذا باب ما جاء من الأدواء على مثال وجعَ يَوْجَعُ وهو وَجع، لتقارب المعاني وذلك: حَبطَ يحْبط حَبَطاً وهو حبط، وحبج يَحْبَج حبَجاً وهو حَبَجٌ"[١٣٢]، ثم ذكر أوزاناً أخرى لها دلالة على الداء أيضاً. والأمثلة في هذا الصدد كثيرة في كتاب سيبويه، فهو قد "تناول الجوانب الدلالية للصيغة الإفرادية التي لا تحدد دلالتها إلا بالنظر إلى بنيتها المورفولوجية[الصرفية] وما تضمنته هذه البنية على هذه اللفظة من دلالات وبالتالي تصبح أمراً مكتسباً من الوزن ذاته"[١٣٣]. وقد أكد النظر اللغوي الحديث هذا المنحى من الدراسة، فصار له حقل خاص في علم الأسلوب، ذلك أن "الكلمات يمكن أن تخضع للبواعث المحركة لها فتصبح شفافة

---

(١) الخصائص: ١٤٦/٢.
(٢) ست محاضرات في الصوت والمعنى: رومان ياكوبسون، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط١، ١٩٩٤م: ١١٠.
(٣) العلاقة بين الصوت والمدلول(بحث): عبد الكريم مجاهد، كتاب المورد، دراسات في اللغة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م: ٨٥ (في هامش٧٣).
(٤) ديوان حسان بن ثابت: تح: وليد عرفات، لندن، ١٩٧١م: ٣٥/١.
(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٦٧م: ١٧/٨.
(٢) كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م: ١٤/٤.
(٣) نفسه: ١٤/٤.
(٤) نفسه: ١٧/٤.
(١) الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: د. صفية مطهري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م: ٣١.

أو معتمة. ويتم هذا على مستويات صوتية وصرفية ودلالية، ولكل منها نتائج أسلوبية بارزة... أما الباعث الصرفي فيتمثل في وجود صيغ ومشتقات صرفية شفافة ذات أثر أسلوبي وبخاصة تلك التي تتصل بالمجال العاطفي مثل التصغير والتحقير والهزل والسخرية وغيرها من الصيغ التي قد تكتسب دلالة أسلوبية جديدة في سياق تعبيري يبرز شفافيتها ويخفف من عتمتها"[١٣٤]، وليست شفافية الصيغ إلا دلالتها على المعاني، وإرشادها إليها.

ولم يقتصر جهد سيبويه في مجال الدلالة على صيغ الصرف وما تدل عليه، وإنما توسع ذلك الجهد ليشمل الجمل التي أقام سيبويه تقسيمه لها على أسس دلالية، تعتمد الوظائف النحوية، والوظائف المعنوية معاً في الحكم على صحة الجملة أو خطئها، وقد ورد تقسيم سيبويه للجمل تحت باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فالكلام عنده- وهو الجمل نفسها[١٣٥]- على أنواع، "فمنه مستقيم حسنٌ، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب"[١٣٦]، وأعطى سيبويه لكل نوع من الأنواع مثالاً يوضحه فقال: "فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمْس وسآتيك غداً وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً وسآتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدٌ رأيت، وكي زيد يأتيك وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[١٣٧], فالكلام(الجمل) عند سيبويه يأخذ استقامته ومحاله من حقيقة المكونات التي تنتظمه، وما يلازم تلك المكونات من علاقة، أي بمعنى آخر أن الكلام يأخذ استقامته من المعنى أولاً، ومن الوظائف النحوية ثانياً، ثم من العلاقة التي تربط هذه الوظائف بالمعنى ثالثاً، فإذا كانت الوظيفة النحوية للمفردة لا تتعارض مع معنى تلك المفردة يكون الكلام من المستقيم الحسن، أما إذا كانت تلك الوظيفة صحيحة ولكن معنى المفردة- وهو ما تستجلبه علاقة المفردة بغيرها- فإن الكلام يكون غير صحيح، ذلك لأنه يكون حينئذٍ إما مستقيماً كذباً، أو مستقيماً قبيحاً، "فالكلام المستقيم نحوياً تتوزع استقامته على ثلاثة أنواع هي: المستقيم الحسن، والمستقيم الكذب، والمستقيم القبيح. فكل جملة صحيحة نحوياً تعد جملةً مستقيمة، ولكن الحكم على هذه الاستقامة بالحسن أو بالكذب يتعلق بالمعنى الذي تفيده عناصر الجملة عندما تترابط نحويا"[١٣٨]، وأما المحال من الكلام عند سيبويه فهو الذي تلتبس بعض عناصره نحوياً ومعنوياً مع بعضها الآخر فتكون نتيجته تراكيب غير مألوفة في النظام النطقي للجملة العربية، فبينا تدل كلمة(سآتيكَ) في مثال سيبويه على المستقبل زمناً، تجيء كلمة (أمس) في التركيب نفسه لتدل على المضي، فيظهر التناقض بين الاثنين مما يخرج ذلك المكون من التركيب الصحيح للجمل.

وعلى ذلك الفهم للنحو ووظيفته الدلالية أقام سيبويه النظام النحوي للكلام (الجمل), ذلك النظام الذي لم يكن "معداً للكلمات الهرائية أو الفراغ، ولكنه معدٌ لأن تتحقق في علاقاته المفردات الملائمة بدلالاتها الأولية التي تتفاعل مع الوظائف النحوية تفاعلاً يكسبها معناها المناسب ويتحقق به (المعنى النحوي الدلالي)"[١٣٩]، أي من خلال المزاوجة بين النحو والدلالة.

ولطرح سيبويه امتداد في الدرس اللساني الحديث، فقد "ناقش بيرلنج (Burling) موضوع العلاقة بين النحو والمعنى... فوقف عند الجملة: ذهب غداً(He went tomorrow) إذ رأى فيها مثالاً على خطأ من نوع ما. وتساءل عن أصل الخطأ فيها: أنجم عن خرقها لقاعدة نحوية أم لقاعدة دلالية. وتراءى له أنه يمكن القول إنّها تخرق القاعدتين معاً. وقَدَّر أننا نستطيع أن نُقيم قاعدتين: نحوية ودلالية تفسر كل منها وجه الخطأ في تلك الجملة"[١٤٠], وهذا التصور للنحو والدلالة يقرب كثيراً من تصور سيبويه لهما.

ومن الظواهر الدلالية الأخر التي لفتت نظر سيبويه فكانت جزءاً من كتابه، ظاهرتا الترادف والاشتراك، إذ قال سيبويه مشيراً إلى تلكما الظاهرتين: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو جلس وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذهبَ وانطلقَ. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجَدت عليه من المَوْجدة، ووجَدت إذا أردت وجدان الضالَّة"[١٤١]. فالأمر عند سيبويه قد

---

(٢) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم- دراسة نظرية وتطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة: د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م: ٤٦(في هامش٢).
(٣) لم يفرق سيبويه بين الكلام والجمل, ينظر: كتاب سيبويه: ١٢٢/١, الخصائص:١٨/١-١٩, الجملة العربية- مكوناتها، أنواعها، تحليلها: د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠٠١م: ١٨-١٩.
(٤) كتاب سيبويه:٢٥/١.
(٥) نفسه: ٢٥/١.
(١) النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، ١٩٦٣م: ٦٣.
(٢) نفسه: ٨٣.
(١) نظرية النحو العربي- في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: د. نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م: ١٠٢.
(٢) كتاب سيبويه:٢٠/١.

تجاوز المفردة الواحدة في دلالتها، ليبحث في العلاقة التي تربط تلك المفردة بغيرها، سواء أكان ذلك على مستوى اللفظ أم على مستوى المعنى، فالأولى منهما تسمى ظاهرة (المشترك اللفظي)، والأخرى تسمى ظاهرة (الترادف). وكلا الظاهرتين- مع غيرهما- يدخلها علم اللغة الحديث في حقل(العلاقات الدلاليّة) أو (علاقات المعنى)[١٤٢].

إن أهم ما يخلص إليه البحث من الوقوف عند مباحث علم الدلالة لدى اللغويين أن تلك المباحث لا تضمر وراءها غاية غير اللغة التي بدأت منها، ومن ثم اتخذتها وسيلة تكشف بها عن مكنون تلك اللغة، أي أنّ اللغة قد تحولت بين يدي بعض اللغويين إلى وسيلة وغاية في الوقت نفسه، فهم لم يصدروا عن ضوابط مسبقة تحدد شكل تعاملهم مع اللغة، بقدر ما فرض عليهم الواقع اللغوي من نمط للتعامل، ولم يستعينوا بأدوات من خارج نطاق اللغة توصلهم إلى المجاهيل التي تنطوي عليها مادة درسهم سواء في شكلها أم في مضمونها، وهذا ما يفسر السعي لإقامة أُسس التقعيد على أساس العلاقة بين اللفظ(الشكل) والمعنى(المضمون)، فكانت النتيجة أن ترصد قوانين بعض الأنظمة التي تحكم بناء اللغة وتتحكم في شكله، وذلك من خلال تعرّف المكون الدلالي لكل عنصر من عناصر البناء اللغويّ، وهذا ما جعل المباحث التي عقدها اللغويون(للدلالة) تمس اللغة بشكل مباشر من دون أن تصل إليها بوسائلَ غيرِها، أي بمعنى الاستفادة من اللغة في فهم اللغة.

إنّ تلك النظرة للغة هي التي أكسبت البحث اللغوي الحديث سمة العلمية، إذ صارت اللغة عنده "معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها"[١٤٣].

أما الغرض الذي توخاه البحث من عرض بعض المباحث التي تخص علم الدلالة في التراث العربي، فهو الإشارة فقط إلى ما انطوى عليه ذلك التراث من رصيد معرفي يؤهله لأخذ مكان مناسب بين المعارف الإنسانية بشكل عام. وقد حاول البحث – ما استطاع- من خلال ذلك ربط مباحث الجهد الدلالي العربي بمعطيات النظر اللغوي الحديث، من دون تتبع واستقصاء، لأنّ ذلك مما يخرج البحث مما هو في سبيله، ولكن في ذلك ما يدعو إلى الرجوع إلى التراث بشكل واعٍ بغية قراءته بمفاهيم جديدة تجعل منه نتاجاً ذا قيم إنسانيّة قبل أن يكون إنجازاً تؤطره عوامل الزمان والمكان. وأما ما حاول البحثُ الاستفادة منه من خلال عرض بعض مباحث الدلالة في التراث العربي فهو استخلاص منهج لغوي يصلح لدراسة اللغة لذاتها، ومادام البحث –هنا – هو بحث في الدلالة فان السعي كان استلال علم دلالة اللغة عربياً، وما ذلك إلا لغرض دراسة دلالة اللغة في (خطب نهج البلاغة).

ثالثاً: علم الدلالة... نظرة حديثة

لم تستقر الدراسة التي تتخذ من المعنى محوراً لها علماً له سماته المنهجية حتى دخلت اللغة مختبر التجريب, وغدا من الضروري إخضاع محتوى اللغة لما أُخضع له شكلها , ولعل طبيعة المعنى – موضوع علم الدلالة – هي التي أرجأت اكتشاف النواميس التي تتحكم فيه, إذ إن ما انطوت عليه تلك الطبيعة من تركيب وتعقيد جعلت منه ومن العلم المختص به مداراً يستقطب علوماً مختلفة من جهة, ومن جهة أخرى فقد فرض تعقيده استبعاده أصلاً من مجال الدرس في الوقت الحاضر على الأقل, ذلك لأن "معظم اللسانيين قد صب براعته وفطنته على جسد الكلمات وشكلها , أما القوانين التي تحكم تحول المعاني واختيار التعابير الجديدة, وولادة العبارات وموتها فقد تركت في الظل, أو لم تكن الإشارة إليها إلا بشكل عابر"[١٤٤]. ولم يختلف علم الدلالة عن غيره من العلوم من حيث تداخله مع حقول معرفية أخرى, لكن الميدان الأبرز والأكثر التصاقاً به هو علم اللغة, فالعلمان لم يتضارعا في مادة

---

(٣) ينظر: علم الدلالة دراسة وتطبيقاً: د. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة فازيونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥م: ١٠٥.
(١) علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي:٥٠.
(١) اللسانيات والدلالة - الكلمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري ، حلب، ط١، ١٩٩٦م: ٦٩ (في هامش١).

العمل فحسب, وإنما قد تشابها أيضاً في منهج التعامل مع تلك المادة, فكما كانت مادة علم اللغة (اللسانيات) هي مجموعة اللغات (الهندو- أوربية), كذلك "كان من أشهر اللغات التي تناولها علم الدلالة بالبحث وركز فيها على مفهوم الغرابة هي تلك التي اهتمت بها اللسانيات التاريخية نفسها, أي مجموعة اللغات (الهندو- أوربية) ومجموعة اللغات السامية"[١٤٥] . وكما اتسم علم اللغة – أول نشأته- وهو يتتبع المفردات في مسيراتها الحياتية, بالتاريخية, فإن استعمال كلمة (علم) في دراسة المعنى بدايةً لم تكن "لمجرد المعنى, بل إلى تطوره بما سنسميه بعدئذٍ بعلم الدلالة التاريخي"[١٤٦], وقد ظهر ذلك المنحى من التناول "في الدراسة التي تقدم بها (ميشيل بريال) عام ١٨٨٣ بعنوان "القوانين العقلية للغة: نبذة دلالية"[١٤٧], ولم تحل تاريخية هذه الدراسة دون عدها ميلاداً للعلم الذي يبحث في القوانين والأنظمة التي تتحكم في المعنى, غير أن الدراسة اللاحقة لـ(بريال) نفسه, والتي حملت عنوان (دراسات في المعنى), وذلك في عام ١٨٩٧ هي التي أكسبت(علم الدلالة) مسماه, ذلك لأن (بريال) قد استبعد في دراسته تلك الجوانب التي تعنى بتتبع اللغة في أطوار زمنية مختلفة, واكتفى برصد ظاهرة المعنى رصداً آنياً في فترة زمنية محددة, "فقد عالج دراسة المعنى بشكل علمي , وأوضح أن هذه الدراسة غير معنية بالدرجة الأولى بتغييرات المعنى من الناحية التاريخية"[١٤٨], وفي ضوء ذلك صار العلم الذي يدرس المعنى بشكل منهجي منظم, وبتلك الكيفية يعرف بـ(علم الدلالة), أو (السيمانيتك) (Semantique)[١٤٩].

ولكي يخصص هذا البحث مجاله أكثر, ويعين الدلالة التي يتوخاها, فإنه سيحدد دلالة اللغة دون غيرها, ذلك لأن "موضوع الدلالة هو كل ما يقوم بدور العلامة والرمز سواء أكان لغوياً أو غير لغوي , إلا أن التركيز يكون على المعنى اللغوي في مجال الدراسة اللغوية"[١٥٠], أي أن البحث سيستفيد من اللغة لينفذَ إلى المعنى من خلالها , فهو بحث يسعى-ما أمكنه- لاستظهار معاني اللغة عن طريق دلالة اللغة نفسها, أما عينات عمل هذا البحث فإنها ستكون من(خطب نهج البلاغة).

الفصل الثاني

مستويات اللغة في خطب نهج البلاغة

الأنماط.... الدلالات

لمّا خلُص البحثُ- في فصله السابق- إلى النتيجة التي رسمت بعضاً من ملامح الجهد الدلالي العربي، وحاول أن يستلَّ من بين ذلك الجهد منهجاً يصلُح لأن تدرس اللغة من خلاله، أو يدرس هو من خلال اللغة، مع ربط هذا وذلك بالمنتج اللساني الحديث، فإنه سيعمد- في هذا الفصل- إلى ذلك المنهج، ويتخذُ من أدواته آلياتٍ لدراسة اللغة في مستوياتها المختلفة، أو بمعنى آخر أنّ هذا البحث سيحاول أن يقف عند كلِّ مستوى من مستويات اللغة عندما يصير كلُّ مستوى منها عنصراً ذا أثر في الدلالة على المعنى، أو على شيءٍ من المعنى، والإرشاد إليهما.

ولا يعني اعتماد ذلك المنهج أنَّ هذا المستوى أو ذاك قد اختزل ذلك الأثر وأدّاه بمفرده، فتلك وظيفة تكفلها أُمورٌ مختلفة منها اللغة بمستوياتها، وإنما يعني اعتماد ذلك المنهج بيان ما يسهم به كلُّ مستوى من مستويات اللغة داخل كيان تلك اللغة كلها في إيصال المتلقي إلى المعنى، وتلك هي وظيفة الدلالة، أو وظيفة الدلالة في اللغة على وجه التحديد.

فـ(البحث)- في هذا الفصل- بحثٌ في الوظيفة الدلالية لكل مستوى من مستويات اللغة، ابتداءً من أصغر وحدة في تلك المستويات وهي (الحركة)، وانتهاءً بأكبرها وهي (الجملة).

أما النماذج التي سينتقيها البحث موضوعاً لدراسته فهي من(خطب نهج البلاغة) للإمام عليّ بنِ أبي طالب(عليه السلام)، وإذا كان الأمر كذلك فإن من نافلة القول الحديث عن (نهج البلاغة) أو خطبه، أو عن صاحبهما، إذ إن في سوى هذا البحث شيئاً من الغَنَاء لذينك الأمرين، وإن غاية هذا البحث تكاد تنحصر في اللغة عينها، أو ما تؤول إليه اللغة من معنى، إذ سيكون المسعى إلى ذلك عن طريق النظر إلى اللغة عبر زوايا مستوياتها المختلفة.

---

(٢) نفسه: ١٧٤.
(٣) علم الدلالة: ف. بالمر، تر: عبد الحليم الماشطة، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥م: ٣-٤.
(٤) اللسانيات والدلالة: ١٧٢.
(١) علم الدلالة (بالمر): ٤.
(٢) الكلمة(Semantique) فرنسية, وتعني دلالية. ينظر: قاموس اللسانيات (عربي، فرنسي- فرنسي، عربي) مع مقدمة في علم المصطلح: د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م: ١١٨, ١٨٥.
(٣) علم الدلالة: كلود جرمان وريمون لوبلان، تر: نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق، ١٩٩٤م: ٥-٦.

أولاً: دلالة الحركات في خطب نهج البلاغة:

الحركات مفردها حركة، والحركة- في معاجم اللغة- هي "ضد السكون، وحرّكته فتحرك. ويُقال: ما به حراك، أي حركة"[١٥١]. والحركات في حيز علم الأصوات هي- كما حدّها ابن جني- "أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو"[١٥٢]، هذا من حيث الطبيعة النطقية للحركات، إذ إن المدة الزمنية التي تستغرقها الأصوات في النطق هي ضعف المدة التي تستغرقها الحركات التي هي بعضها[١٥٣]، وأما من حيث الوظيفة الدلالية فإنها(الحركات)- وإن أُعطيت دوراً ثانوياً بالنسبة للصوت في الكلمة- لم تُعدم أن تكون أثراً مشارِكاً في الدلالة على المعنى. وإذا كان ابن جني- كما مرَّ في الفصل السابق- قد وقف عند بعض الكلمات التي تحكمت حركات بنائها في معانيها، وحاول أن يربط تلك المعاني بنوع الحركات التي دلت عليها، فإن هناك كُتُباً في التراث العربي قد أُلفت في ذلك النوع من الكلمات، وإن لم تحاول تلك الكتب ما حاوله ابن جني من قبل من ربط بين الحركة وما تدل عليه من معنى، وقد يكون سبب ذلك هو أن تلك الدلالة ليست قانوناً يسري على ذلك النوع من الكلمات كلها, وتلك الكتب التي ضمّت تلك الكلمات هي التي عرفت بـ(كتب المثلثات)، ويُعرف المثلث بأنه "مجموعة تضم ثلاث مفردات تتفق في الصوامت عدداً وترتيباً، وتختلف في الحركات، فيحصل بتغير الحركة تغير في المعنى"[١٥٤]، أو هو الكلمات التي تكون الحركات فيها مائزاً دلالياً يُفرّق بين كلمة وأخرى. وتجدر الإشارة أن ليس المقصود بالحركات في هذا المحل هو حركات الإعراب، وإنما المقصود بها حركات البناء الداخلي للكلمة. وفي ضوء ذلك المفهوم سيقف البحث في فِقَره اللاحقة عند بعض الكلمات التي كانت حركات بنائها عناصرَ تدل على معانٍ مختلفة، وسيكون وقوف هذا البحث عند (خطب نهج البلاغة).

أ. أحياء/ إحياء:

جاء في لسان العرب ما نصه "والحي من كل شيء: نقيض الميت, والجمع أحياء. والحي كل متكلم ناطق"[١٥٥]، وتابع صاحب القاموس المحيط ما جاء في اللسان من عرض لمعنى الأصل(حيي), وإعطاء الجمع منه[١٥٦], وكذلك فعل صاحب تاج العروس[١٥٧].

وقد جاءت كلمة (أحياء) مفتوحة الهمزة في خطب نهج البلاغة في مواضع متعددة, منها قول الإمام(عليه السلام) في صفة الزهاد:

((كانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا, فَكَانُوا فِيْهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا... يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِم وَهُمْ أَشَدُّ

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط٤، ١٤٠٧هـ: ٤/ ١٥٧٩، وينظر: لسان العرب:٤١٠/١٠(ح رك)، القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م: ٣/ ٢٩٨، تاج العروس من جواهر القاموس: ٧/ ١١٩، المعجم الوسيط: قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، إشراف: عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران، د.ت : ١٦٨/١.

(٢) سر صناعة الإعراب: ١٧/١.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م: ١٩٨.

(١) الصوائت والمعنى في العربية: ٢٧.

(٢) لسان العرب:٢١٢/١٤، (ح ي ي)

(٣) ينظر: القاموس المحيط: ٣٢١/٤-٣٢٢.

(٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١٠٥/١٠.

إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ))[١٥٨], وقد عنى الإمام بـ(الأحياء) في هذا الموضع الناس الذين يتركون طاعة الله تعالى, ويقترفون معصيته[١٥٩], وقد نسب إليهم الإمام موت القلوب, أما الموضع الآخر الذي جاءت فيه كلمة(أحياء) فهو قوله(عليه السلام) في صنف من الناس: ((**وآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ, فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وأضاليلَ مِن ضُلّالٍ... لاَ يَعْرِفُ بابَ الهُدَى فَيَتَّبِعَهُ, ولَا بابَ العَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ, وذلِكَ مَيِّتُ الأحْيَاءِ**))[١٦٠], فالإمام (عليه السلام) في هذا الموضع يعبر عمَّن يصفه من الناس بالموت, والموت – كما هو معلوم - من خصائص المخلوقات في الحياة الدنيا, وإنما جاء التعبير عن ذلك الصنف بأنه "ميت الأحياء فلأنه في صورة الحي"[١٦١]. ولم تدل كلمة(أحياء) في خطب نهج البلاغة على غير المخلوقين في الحياة الدنيا[١٦٢]. وأما كلمة (إحياء) مكسورة الهمزة فقد وردت في خطب النهج في موضعين فقط, منهما قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الإمام إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الإبْلاغُ فِي المَوْعِظَةِ, والاجتِهادُ فِي النَّصِيحَةِ, والإحيَاءُ لِلسُّنَّةِ, وإقَامَةُ الحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيها**))[١٦٣]، يقول محمد جواد مغنية(ت١٩٧٩م) في شرح هذا الموضع من الخطبة: "والإحياء للسنة أي الحكم بالمبادئ والقوانين المقررة في كتابه وسنته, لا بالهوى والفرض"[١٦٤], فكلمة (الإحياء) في هذا الموضع من خطبة الإمام تدل على إقامة الأحكام الدينية. وكذلك جاءت كلمة (إحياء) في الموضع الآخر من خطب النهج لتدل الدلالة نفسها, وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في أمر التحكيم: ((**وإِنَّمَا حُكِّمَ الحَكَمَانِ لِيُحْيِيا مَا أَحْيَا القُرْآنُ, ويُمِيتَا مَا أَمَاتَ القُرْآنُ, وإِحْياؤهُ الاجتِماعُ عَلَيْهِ وَإِماتَتُهُ الافتِراقُ عنه**))[١٦٥], فقد ذكر كمال الدين علي بن ميثم البحراني(ت٦٧٩هـ) في شرح هذا المقطع من الخطبة أنه(عليه السلام) "أسند إليهما [الحكمين] لفظي الإحياء والإماتة مجازاً باعتبار كونهما في الاجتماع عليه [القرآن] والعمل به مظهرين لمنفعته وفايدته كما يفعله موجد الحياة, وكونهما في تركه والإعراض عنه سبباً لبطلان منفعته وعدم منفعته كما يفعله ميت الشيء ومبطل حياته"[١٦٦]. فالإمام (عليه السلام) في خطبه يستعمل كلمتي(أحياء) و(إحياء) لتدلا على معنيين مختلفين, ومن الممكن أن يصرف المعنى الأول إلى الدلالة المادية, إذ كان المعنى هو الناس أنفسهم, في حين يصرف المعنى الآخر إلى الدلالة المعنوية, لان الإمام استعمله في مقام إقامة حدود الله وبيان أحكامه, وقد كان المائز بين الدلالتين هو الحركتين الفتحة والكسرة.

ب. الجَدّ / الجِدّ:

جاء في كتاب العين "جَدّ الرجل: بخته, وَجَدُّ ربنا: عظمته, ويقال: غناه. والجِدُّ: نقيض الهزل"[١٦٧], وزيد في (تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ) ما نصه "والجِدّ: الاجتهاد في الأمور... وجددت الشيء أَجُدُّه بالضم جداً: قطعته"[١٦٨], وقد ذُكرت تلك المعاني في معاجم أخرى غير العين والصحاح[١٦٩], وكذلك ذكرها أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ) في كتابه (المثلث)[١٧٠].

---

(٥) نهج البلاغة: تعليق: د. صبحي الصالح، انتشارات أنوار الهدى، ط٢، ١٤٢٤هـ.ق: ٣٥٢- ٣٥٣ (خ٢٣٠).
(٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة: محمد الحسيني الشيرازي، دار تراث الشيعة، طهران، د.ت: ٢٢٦/١.
(١) نهج البلاغة: ١١٩(خ٨٧)
(٢) شرح نهج البلاغة(المصباح, شرح كبير): ابن ميثم البحراني، طهران، مطبعة خدمات جابي٣٩٦، ط٢، ١٤٠٤ق: ٢٩٩/٢.
(٣) ينظر: نهج البلاغة: ٢٦٤(خ١٨٢).
(٤) نهج البلاغة: ١٥٢(خ١٠٥).
(٥) في ظلال نهج البلاغة : محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، ط١،١٩٧٢م: ١١٦/٢.
(٦) نهج البلاغة: ١٨٥(ك١٢٧).
(١) شرح نهج البلاغة: ١٣٦/٣.
(٢) كتاب العين: ٧/٦.
(٣) تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٥٢/٢-٢٥٤.
(٤) ينظر: أساس البلاغة:٥٣, لسان العرب: ١٠٧/٣(ج د د), تاج العروس من جواهر القاموس:٣١٣/٢, المعجم الوسيط: ١٠٩/١.
(٥) ينظر: المثلث: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي: تح: صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد للطباعة، ١٩٨١م: ٣٩٥/١-٣٩٦.

وجاءت كلمة (الجَدّ) بفتح الجيم في موضعٍ واحدٍ فقط من خطب نهج البلاغة, إذ استعملها الإمام في موضع الثناء على الله تعالى, وذلك في قوله(عليه السلام): ((**الحَمْدُ للهِ الفَاشِي فِي الخَلْقِ حَمْدُهُ, والغَالِبِ جُنْدُهُ, والمُتَعَالي جَدُّهُ**))[١٧١]، وقد حَمَل بعض شُرّاح النهج كلمة(الجَدّ) في هذا الموضع على معنى العظمة[١٧٢], وإن كان السياق يقتضي معنى الغنى الذي ذكره الخليل في كتاب العين. أما كلمة(الجِدّ) بكسر الجيم فلها في خطب نهج البلاغة مواضع عدة، وتتوزعها ثلاث دلالات, وهي الدلالات التي ذكرتها معاجم اللغة, إذ قد تدل كلمة(الجِدّ) على معنى الجِد الذي هو خلاف الهزل, و مثال ذلك قول الإمام(عليه السلام) في خطبة له منها: ((**فَإنّهُ واللهِ الجِدُّ لاَ اللَّعِبُ, والحَقُّ لاَ الكَذِبُ**))[١٧٣]، وليس أدل على ذلك المعنى من مقابلة(الجِدّ) بـ(اللعب). أو قد تدل كلمة(الجِدّ) في خطب النهج على معنى الاجتهاد, ومثال ذلك قول الإمام(عليه السلام): ((**وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آباءَنَا وأبْنَاءَنَا وإخوانَنَا وأعمامَنَا, مَا يَزِيدُنا ذلِك إلا إيْمَاناً وَتَسْليماً وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ, وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الألَمِ, وَجِداً فِي جِهادِ الْعَدُوّ**))[١٧٤], أو قد تدل كلمة (الجِدّ) في خطب نهج البلاغة على معنى القطع, وقد جاءت على ذلك المعنى في قول الإمام (عليه السلام)محذراً من الشيطان: ((**فاجعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُم, وَلَهُ جِدَّكُمْ**))[١٧٥], وذهب ابن أبي الحديد المعتزلي(ت٦٥٦هـ) في هذا الموضع إلى القول بأن: **"قوله(عليه السلام)((وَلَهُ جِدَّكُم))** من جددت في الأمر جداً, أي اجتهدت فيه وبالغت"[١٧٦], والواقع أن الإمام لم يرد المعنى الذي ذكره ابن أبي الحديد, ودليل ذلك أن كلمة(جِدّ) جاءت متعدية بحرف الجر(اللام), ولو كان معنى (الجِدّ) هو الاجتهاد لكان ذلك الاجتهاد للشيطان, والأولى أن يكون عليه وليس له, وتابع غير واحد من شرّاح النهج ابن أبي الحديد فيما ذهب إليه[١٧٧]، ومن الشُرّاح من أبقى معنى(الجِدّ) في الموضع المذكور مترجحاً بين معنيي(الاجتهاد) و(القطع)[١٧٨], غير أنّ منهم من لم يذكر معنى آخر غير القطع لكلمة(جِدّ)[١٧٩], وهذا هو الراجح بحكم ما يقتضيه السياق. وعليه تكون الحركتان(الفتحة) و(الكسرة) قد فرقتا دلالياً بين كلمتي(جَدّ) و(جِدّ), وليس هذا فحسب وإنما أتت الكلمة ذات الحركة الواحدة- كما هو الحال في كلمة(جِدّ)- لتعبر عن معاني مختلفة يقوم السياق بتوجيه دلالتها, وذلك ما يمثل استثماراً للمفردة عن طريق إطلاق ما تكنه من طاقات دلالية.

ج. الجَنّة / الجُنّة

ذكر الخليل في كتاب العين الكلمتين(الجَنّة) و(الجُنّة) تحت الأصل(جنّ) فقال:

"والجَنّة: الحديقة, وهي بستان ذات شجر ونزهة, وجمعه جنات, والجُنّة: الدرع, وكل ما وقاك فهو جُنتك"[١٨٠], وكذلك ذكرت الكلمتان في الصحاح وفي لسان العرب وتاج العروس والمعجم الوسيط بالمعنيين نفسيهما[١٨١]. وأوردهما ابن السيد البطليوسي في مثلثه مع كلمة(جِنَّة)[١٨٢], ولم ترد في خطب نهج البلاغة سوى الكلمتين (جَنّة) و(جُنّة).

---

(٦) نهج البلاغة: ٢٨٣(خ١٩١).
(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة:١٦٦/٣, نهج البلاغة: تح: محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، د.ت: ١٣٣/٢(في هامش١).
(١) نهج البلاغة(الصالح): ١٩٠(خ٣٢) .
(٢) نفسه:٩١-٩٢(ك٥٦)
(٣) نفسه: ٢٨٨(خ١٩٢) .
(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ط١ ، ١٣٧٨ هـ -١٩٥٩م: ١٤٤/١٣.
(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح): ٢٣٤/٤, منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، المكتبة الإسلامية، طهران، ط٤، ١٤٠٥ق: ٢٠٩/١١.
(٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١٨٤/٣.
(٧) ينظر: نهج البلاغة(عبده):١٤٠/٢(في هامش٣) .
(١) كتاب العين: ٢٢/٦.
(٢) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٠٩٤/٥, لسان العرب: ٩٩/١٣- ١٠٠(ج ن ن), تاج العروس من جواهر القاموس: ١٦٦/٩-١٦٧, المعجم الوسيط: ١٤١/١.
(٣) ينظر: المثلث: ٤١٧/١-٤١٨.

أما الأولى منهما وهي كلمة (الجنة) بالفتح فلم يستعملها الإمام (ع) لغير معنى (الجَنّة) في الحياة الآخرة, ذلك على الرغم من كثرة ورودها في خطب النهج, ومن ذلك مثلاً قوله(عليه السلام): ((**الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ**))[١٨٣], وقوله أيضاً في آدم(عليه السلام): ((**ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ, وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ, وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ**))[١٨٤] , ولا تختلف الحال في دلالة كلمة (جَنّة) عن ذلك المعنى في المواضع الأُخرى التي جاءت فيها من خطب النهج[١٨٥] . وأما كلمة(جُنَّة) بضمّ أولها فقد جاءت في ثلاثة مواضع من خطب النهج وكلها تشير إلى معنى الغطاء أو الستر, ولكن ذلك الغطاء أو الستر ليس مادياً محسوساً وإنما هو معنوي مجرد, فالإمام ينتقل بكلمة(جُنّة) من دلالتها الحقيقية إلى دلالة مجازية ليفيد بالدلالة الأخرى ما دلت عليه الدلالة الأولى, ومما أورده الإمام (عليه السلام) دالاً به على تلك الدلالة قوله في صفة المتقي وصاحب العقل: ((**قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا, وَأَخَذَ بِجَمِيعِ أَدَبِهَا**))[١٨٦], وقد شرح ابن أبي الحديد هذا المقطع من الخطبة قائلاً: "الجُنّة: ما يستتر به من السلاح كالدِّرع ونحوها, ولبس جنة الحكمة قمع النفس عن المشتهيات, وقطع علائق النفس عن المحسوسات, فإن ذلك مانع النفس عن أن يصيبها سهام الهوى, كما تمنع الدرع الدارع عن أن يصيبه سهام الرماية"[١٨٧], فالإمام في هذا الموضع يستثمر ما تدل عليه كلمة(جُنّة) من معنى الستر في الأمور المادية ليصرف دلالتها إلى معنى الستر في الأمور المعنوية , فكما يكون الاستتار من سهام الرماية يكون كذلك الاستتار من سهام الهوى والغواية. ولا تختلف تلك الدلالة عن الدلالة في الموضعين الآخرين, وهما قول الإمام (عليه السلام) في خطبة الجهاد: ((**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ, وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى, وَدِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةِ, وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ**))[١٨٨] , وقد أشار ابن ميثم البحراني في شرحه هذا الموضع إلى انتقال معنى(الجُنّة) من دلالتها المادية إلى دلالتها المعنوية فقال: "واستعار لفظ اللباس والدِّرع والجُنَّة ثم رشح الاستعارتين الأخيرتين بوصف الحصانة والوثاقة. ووجه المشابهة أن الإنسان يتقي شر العدو أو سوء العذاب يوم القيامة كما يتقي بثوبه ما يؤذيه من حرٍ وبردٍ, وبدرعه وجنته ما يخشاه من عدوه"[١٨٩], وكذلك قول الإمام(عليه السلام): ((**أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللهِ عَلَيْكُمْ, وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللهِ حَقَّكُمْ, وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللهِ. فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنَّةُ, وَفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ**))[١٩٠], فالإمام (عليه السلام) قد استعار لفظة (الجُنَّة) في هذا الموضع للدلالة على الستر المعنوي أيضاً[١٩١]. وعليه فإن كلمتي (الجَنّة) و(الجُنّة) وردتا في خطب نهج البلاغة دالتين على معنيين, وهذان المعنيان لم يكونا حقيقيين, أو لم يدلا دلالة مادية كما هو المعنى الذي جاء عليه أصل وضعهما, وإنما انصرف معناهما إلى دلالة معنوية, فكانت الفتحة في (الجَنّة) للدلالة على الجنة الأخروية, والضمة في (الجُنّة) للدلالة على الحصانة المعنوية.

د. الحَزْن/ الحُزْن

ذكر الجوهري في صحاحه المادة (حَزَنَ) فقال: "الحَزَن والحُزْن: خلاف السرور... والحَزَن: ما غلظ من الأرض. وفيها حُزونة"[١٩٢], ولم تختلف المعاجم الأخرى كلسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس والمعجم الوسيط عما ذُكر في الصحاح من معنى لتلك المادة[١٩٣]. وقد ذكر ابن السيد البطليوسي المادة (حزن) وأعطاها ثلاث دلالات تُفرّق الحركات فيما بينها فقال: "حَزَنَ

---

(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٢٤٢(خ١٦٧).
(٥) نفسه: ٤٣(خ١) .
(٦) ينظر: نفسه:١١٢(خ٨٣), ١٦٢(خ١٠٩), ١٦٧(خ١١٩), ٢٠٢(خ١٤٤), ٢٢٧ (خ١٥٩).
(١) نهج البلاغة(الصالح): ٢٦٣(خ١٨٢).
(٢) شرح نهج البلاغة: ٩٦/١٠-٩٧.
(٣) نهج البلاغة(الصالح): ٢٨٤(خ١٩١).
(٤) شرح نهج البلاغة (المصباح): ٣٤/٢.
(٥) نهج البلاغة(الصالح): ٢٨٤(خ١٩١).
(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١١٩/١٣, منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٥٠/١١.
(٢) تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٠٩٨/٥.
(٣) ينظر: لسان العرب: ١١١/١٣-١١٢(ح زن), القاموس المحيط: ٢١٣/٤, تاج العروس من جواهر القاموس: ١٧٤/٩, المعجم الوسيط: ١٧١/١.

وحَزِنَ وحَزُن: يقال حَزَنَهُ الأمر بفتح الزاي وأَحْزَنَهُ: إذا غَمَّهُ... وحَزِنَ الإنسانُ بكسر الزاي: ضد فَرِحَ. وحَزُنَ الموضع بالضم حُزْنَةً: ضد سَهُلَ"[١٩٤].

وقد جاءت كلمة(الحَزْن) بفتح الحاء في موضعين فقط من خطب نهج البلاغة, وذلك في قول الإمام(عليه السلام) في صفة آدم(عليه السلام): ((**ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا, وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا, تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ, وَلَاطَهَا حَتَّى لَزُبَتْ**))[١٩٥], وكذلك قوله(عليه السلام) في اختلاف الناس: ((**إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ, وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا, وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا**))[١٩٦]، و(الحَزْن) في كلا الموضوعين- كما ذكر الشراح- هو ما غلُظ أو خشُن من الأرض[١٩٧]. والذي يلاحظ أن الإمام (عليه السلام) لم يستعمل كلمة(الحَزْن) مع غير الإنسان في أصل خِلقته, أو في بداية تكوينه, فهو (عليه السلام) قد استعملها مع آدم(عليه السلام) وهو أبو البشر, وكذلك استعملها مع الجنس الإنساني بصورة عامة أو مع ما صار منه ذلك الجنس. وأما كلمة(الحُزْن) بضم حائها فقد جاءت في مواضع متعددة من خطب النهج, وهي إما أن تدل على معنى (الحُزْن) الذي هو ضد(الفرح), ومثال ذلك قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا, وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا**))[١٩٨], وقد يُستدلُّ على تلك الدلالة من المقابلة التي أجراها الإمام بين (البُكاء) و(الضَّحك) و(الحُزْن) و(الفَرح), وإذا كان هناك من رابط يربط بين تلك المتقابلات فهو دلالة كل واحدة منها على أمر نفسي غير مستمر مع الإنسان إلى أمد طويل، وهذا ما يجعل كلمة(الحُزْن) مختلفة الدلالة في موضع آخر من خطب نهج البلاغة، ذلك أنها قد تأتي في تلك الخطب دالةً على معنى (الغمّ), وهو مما يعتري الإنسان بشكلٍ إن لم يكن دائمياً فهو لوقت أطول من وقت الحالات السابقة, ومثال ذلك قول الإمام (عليه السلام) مناجياً رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عند دفن فاطمة الزهراء(عليها السلام): ((**إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ, فَلَقَدْ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ, وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ, أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ, وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ**))[١٩٩], وكذلك وردت كلمة (الحُزْن) في مواضع أخرى من خطب النهج لتدل على تلكما الدلالتين[٢٠٠]. ويتضح مما سبق أن الإمام(عليه السلام) قد أورد في خطبه المادة (حزن) بدلالاتها المختلفة وإن كان لتلك الدلالات صيغتان فقط وهما (حَزْن) و(حُزْن) اللتان فرقت الفتحة والضمة بينهما.

هـ. الدَّين/ الدِّين

(الدَّين) في اللغة- كما في العين- هو "كلّ شيء لم يكن حاضراً... وأدنت فلاناً أدينه أي أُعطيه ديناً... والدِّين جمعه الأديان, والدِّين: الجزاء... كقولك: دان الله العباد بدينهم يوم القيامة أي يجزيهم, وهو ديّان العباد. والدِّين: الطاعة, ودانوا لفلان أي أطاعوه"[٢٠١]. وقد ذُكرت تلك المعاني للكلمتين (دَين) و(دِين) في معاجم أخرى[٢٠٢]. وذُكرت الكلمتان أيضاً في مثلث البطليوسي مع كلمة أخرى وهي (الدون), وأُعطيتا (الكلمتان) المعاني نفسها التي أُعطيت لهما في معاجم اللغة[٢٠٣].

---

(٤) المثلث: ٤٧٥/١.
(٥) نهج البلاغة (الصالح): ٤٢(خ١).
(٦) نفسه: ٣٥٤- ٣٥٥ (ك٢٣٤).
(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٩٧/١, شرح نهج البلاغة(المصباح): ١٧٠/١, ١١٦/٤, توضيح نهج البلاغة:٤٠٨/٣،٢٨/١, منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢/ ٣٩، ٤٦/٥.
(٢) نهج البلاغة (الصالح): ١٦٨(خ١١٢).
(٣) نفسه: ٣٢٠(ك٢٠٢).
(٤) ينظر: نفسه: ١١٨(خ٨٧), ١٤٨(خ١٠٣), ٢٣١(خ١٦١), ٣٤٠(ك٢٢١) .
(١) كتاب العين: ٧٣/٨.
(٢) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية:٢١١٧/٥- ٢١١٨, أساس البلاغة:١٤٠, لسان العرب: ١٦٧/١٣-١٦٩(دي ن), القاموس المحيط: ٢٥٥/٤, تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٠٧/٩-٢٠٩, المعجم الوسيط: ٣٠٦/١-٣٠٧.
(٣) ينظر: المثلث: ٦/٢-٨.

ولم تأتِ كلمة (الدَّين) بالفتح إلا في موضع واحد فقط من خطب نهج البلاغة, وهو قول الإمام (عليه السلام) في نفر من الناس: **((مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ, وَلَا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ, أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ, دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ المَطُولِ))**[٢٠٤]، فالإمام في هذا الموضع يستعمل كلمة (الدَّين) بمعناها الذي جاءت عليه معاجم اللغة، وهو المعروف من إعطاء المال وإقراضه, ولكنه (الإمام) يستعير صاحب ذلك الدَّين للدلالة على أولئك النفر الذين شبههم به, "ووجه الاستعارة أن المدين المطول أبداً مُشتهٍ لعدم المطالبة، وتودُّ نفسه ألا يراه غريمه، فلذلك فَهِم (عليه السلام) منهم أنهم كانوا يحبون ألا يعرض لهم بذكر القتال ولا يطالبهم به"[٢٠٥] . وأما كلمة(الدِّين) بالكسر فقد جاءت في مواضع كثيرة من خطب نهج البلاغة, وهي قد تدل على معنى الطريقة كما في قول الإمام (عليه السلام): ((**إنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ, وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ, وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ))**[٢٠٦]، فشر دين في نص الإمام يعني شرَّ طريقة[٢٠٧], أو قد تدل كلمة (دِين) في خطب النهج على معنى الشريعة الإسلاميّة، ومثال ذلك قول الإمام في آل الرسول (عليهم السلام): ((**لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيهِ أَبَداً، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ))**[٢٠٨]، وقد تأتي كلمة (الدِّين) في خطب نهج البلاغة لتدلَّ على معنى الحشر أو القيامة، وهذا المعنى تدل عليه كلمة (الدِّين) عندما يضاف إليها كلمة يوم، ومثال ذلك قول الإمام (عليه السلام) في ذكر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((**هُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَومَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً))**[٢٠٩]، وقد تدل كلمة(الدِّين) على معنى الطاعة والانقياد، ومثال ذلك قول الإمام(عليه السلام) في خطبته الأولى من نهج البلاغة: ((**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ))**[٢١٠]، وقد حمل ابن ميثم البحراني كلمة(الدِّين) في هذا الموضع على معنى الطاعة[٢١١]، وهذا المعنى الأخير هو الذي يجمع المعاني السابقة، ذلك لأنّه الأصل الذي جاءت عليه اللغة. وعليه فإنّ الحركتين وإن فرقتا بين الكلمتين(دَين) و(دِين)، فكان لكل واحدةٍ منهما دلالة، فإنّ السياق قد أتى ليعطيَ للكلمة الواحدة دلالات عدة، إذ من الممكن أن تدرج كلمة(دِين) في خطب النهج ضمن ما يعرف بـ(الوجوه والنظائر) أو(المشترك اللفظي) الذي سيأتي بيانه فيما بعد.

و. الرَّوْح / الرِّيح / الرُّوح:

تُذكر المادة(روح) في بعض معاجم اللغة فتذكر معها ثلاث صور تُفرق الحركات فيما بينها فتكون لكل صورة دلالة، فقد جاء في القاموس المحيط تحت تلك المادة "الرُّوح بالضم: ما به حياة الأنفس، ويؤنث... وبالفتح: الرَّاحة، والرحمة، ونسيم الرّيح"[٢١٢]، وقد ذُكرت تلك الصور مع المعاني التي دلت عليها في تاج العروس، والمعجم الوسيط أيضاً[٢١٣]، وكذلك ذكرها ابن السيد البطليوسي في مثلثه[٢١٤].

وتلك الصور على اختلافها قد جاءت في خطب نهج البلاغة لتؤديَ دلالات مختلفة دلت عليها ثلاث حركات, فكلمة (الرَّوح) بالفتح وردت في موضع واحد فقط من خطب نهج البلاغة وهو قول الإمام (عليه السلام) في صنف من الناس: **((فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمِ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمْ الْمَشْهُودَةِ... لَرَأَيتَ أَعْلَامَ هُدَىً, وَمَصَابِيحَ دُجَىً قَدْ حَفَّتْ بِهِمْ الْمَلَائِكَةُ... فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيهِمْ فِيهِ**

---

(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٧٣(خ٢٩) .
(٥) شرح نهج البلاغة(المصباح): ٥١/٢.
(٦) نهج البلاغة(الصالح): ٦٨(خ٢٦) .
(١) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١٤٤/١.
(٢) نهج البلاغة(صالح) : ٤٧(خ٢) .
(٣) نفسه: ١٥٣(خ١٠٦).
(٤) نفسه: ٣٩(خ١).
(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح): ١١٩/١.
(١) القاموس المحيط: ٢٢٤/١.
(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١٤٧/٢-١٤٨, المعجم الوسيط: ٣٨١/١-٣٨٢.

(٣) ينظر: المثلث: ٤٤/٢-٤٥.

فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ, وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ, يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوِزِ))[٢١٥]، وقد فسر أحد شراح النهج كلمة(الرَّوْح) في هذا الموضع قائلاً: "إنّ الرَّوح بفتح أوله الراحة والاستراحة أو الحياة الدائمة"[٢١٦], وقد استعمل الإمام تلك الكلمة مجازاً ليدل بها على عظم مكانة من يصفهم, وقد يكون للفتحة أثرٌ في تلك الدلالة من حيث تلميحها نطقاً لمعنى الانفتاح والسعة, وهذا ما يتلاءم مع الراحة والاستراحة. أما كلمة (الرِّيح) فقد جاءت في مواضع متعددة من خطب نهج البلاغة, وهي إما أن تكون دالة على معنىً حقيقي (مادي) ، وهو الهواء كما في قول الإمام(عليه السلام) في الخطبة التي يذكر فيها خلقَ اللهِ العالمَ: **((ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا, وَأَدَامَ مُرَبَّهَا))**[٢١٧], أو تكون دالة على معنىً مجازي (معنوي) كقوله(عليه السلام) ذاكراً الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ومحله منه: **((وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ, يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَماً مِنْ أَخْلَاقِهِ... وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ- وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا, أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ, وَأَشَمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ))**[٢١٨], والمقصود أن الإمام(عليه السلام) كان يشم تلك الريح "شماً معنوياً, وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس"[٢١٩]. أما كلمة (الرُّوح) بالضم فلها في خطب نهج البلاغة دلالتان أيضاً، حقيقية ومجازية, فالإمام قد يستعملها مع الإنسان – وهذه هي دلالتها الحقيقية- فتكون بمعنى النفس, كقوله (عليه السلام) في ذكر الموت: **((هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً ؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ؟ أَيَلِجُ عَلَيهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا ؟ أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا ؟))**[٢٢٠]. وقد وردت كلمة(الرُّوح) على تلك الدلالة في ثلاثة مواضع أخرى من خطب النهج، وكلُّها جاءت معرّفةً بـ(أل)[٢٢١]. أما الدلالة الأخرى- وهي المجازيّة - فقد جاءت في قول الإمام (عليه السلام): **((ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا... تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ... ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوْحِهِ))**[٢٢٢], فالإمام في هذا المقطع من خطبته يضيف كلمة (الرُّوح) إلى الله تعالى تشريفاً لها[٢٢٣]، إذ ليس المقصود من تلك الكلمة دلالتها الحقيقية التي دلت عليها في المقطع السابق.

ز. المَراح / المِراح / المُراح:

جاء في لسان العرب أن "المُراح بالضمّ: الموضع الذي تروح إليه الماشية أي تأوي إليه ليلاً, وأما بالفتح, فهو الموضع الذي يروح إليه القوم أو يروحون منه, كالمَغذى الموضع الذي يُغذى منه"[٢٢٤] , وجاء في موضعٍ آخر من لسان العرب أيضاً "المَرَح: شدة الفرح والنشاط حتى يتجاوز قدره, وقد أمرحهُ غيره, والاسم المِراح, بكسر الميم"[٢٢٥], فللكلمات (المَراح) و(المِراح) و(المُراح) أصلان في الاستعمال اللغوي هما (روح) و(مرح), ولهن كذلك معنيان هما الرواح والمرح, غير أن الحركات التي تظهر عليها جعلت لها ثلاث دلالات، وهي الدلالة على الموضع الذي تروح الماشية منه أو إليه ليلاً، وقد دلت على تلك الدلالة الضمّة التي يبدو أنّ لنُطقها أثراً في توجيه دلالتها, وكذلك الدلالة على الموضع الذي يروح إليه القوم , وقد دلت على تلك الدلالة الفتحة التي ربما تنسجم مع القوم وحالهم , وأما الدلالة الثالثة فهي التي تكون على شدة الفرح, وقد عبرت عن تلك الدلالة الكسرة التي لمَّا احْتِيجَ إلى التعبير عن عمل من أعمال النفس جيء بها. فهذه ثلاث دلالات دلت عليها ثلاث دلائل. وقد ذكرت الكلمات (المَراح) و(المِراح) و(المُراح) بالمعاني نفسها التي أوردها صاحب لسان العرب، وذلك في معجمي (تاج العروس من جواهر القاموس) و(المعجم الوسيط)[٢٢٦] , وكذلك ذكرها ابن السيد البطليوسي ضمن مثلثاته[٢٢٧].

---

(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٣٤٣(ك٢٢٢).
(٥) شرح نهج البلاغة(المصباح): ٢٤٧/١٤.
(٦) نهج البلاغة(الصالح): ٤٠(خ١).
(٧) نفسه: ٣٠٠-٣٠١(خ١٩٢) .
(١) توضيح نهج البلاغة: ٢٢٥/٣.
(٢) نهج البلاغة(الصالح): ١٦٧(خ١١٢).
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١١٤(خ٨٣)، ١٦١(خ١٠٩)، ٢٣٩(خ١٦٥).
(٤) ينظر: نفسه: ٤٢(خ١) .
(٥) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢٩/١.
(٦) لسان العرب: ٤٦٥/٢ (روح).
(٧) نفسه: ٥٩١/٢ (م رح).
(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١٥٠/٢, ٢٢١, المعجم الوسيط: ٣٨٢/١, ٨٦٢/٢ .
(٢) ينظر: المثلث: ١٧٤/٢.

وجاءت الكلمات ثلاثتها في ثلاثة مواضع من خطب نهج البلاغة, فالمفتوحة منها(مَراح) جاءت في قول الإمام (عليه السلام) في صنفٍ من الناس: ((**وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ , وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ , فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ , وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ , وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مِنْ مَرَاحٍ وِلَا مَغْدًى**))[٢٢٨], فالإمام يستعمل كلمة (مَراح) في هذا الموضع بمعنى المكان الذي يروح إليه القوم ليلاً, ولكنه (عليه السلام) لم يُرد بها الدلالة على ذلك المعنى بقدر ما أراد بها زمان تلك الدلالة , ذلك لأن مراد الإمام من استعمال كلمة (مَراح) في هذا الموضع هو الإشارة إلى أن ذلك الصنف الذي وصفه "لا محل له في صف الزهاد , في أي وقت من الأوقات"[٢٢٩], فالدلالة التي أفادتها كلمة (مَراح) في هذا الموضع دلالة زمنية وهي الليل من الأوقات. وأما كلمة (مِراح) بالكسر فقد جاءت في قول الإمام (عليه السلام) في صفة خلق الإنسان: ((**أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقًا , وَعَلَقَةً مُحَاقًا... حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ, وَاسْتَوَى مِثَالُهُ نَفَرَ مُسْتَكْبِراً, وَخَبَطَ سَادِراً مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاه... لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً . دَهَمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ, وَسُنَنِ مِرَاحِهِ**))[٢٣٠], فالإمام عبّر عن شدة انشغال ذلك الإنسان الذي وصفهُ باللهو والشهوات والأفراح عبّر عنه بكلمة(مِراح)[٢٣١], وليس أدل على انغماس ذلك الإنسان في تلك الحالات وبلوغها هي مبلغاً عميقاً من نفسه من الكسرة التي توحي نطقاً وخطاً بذلك المعنى. وأما الموضع الآخر والأخير الذي وردت فيه كلمة (مُراح) مضمومة الميم فهو قول الإمام (عليه السلام): ((**وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا, وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا, وَمَا كَانَ من مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا... عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا**))[٢٣٢], يقول الشارح المعتزلي في كلمة(مُراح) في هذا الموضع: "والمُراح بضم الميم : النِّعم تُرد إلى المُراح, بالضم أيضاً , وهو الموضع الذي تأوي إليه النعم"[٢٣٣] , فالشارح هنا يعد كلمة(مُراح) اسم مفعول لفعل رباعي وهو الفعل(أراحَ), وكذلك فعل الشارح البحراني في توجيه تلك الكلمة[٢٣٤], وقد عضّد شارح آخر رأييهما، وفنّد ما ذهب إليه بعض اللغويين في عدِّ كلمة(مُراح) اسماً للموضع الذي تأوي إليه الماشية بالليل[٢٣٥], والحال أن الرأيين يمكن الجمع بينهما, وذلك لأن المكان الذي يكثر رواح الماشية إليه في ذلك الوقت(وهو الليل) يكون بكثرة الاستعمال معلماً(اسماً) للمكان والزمان معاً, فلا تُطلق الكلمة(مُراح) إلا واستدعت مكاناً ووقتاً معينين, وهذا ما دلت عليه كلمة (مُراح) في المقطع المذكور من خطبة الإمام, ودليل ذلك عطف كلمة(سائم) عليها, فكلمة(سائم) لها دلالةٌ تغاير دلالة(مُراح) من حيث الحركة والوقت, والمعروف أنّ العطف لا يكون إلا على مغاير في المعنى.

ويتضح مما سبق أن هناك ثلاث حركات قد أسهمت كل واحدة منها في الدلالة على معنى أو معانٍ معينة, وهذا ما جعل تلك الحركات علامات دلالية تشير إلى هذا المعنى أو ذاك, وهذا بدوره ما يعطي كل كلمة خصوصيّة دلالية تجعلها مناسبة في سياق دون غيره.

ثانياً: **إيحاء الأصوات في خطب نهج البلاغة**:

---

(٣) نهج البلاغة (الصالح): ٧٥(خ٣٢).
(٤) توضيح نهج البلاغة:١٧٢/١, وينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٥٥/٤ .
(١) نهج البلاغة (الصالح): ١١٢ – ١١٣(خ ٨٣).
(٢) ينظر : شرح نهج البلاغة: ٧١/٦ , توضيح نهج البلاغة: ٣٣٥/١ , في ظلال نهج البلاغة: ٤٠٩/١ .
(٣) نهج البلاغة (الصالح): ٢٧٥(خ ١٨٦).
(٤) شرح نهج البلاغة: ٨٩/١٣ .
(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (المصباح): ١٥٠/٤.
(٦) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٥٩/١١ – ٦٠ .

الصوت في اللغة كما في لسان العرب هو "الجرس... وقد صات ويصوت ويصات صوت, وأصات, ومصوت به: كله نادى. ويقال: صوت يصوت تصويتاً, فهو مصوت, وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه. ويقال صات يصوت صوتاً, فهو صائت, معناه صائح"[٢٣٦] . ويلاحظ أن المعنى الذي أورده صاحب اللسان للمادة(صوت) ينطبق على ما يحدثه الإنسان أو غيره من صوت حتى يكون ذلك الصوت(جرساً), والذي يعني البحث أمره من ذلك المعنى هو ما يحدثه الإنسان من صوت, أو هو الصوت اللغوي على وجه التحديد, والصوت اللغوي هو- عند ابن جني- "عَرَض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً, حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته"[٢٣٧], وذلك العارض الخارج مع النفس هو الذي تتكون منه آلة الإنسان في التعامل مع غيره, وتلك الآلة هي اللغة التي تميز الإنسان عن غيره.

أما ما يخص هذا البحث ـ هنا ـ من الصوت اللغوي فهو إيحاء ذلك الصوت بالمعنى, والمقصود بـ(الإيحاء) في هذا الموضع هو ما يؤديه الصوت اللغوي من أثر يسهم في الدلالة على المعنى, إذ إن هناك أصواتاً في اللغة تضفي طبيعتها ظلاً من ظلال المعنى, ومن ثم تساعد في الدلالة عليه.

وإذا كان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري(ت٢٧٦هـ) في كتابه(تأويل مشكل القرآن) قد تنبه إلى مساهمة الصوت اللغوي في الدلالة على المعنى, وذلك حين قال في ذلك الكتاب: "وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظتين, كتقارب ما بين المعنيين"[٢٣٨], وذكر لذلك كلمات تعضد ما نظّر له, فإن ابن جني قد وقف عند تلك الكلمات وأرجع دلالتها إلى طبيعة بعض أصواتها, أي أن تلك الطبيعة هي التي أرشدت إلى المعنى ودلت عليه[٢٣٩].

ويقابل ما ألمح إليه ابن قتيبة مصطلح (mutation) في الدراسات اللسانية الحديثة, ويقصد بذلك المصطلح "إحلال صوت مكان صوت آخر بحيث يؤدي ذلك إلى حدوث تغيير في دلالة الكلمة"[٢٤٠]، وتسمى تلك الظاهرة أحياناً في علم اللغة الحديث بـ(الفونيم) [٢٤١]. أما ما أشار إليه ابن جني من ظاهرة فهو ما يعرف في الدراسات الحديثة بمصطلح(الأنوماتوبيا)

---

(١) لسان العرب: ٥٧/٢(ص و ت).
(٢) سر صناعة الإعراب: ٦/١.
(٣) تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ٦.
(١) ينظر: الخصائص: ١٥٨/٢, الدرس الدلالي في خصائص ابن جني: د.أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ط١، ١٩٨٩م: ١٠-١٢.
(٢) الصوت والدلالة- دراسة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث (مقال): د. محمد بوعمامة، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع٨٥ ، ٢٠٠٢م: ١١ .
(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م: ١٢٧, علم اللغة العام - الأصوات: د. كمال محمد بشر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٧٩م: ١٥٨.

(Onomatopoea) أو(المحاكاة الصوتية) ويُعّرف ذلك المصطلح في(معجم مصطلحات الأدب) بأنه "اختيار ألفاظ يوحي صوتها بمعناها"[٢٤٢]. وإذا كانت الظاهرة الأولى شائعة ومعروفة في اللغة عامة بحيث لا تستحق الوقوف عندها, فإن البحث سيقف عند الظاهرة الأخرى, أو عند الألفاظ التي كان لأصواتها أو لخصائص أصواتها إيحاء بالمعنى, وذلك في(خطب نهج البلاغة).

أ- السين:

عدّ سيبويه صوت(السين) من الأصوات المهموسة, والصوت المهموس عنده هو "حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه"[٢٤٣], وتابع ابن جني سيبويه في إعطاء صفة(الهمس) لذلك الصوت[٢٤٤]. ولا يختلف البحث اللساني الحديث في ذكر تلك الصفة لصوت(السين)[٢٤٥]. ويبدو أنّ لصفة ذلك الصوت أثراً في دلالة بعض الألفاظ التي تضمنته، فقد تدل تلك الألفاظ على معانٍ قد تكون منسجمة مع صفة(الهمس)، ومن تلك المعاني مثلاً:

١. السهولة:

وردت في خطب نهج البلاغة بعض الألفاظ التي تضمنت صوت(السين) لتدل على معنى(السهولة)، ومن تلك الألفاظ لفظة (أسلس), وذلك في قول الإمام (عليه السلام) مشبهاً حال من يتولى الخلافة: ((**فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ**))[٢٤٦], فالإمام- في هذا الموضع- يُشبه الخلافة بالناقة العصية على راكبها الذي يَحارُ بها وبقيادها, فهو "إن أشنق لها(أي لتلك الناقة)... خرم أي سبب شقَّ أنفها الذي هو محل الزمام لأنها تريد الجري, والراكب يريد إيقافها بشدة... وإن أسلس لها, (أي أرخى لها الزمام) حتى تجري الناقة كما تشاء، تقحَّم أي أدخلت نفسها في موضع الهلكة"[٢٤٧]، والسلاسة التي عناها الأمام(عليه السلام) هي(السهولة) التي يُظهرها قائد تلك الناقة, وليس أدل على ذلك المعنى(السهولة) من صوت(السين) الذي أوحى بذلك المعنى, إذ إن صفة(الهمس)

---

(٤) معجم مصطلحات الأدب: ٣٦٧، نقلاً عن: جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير: أحمد ياسوف، دار المكتبي ، دمشق، سورية ، ط١، ١٩٩٤م: ٢٢٢.
(٥) كتاب سيبويه : ٤٣٤/٤.
(٦) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٦٠/١, ١٩٧.
(١) ينظر: علم اللغة العام- الأصوات: ١٢٠، الصوتيات عند ابن جني- في ضوء الدراسات العربية والمعاصرة(مقال)، عبد الفتاح المصري، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع١٥-١٦، س٤، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م: ٢٣١، الأصوات اللغوية: ١٦٣، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب- في ضوء علم اللغة الحديث: ٩٤.
(٢) نهج البلاغة(الصالح): ٤٨-٤٩(خ٣).
(٣) توضيح نهج البلاغة: ٦٤/١.

التي في ذلك الصوت تتلاءم مع معنى(السهولة)، لذلك فإن (السين) إن لم يكن دالاًّ على ذلك المعنى فإنه قد أوحى به أو قرّب منه, ذلك لان(الهمس) و(السهولة) متقاربان ولا ضير أن يدلَّ أحدهما على الأخر.

وعلى مثل ذلك المسلك من الدلالة يستعمل الإمام(عليه السلام) لفظة(سلس) في موضعين آخرين من خطبه, إذ دلت تلك اللفظة في الموضعين كليهما على معنى (السهولة)، والموضعان هما قول الإمام(عليه السلام) في مآل الإنسان: ((**ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً**))[٢٤٨]، وقوله(عليه السلام) في التحذير من الكبر: ((**فَاللَّهَ اللَّهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَئَانِ وَ مَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ. حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَ مَهَاوِي ضَلَالَتِهِ، ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِهِ، سُلُساً فِي قِيَادِهِ**))[٢٤٩]، وقد أعطى بعض شرّاح النهج معنى(السهولة) للفظه (سلس) في الموضعين السابقين[٢٥٠], والذي استدعى ذلك المعنى أو استدعاه ذلك المعنى هو صوت (السين).

٢. التنفيس:

المراد بـ(التنفيس) في هذا الموضع هو إخراج ما تكنه النفس من أنفاس حرّى, وقد تكون كلمة(تأسى)- بصورها المختلفة- التي تضمنت صوت(السين) ملائمة للتعبير عن ذلك المعنى. إذْ جاء في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام): ((**فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ!... فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ**))[٢٥١] ، فقد أفاد تكرار صوت(السين) مضعفاً في لفظتي(فتأسى) و (متأسّ) أفاد معنى(التنفيس), إذ جعل الإمام(عليه السلام) في هذا الموضع من خطبته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متنفَّساً للمتأسي, ويزداد الأمر جلاءً في إفادة ذلك الصوت ذلك المعنى في موضع آخر من الخطبة نفسها, إذ جاء فيها قول الإمام(عليه السلام): ((**فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً ، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى. وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ**

---

(١) نهج البلاغة (الصالح): ١١٣(خ٨٣).
(٢) نفسه: ٢٨٩(خ١٩٢).
(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٧٢/٦, ١٤٨/١٣, توضيح نهج البلاغة: ١٨٨/٣٣٧,٣/١, نهج البلاغة(الصالح): ٥٩٥(في هامش٨٨١), ٦٥٢(في هامش ٢٥٦٢).
(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٢٢٩(خ١٦٠).

))[٢٥٢] ، فقد أضفى ورود الألفاظ (فتاس) و(أسوة) و(المتأسي) التي تكرر فيها صوت(السين) خمس مرات جواً يوحي بالدلالة على معنى (التنفيس), إذ إن في ذلك الصوت ظلاً من ظلال ذلك المعنى, لذلك دعا الإمام المتأسي إلى أن يجعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متنفسه الذي يتنفس من خلاله, وذلك هو معنى(التنفيس)الذي حمله صوت (السين).

٣. الصوت الخفي:

لمّا كان الهمس صفة من صفات صوت(السين) لذا فقد ساعد ذلك في الدلالة (الصوت الخفي)، إذ إن بين الاثنين شيئاً من المناسبة التي قد تعين الدال في الدلالة على مدلوله, ويتضح ذلك في خطب نهج البلاغة في اللفظتين(همس) و(حسيس)، إذ استعمل الإمام لفظة(حسيس) قائلاً: ((**فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً**))[٢٥٣]، أما لفظة (همس) فقد استعملها الإمام(عليه السلام) قائلاً في صفة الله تعالى: ((**عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ... وَرَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ**))[٢٥٤]، فالموضعان يستدعيان تعبيراً عن أخفى نوع من الأصوات، لذلك عمد الإمام إلى لفظتي (حسيس) و(همس) في ذينك الموضوعين اللذين ساعد فيهما صوت (السين) في الدلالة على ذلك.

ب- الشين:

عَدّ سيبويه وابن جني صوت(الشين) من الأصوات الرخوة[٢٥٥]، ويبدو أن تلك الطبيعة قد أعطت ذلك الصوت صفة التفشي، والتفشي- كما حَدّهُ مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)- هو "كثرة انتشار الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق"[٢٥٦]. وقد أيّد النظر اللغوي الحديث ذلك المسلك في إعطاء صوت(الشين) طبيعة الرخاوة وصفة التفشي[٢٥٧], لذلك ذهب ذلك النظر إلى إعطاء الكلمات التي تضمنت ذلك

---

(٥) نفسه: ٢٢٨(خ١٦٠).
(١) نهج البلاغة(الصالح): ٢٦٨(خ ١٨٣).
(٢) نفسه: ١٣٤(خ ٩١).
(٣) ينظر: كتاب سيبويه: ٤٣٤/٤, سر صناعة الإعراب: ١/ ٦١.
(٤) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار المعارف للطباعة ، دمشق، ١٣١٣هـ- ١٩٧٣م:١٠٠.
(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ١٧٧- ١٧٨.

الصوت دلالة التفشي بغير نظام[٢٥٨] , والتفشي- كما مر- يعني الانتشار, وهذا وإن كان صحيحاً في بعض الألفاظ غير إنه ليس كذلك في بعض آخر.

ومن الألفاظ التي وردت في خطب نهج البلاغة متضمنةً صوت(الشين) ودالةً على معنى (الانتشار) لفظة (انتشرت) في قول الإمام(عليه السلام): ((**مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ**))[٢٥٩] ، ولفظة(انتشار) نفسها في قوله(عليه السلام) واصفاً النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((**أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُور**))[٢٦٠]، فانتشار الأمور في هذا الموضع يعني "تفرق أمور الخلق وأحوالهم وجريان أفعالهم على غير قانون عدلي"[٢٦١]، وكذلك لفظة (تشتَّت) في قوله(عليه السلام): ((**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ... وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ**))[٢٦٢]، ولفظة(تشتتوا) في قوله (عليه السلام) ذاكراً حال فئة من الناس: ((**افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ**))[٢٦٣]، ولفظة (تشتت) في قوله (عليه السلام): ((**فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ - عَلَيهِم السَّلَامُ -... تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ**))[٢٦٤]، ولفظة(تشّعب)في قوله(عليه السلام) مذكراً بالأمم الماضية: ((**فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وَتَشَتَّتَتِ الْأُلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ**))[٢٦٥]. فالمواضع التي ذكرت كلها تشير إلى معنى(الانتشار) بغير نظام, لذلك اقتضت تلك المواضع ألفاظاً توحي بذلك المعنى, ولذا جاء الإمام بكلمات متضمنة صوت(الشين) الذي تعين خصائصه النطقية على الدلالة على معنى(الانتشار).

---

(١) ينظر: تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي: د. أسعد علي، منشورات دار النعمان، لبنان، ط١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م: ٦٤, خصائص الحروف العربية ومعانيها – دراسة: حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ١٩٩٨م: ١١٠ .
(٢) نهج البلاغة(الصالح): ٧٨ (خ٣٤).
(٣) نفسه: ١٢١- ١٢٢(خ٨٩).
(٤) شرح نهج البلاغة(المصباح): ٣١١/٢.
(٥) نهج البلاغة(الصالح): ٢٤٠(خ١١٦).
(٦) نفسه: ٢٤٠(خ١١٦).
(٧) نفسه: ٢٩٧ (خ١٩٢).
(١) نهج البلاغة(الصالح): ٢٩٧(خ١٩٢).

ج- العين:

قال سيبويه في كتابه: "وأما العين فبين الرخوة والشديدة"[٢٦٦]، فـ(العين) عند سيبويه مترجح الصفة، إذ يقع بين وصفي الرخاوة والشدة, وكذا هو متوسط بينهما عند ابن جني في (سر صناعة الإعراب)[٢٦٧]، لذلك سمى أحد النحاة ذلك الصوت- مع غيره- بالأصوات البينية[٢٦٨]. وكذلك الحال عند المحدثين وإن اختلفت الصفتان اللتان تقع بينهما تلك الأصوات[٢٦٩]، والذي يخلص إليه أولئك المحدثون أن تلك الأصوات التي من ضمنها (العين) "متوسطة بسبب شبهها بالحركات(الأصوات الصائتة) لما تتميز به من العلو والشدة في الوضوح"[٢٧٠]، وقد يكون لتلك الصفات أثرٌ في دلالة بعض الألفاظ التي احتوت ذلك الصوت.

ومما جاء في خطب نهج البلاغة من الألفاظ التي تحاكي بعض أصواتها معناها لفظة(التزعزع) وذلك في قول الإمام(عليه السلام): ((**ثُمَّ أَنْشَأَ - سُبْحَانَهُ- فَتْقَ الْأَجْوَاءِ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ... فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ . حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، والزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ**))[٢٧١]، وقد أشار شراح نهج البلاغة إلى معنى(الزعزع) في خطبة الأمام فقالوا: إن معناها هو الريح الشديدة الهبوب[٢٧٢]. فتلك الشدة تتلاءم مع شدة الصوت(العين) التي تكرر مرتين في اللفظة فأوحى بحال تلك الريح.

د- الغين:

إذا كان لصفات الأصوات السابقة أثر في الدلالة على معنى بعض الألفاظ فإن لمخرج صوت(الغين) أثراً في الدلالة على معنى بعض الألفاظ التي تضمنته, فـ(الغين) عند القدامى مخرجه من أدنى الفم[٢٧٣], وعند المحدثين مخرجه من أقصى الحنك، فهو عندهم صوت قصيٌّ[٢٧٤]، وإذا كان حال مخرج (الغين) كذلك فلا غروة أن يعدَّ عند أصحاب الدلالة

---

(٢) كتاب سيبويه: ٤/٤٣٥.
(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب : ١/٦١.
(٤) ينظر: شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت, لبنان, د. ت: ١٠/١٢٨.
(٥) ينظر: علم اللغة العام- الأصوات: ١٢٢, ١٣١, الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر،١٩٨٠م: ٣١٧, ٣١٨, الأصوات اللغوية:١٨١, خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٢٠٣.
(٦) الأصوات اللغوية: ١٨١, وينظر: علم اللغة العام- الأصوات: ١٣١.
(٧) نهج البلاغة(الصالح): ٤٠(خ١).
(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/٨٨, شرح نهج البلاغة(المصباح): ١/١٣٣, توضيح نهج البلاغة:١/٢٠.
(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٤/٤٣٣, سر صناعة الإعراب: ١/٤٧.
(٣) ينظر:علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي: ١٩٤, الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٠٥, الدراسات الصوتية في كتاب(العين)- في ضوء علم اللغة الحديث(رسالة ماجستير): موفق عليوي خضير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م : ٨٤ - ٨٥, الأصوات اللغوية: ١٧٨.

الصوتية صوتاً يستعمل "لغؤور المعنى والغموض أو الخفاء"[٢٧٥] ، أي أن ذلك الصوت- بحكم مخرجه- يوحي بالدلالة على الأمور الغائرة أو الباطنة, وتلك الأمور هي التي تكون سبباً للغموض أو الخفاء.

ومما جاء مثلاً في خطب نهج البلاغة دالاً على الشيء الباطني الغائر كلمتا (غِش) و(غِلّ). فعندما يطلب الأمام(عليه السلام) من أصحابه المناصحة في الحرب فانه يحدد نوع تلك المناصحة بأن تكون خالية من أي إحساس باطني يخالف ظاهر المناصحة, فيقول (عليه السلام) في كلام له: ((**فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ**))[٢٧٦]، فالغِش هو من الأمور الباطنية أو مما له علاقة بباطن الإنسان وغوره , لذلك استدعى صوتاً يعبر عن ذلك، فكان(الغين)- بما انماز مخرجه- أوفى بذلك، وأما عند ما يريد الأمام(عليه السلام) أن يعبر عن إحساس دفين انطوت عليه نفوس فئة من الناس فانه يأتي بلفظة (الغِلّ) التي يوحي صوت (الغين) فيها بذلك الإحساس, فيقول (عليه السلام): ((**قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ**))[٢٧٧]، وقد فُسِّر الغِلّ في هذا الموضع بالحِقد والغِش والحسد والخيانة[٢٧٨], وهذه كلّها من الدفائن التي يُضمرها الإنسان في نفسه، أو هي مما يسعى الإنسان إلى عدم إظهارها. فـ(الغش) و(الغل) قد عبّرا عن شيءٍ لدى الإنسان إن لم يكن غائراً أو باطنياً فإن الإنسان يسعى لإبقائه كذلك, ومما ساعد اللفظتين أن تدلا تلك الدلالة وجود صوت (الغين) فيهما. وأما عندما يريد الإمام(عليه السلام) أن يعبر عن بلوغ الشيء مبلغاً عميقاً في الدخول فإنه يستعمل لذلك لفظة (تغلغل) في قوله(عليه السلام) واصفاً خلق الله الأرض: ((**عَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا**))[٢٧٩]، فقد أورد بعض شراح النهج أن معنى (التغلغل) هو الدخول في

---

(٤) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي: ٦٤، وينظر: خصائص الحروف ومعانيها: ١٢١.
(٥) نهج البلاغة(الصالح): ١٧٥ (ك ١١٨).
(١) نهج البلاغة(الصالح): ١٩٢(خ١٣٣).
(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢٩٥/٨, توضيح نهج البلاغة: ٢/ ٣٠١, نهج البلاغة (الصالح): ٦٢٤(في هامش١٧٣٣).
(٣) نهج البلاغة(الصالح): ١٣٢(خ٩١).

الأعماق[٢٨٠] أو "المبالغة في الدخول"[٢٨١], ومما أعان الدلالة على ذلك المعنى وجود (غينين) في تلك اللفظة.

هـ- القاف:

وقف ابن جني عند عدد من الأصوات – كان من بينها صوت القاف- وقال عنها: بأنها "مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقلة... لأنك لا تستطيع أن تقف عليها إلا بصوت, وذلك لشدة الحَفْز والضغط"[٢٨٢]، لذلك عُدت تلك الأصوات أصوات القلقلة, ذلك لأن المتكلم إذا أراد بيانها احتاج "إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فيسمع"[٢٨٣]، هذا ما استقر عليه مفهوم(القلقلة) وسببها لدى القدماء. وأما المحدثون فعندهم أن(القلقلة) ما هي "إلا مبالغة في الجهر بالصوت لئلا يعتريَه بعضٌ من الهمس"[٢٨٤]، وسبب تسميتها عندهم جاء "من الفعل (قلقل) الشيء بمعنى حرّكة"[٢٨٥]، ولا اختلاف بين القدامى والمحدثين إلا في وجود الصوت مع الحركة وعدمه في ذلك المعنى, والظاهر أن الصوت راجع إلى الحركة أيضاً فهي سببه, لذا كان صوت(القاف) صوتاً متقلقلاً لذلك السبب. وقد يكون ذلك الحال قد ألقى بظلاله على بعض الألفاظ التي تضمنته فانعكس ذلك على الدلالة.

فمن الألفاظ التي وردت في خطب نهج البلاغة لتدلَّ على معنى الحركة التي ربما تستدعي صوتاً لفظة(تقلقلوا) نفسها التي استعملها الإمام (عليه السلام) مُتوخياً ما تستجلبه تلك اللفظة من إيحاء بالمعنى الذي يريده, يقول(عليه السلام) لأصحابه في بعض أيام صِفين: ((**مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا**))[٢٨٦]، فالموضع يقتضي إظهار حركة السيوف بشكل يتلاءم وطبيعة ما طلبه الإمام من أصحابه من طَلِبات, وليس من لفظة أوفى من (قلقل) في تصوير نوع حركة السيوف التي أراد الإمام

---

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (المصباح): ٢/ ٣٩٦.
(٥) نهج البلاغة(الصالح): ٦٠٤(في هامش ١١٥٨).
(٦) سر صناعة الإعراب: ٦٣/١.
(١) شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسين الاستراباذي، تح : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م: ٣/ ٢٦٣.
(٢) الأصوات اللغوية: ٢٧٨.
(٣) علم اللغة العام- الأصوات: ١١٦.
(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٩٧(خ٦٦).

التعبير عنها, وذلك لأنها(اللفظة) ضمت صوت(القاف) من جهة, ثم أنه (القاف) قد تكرر مرتين في اللفظة من جهة أخرى, وهذا ما يعين في الوصول إلى المراد.

و- الهاء:

أرجع الخليل بن أحمد مَخرج صوت(الهاء) إلى مَخرج صوت (الهمز) فقال: "ويقال: الهمز صوت مهتوتٌ في أقصى الحلق, فإذا رُفّه عن الهمز صار نفساً, تحول إلى مخرج الهاء, ولذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة, يقال: أراق وهراق وأيهات وهيهات"[٢٨٧]، فـ(الهمزة) و (الهاء) مخرجهما- عند الخليل- واحدٌ وإن اختلفت طريقة كل واحد منهما في الخروج[٢٨٨] , والمُهم من ذلك أن صوت(الهاء) قد أخذ صفة (الهتّ) من (الهمزة) حتى عَدَّه ابن جني صوتاً مهتوتاً, وسبب تسمية ذلك الصوت بذلك "لما فيه من الضعف والخفاء"[٢٨٩]، وتابع غير واحد من اللغويين قديماً وحديثاً ابنَ جني في عدِّ ذلك الصوت مهتوتاً للسبب نفسه[٢٩٠]. أما انعكاس ذلك الضعف على الدلالة فقد تنبه له ابن جني قبل غيره, وذلك في الموازنة التي أجراها بين لفظتي(أزّ) و(هزّ)[٢٩١]. فبعض الألفاظ التي يتقدمها صوت (الهاء) تُوحي بالخفة نتيجة ذلك الضعف.

ومثال ما جاء في خطب النهج من الألفاظ متضمناً صوت(الهاء) ودالاً على الخفة، الألفاظ (هرب) و(هفّافة) و(هياج) و(هيج)، أما الأولى من تلك الألفاظ فقد استعملها الإمام(عليه السلام) قائلاً: ((**وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ**))[٢٩٢]، فـ(الهرب) يقتضي حركة وخفّة, و(الهاء) أنسب لذلك, وأما اللفظة الثانية فقد أوردها الإمام ليصف بها الريح, وذلك في قوله (عليه السلام) في صفة صنف من الملائكة: ((**وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ،**

---

(١) كتاب العين: ٣٤٩/٣.
(٢) ينظر: الدراسات الصوتية في كتاب (العين)- في ضوء علم اللغة الحديث: ٨٢ .
(٣) سر صناعة الإعراب: ٦٤/١.
(٤) ينظر: لسان العرب: ١٠٣/٢, الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٢٤, الأصوات اللغوية: ٢٨٠, الصوتيات عند ابن جني- في ضوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة: ٢٣٣(في هامش ٥٣).
(٥) ينظر: الخصائص: ١٤٦/٢.
(٦) نهج البلاغة(الصالح): ١٥١(خ١٠٥).

وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ))[٢٩٣] إذ ورد أن معنى(هفّافة) في هذا الموضع هو الريح الساكنة الطيبة[٢٩٤], ويبدو أن لصوت (الهاء) أثراً في الدلالة على صفة تلك الريح ، وذلك لما أضفاه ذلك الصوت من خفة نتيجة الضعف في الريح وإلا فالريح عادة تكون على غير تلك الصفة. وإذا كان صوت(الهاء) في لفظة (هفّافة) قد أوحى بذلك المعنى فإن صوت (الفاء) في اللفظة نفسها قد منحها صفة الهوائية, ذلك لأن (الفاء) من طبيعته - كما يقرّ القدامى والمحدثون- أن يبقى معه الهواء المندفع من الرئتين مسترسلاً[٢٩٥] , حتى أن أحد المحدثين شبّه عملية نطق(الفاء) بمحاولة إطفاء عود كبريت[٢٩٦], وهذا ما يجعل ذلك الصوت ملائماً للتعبير عن (الريح) التي هي هواء أيضا, ويزداد إيحاء الصوت بمعناه في لفظة(هفّافة) عندما ترد ثلاثة (فاءات) في تلك اللفظة.

وأما اللفظتان الأُخريان اللتان جاءتا في خطب نهج البلاغة ليوحي فيهما صوت (الهاء) بالحركة نتيجة للضعف فهما (هياج) و(هيج) وذلك في قول الإمام (عليه السلام) واصفاً الأرض ودحوها: ((**كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَلُجَجٍ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا، وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا**))[٢٩٧] فـ(الهياج) يكون للإبل حين تُهاج للضِّراب, و(الهيج) يحمل معنى الفعل(ثار) كما صرح الشارح المعتزلي[٢٩٨]، وهياج الإبل وثورة الماء يحملان معنى الحركة التي كان الضعف سبباً لها, وذلك ما أومأ إليه صوت (الهاء) في اللفظتين (هياج) و(هيج).

ويلاحظ أيضاً إيحاء صوت(الهاء) بمعنى الضعف في اللفظتين (تهدّلت)[٢٩٩] و(متهدلة)[٣٠٠] الواردتين في خطب نهج البلاغة.

ثالثاً: **دلالة الصيغ الصرفية في خطب نهج البلاغة**:

الصيغ واحدتها صيغة، وأصلها اللغويّ الفعل(صَيَغَ), جاء في كتاب العين تحت مادة ذلك الفعل "الصياغة: حرفة الصائغ، وصاغ يصوغ صوغاً، والشيء مصوغ. والصيغة: سهام من صنعة الرجل"[٣٠١]، وجاء في كتاب العين أيضاً ولكن تحت

---

(٧) نفسه: ١٥١(خ٩١).
(١) ينظر: شرح نهج البلاغة:٦ /٤٢٩, شرح نهج البلاغة(المصباح): ٦٤/٢, نهج البلاغة(الصالح): ٦٠٢(في هامش١٠٩٨).
(٢) الخصائص: ٣٢٨/٢, علم اللغة العام- الأصوات: ٨٠, الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ١٤٥, الأصوات اللغوية: ١٥٨-١٥٩, الصوتيات عند ابن جني- في ضوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة: ٢٣١.
(٣) ينظر: أسس علم اللغة: ماريوباي، تر: د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ١٩٧٣م: ٨٥.
(٤) نهج البلاغة(الصالح): ١٣١(خ٩١).
(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٦/ ٤٣٩.
(١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٥٤ (ك٢٣٣).
(٢) ينظر: نفسه: ٢٢٩(خ١٦٨).
(١) كتاب العين: ٤٣٢/٤.

مادة(صَوَغ) "وهذا صوغ هذا أي على قدره"[٣٠٢]، وما ذكره الخليل تحت كلتا المادتين يُنبئ بوجود شيء صِيغ على مثالٍ سابقٍ له. ولعلَّ ما أراده الخليل يبرز بشكل أوضح عند أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، إذ جاء في معجمه(معجم مقاييس اللغة) أن معنى الأصل(ص و غ) "هو تهيئة على شيء على مثال مستقيم"[٣٠٣]، فـ(الصيغة)- على وفق المفهوم اللغوي- تستلزم شرطين:

أولهما: أن تكون على هيأة معينة.

وثانيهما: أن تكون على مثال سابق لها. وبطبيعة الحال أن تلك الهيأة المصوغة على المثال السابق لها تستدعي- في أغلب الأحيان- دلالة غير تلك الدلالة التي تدل عليها قبل صياغتها، أي أن الهيأة الجديدة استدعت دلالة جديدة أو استدعتها دلالة جديدة.

وذلك النوع من الدلالة هو الذي أشار إليه ابن جني في كتابه(الخصائص) وسماه(الدلالة الصناعية)، وذلك في الباب الذي عقده تحت عنوان (باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية) إذ جاء في ذلك الباب "اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعىً مُؤْثَر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهنّ الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية... ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله. فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه. وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قِبَل أنها وإن لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتَزم بها"[٣٠٤]. فـ(الصورة التي يحملها اللفظ) أو(الهيأة الجديدة) هي الحالة الأخرى من حالات الكلمة، وتلك الحالة لها دلالة غير الدلالة الأولى، والدلالة الأخرى هي دلالة الهيأة الجديدة التي صيغت على مثال سابق، أي (دلالة الصيغة الصرفية).

ويسمي البحث اللغوي الحديث (الصيغ) (مباني) ويعطيها معناها، إذ عنده أنّ كلَّ "ما يرجع من هذه المباني إلى أصول اشتقاقية فإنه يتفرع إلى مبان فرعية يضمها المبنى الأكبر، وكل مبنى من هذه المباني الفرعية هو قالب تصاغ الكلمات على قياسه يسمى بالصيغة الصرفية... أما ما لا يرجع إلى أصول اشتقاقية من مباني التقسيم، وهو الضمير وأكثر الخوالف والظرف والأداة فمبانيها في صورها المجردة إذ لا صيغ لها"[٣٠٥]، فـ(الصيغة)- في ضوء ما تقدم- هي غير(المبنى)، إذ تقتضي(الصيغة) مثالاً سابقاً، ومن ثم دلالةً أخرى، في حين لا يحتم(المبنى) مثالاً سابقاً ولا دلالة أخرى، لذلك "جاءت تعريفات الباحثين المعاصرين للصيغة باعتبارها قوالب تصاغ فيها الألفاظ، وتحدد بها المعاني الكلية أو المفاهيم العامة"[٣٠٦]، فالبحث الحديث يشترط هو الآخر للصيغة مثالاً سابقاً لها، ودلالة غير دلالتها الأولية(المعجمية). وهذا ما سيعتمده البحث وهو يتتبع(دلالة الصيغ الصرفية في خطب نهج البلاغة) إذ إنّ حدّ(الصيغة)- على وفق ما تقدم- ينطبق على الأفعال والمصادر[٣٠٧].

١- دلالة صيغ الأفعال:

الأفعال في العربية من حيث بنيتها قسمان، فمنها ما يكون مجرداً، ومنها ما يكون مزيداً[٣٠٨]، والمجرد من الأفعال "هو ما كانت جميع أحرفه أصلية لا يسقط حرف منها في تصريف من تصاريفه لغير علة تصريفية"[٣٠٩]، وأما المزيد فهو" ما أضيف إلى

---

(٢) نفسه: ٤٣٢/٤.
(٣) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م: ٣٢١/٣.
(١) الخصائص: ٩٨/٣.
(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م: ١٣٣.
(٣) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: ١٩(في هامش٢).
(٤) ينظر: نفسه: ٣٢.
(١) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م: ٣٧٧، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس(أطروحة دكتوراه): صباح عباس سالم الخفاجي، جامعة القاهرة، كلية الآداب، القاهرة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م: ٢٩٤.

أصوله حرفان أو ثلاثة أحرف"[٣١٠]، فتقسيم الأفعال على قسمين قائم على أساس لفظي، وهو زيادة وحدة صوتية إلى الجذر اللغوي أو عدم الزيادة، فالأول هو المجرد، والآخر المزيد، والمجرد- هو الآخر- يقسم على قسمين يتحكم فيهما عدد حروف بنية الكلمة، فالأول منهما ثلاثي، والآخر رباعي[٣١١].

أ- الثلاثي المجرد:

يأتي الفعل الثلاثي المجرد على ثلاث صور تبعاً لحركة عينه التي قد تكون مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، ولكل صورة من تلك الصور دلالات على معان مختلفة، وهي على الآتي:

أ. أ- فَعَلَ:

ساعد توالي ثلاث فتحات في بناء الوزن(فَعَلَ) على خفة ذلك البناء في النطق، ومن ثم على دلالته على معانٍ يذكر اللغويون أنها لا تحصى[٣١٢]، ومن تلك المعاني التي دلّ عليها البناء(فَعَل) في خطب نهج البلاغة:

١. الغلبة:

(الغلبة) معنى من المعاني التي يدل عليها الوزن(فَعَلَ)، وهذا ما ذكره جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١) في كتابه (همع الهوامع- شرح جمع الجوامع في علم العربية)[٣١٣].

والأفعال التي وردت في خطب نهج البلاغة على ذلك الوزن لتدل على معنى(الغلبة) هي الفعل (غلب) في قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا**))[٣١٤]، والفعل (سَلَبَ)، ومثاله في خطب النهج قول الإمام(عليه السلام) ذكراً الأمم السابقة: ((**فَقَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ**))[٣١٥]، ولهذا الفعل مواضع أخرى في خطب النهج، وقد استعمله الإمام للدلالة على معنى(الغلبة) حقيقة كما في المثال المذكور، أو للدلالة على ذلك المعنى مجازاً كما في غيره من الأمثلة[٣١٦]. ومن الأفعال الأخرى التي جاءت في خطب النهج على زنة(فَعَلَ) ودلت على (الغلبة) الفعل (هزم)، وذلك في قول الإمام (عليه السلام): ((**أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ**))[٣١٧]، والموضع- كما يظهر- موضع استعبار بالأمم الماضية وهذا ما يستلزم استحضار صور تشير إلى حال تلك الأمم وما آلت إليه أمورهم من حيث الغلبة أو النصر، وقد جاء الفعل(هزم) ليصور ذلك الحال لما يحمله من دلالة على معنى (الغلبة).

٢. الحركة والاضطراب:

---

(٢) معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان(رسالة ماجستير): نسرين عبد الله شنوف الزجراوي، جامعة الكوفة، كلية القائد للتربية بنات، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م: ٩٣.
(٣) نفسه: ٩٣.
(٤) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٧٧.
(٥) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م: ٣٦٩، شرح المفصل: ١٥٦/٧، شرح شافية ابن الحاجب:٧٠/١، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس : ٢٩٤، من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٧، ١٩٨٥م: ٥٢.
(١) ينظر: همع الهوامع- شرح جمع الجوامع في علم العربية: جلال الدين السيوطي، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت: ٢٠/٦.
(٢) نهج البلاغة(الصالح): ٢٥٧(خ ١٧٨).
(٣) نفسه: ٢٩٧(خ١٩٢).
(٤) ينظر: نفسه: ١٢٩(خ٩٢)، ١٧٧(خ١٢١).
(٥) نهج البلاغة (الصالح): ٢٦٣(خ١٨٢).

يأتي الفعل على وزن(فَعَلَ) فيدل على (الحركة والاضطراب)[٣١٨]. وقد دل على ذلك المعنى في خطب نهج البلاغة الفعل(رجف) في قول الإمام(عليه السلام) في ذكر يوم القيامة: ((**ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعاً قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ**))[٣١٩]، والفعل(وَثَبَ) في قول الإمام(عليه السلام) في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه: ((**فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ... فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً**))[٣٢٠]، ومعنى(وثب) في معاجم اللغة هو طفر[٣٢١]، غير أن الإمام يستعمله في هذا الموضع للدلالة على "اهتبال الفرصة بغتة"[٣٢٢]، وفي ذلك معنى(الحركة والاضطراب) أيضاً. ومما جاء في خطب النهج وكان له دلالة على ذلك المعنى الأفعال (**فَرَّ**)[٣٢٣]و (دبّ)[٣٢٤] و(زلّ)[٣٢٥]و(كرّ)[٣٢٦] و(هرب)[٣٢٧] وغيرها من الأفعال.

٣. السكون والاستقرار:

قد تأتي الصيغ الفعلية على زنة البناء (فَعَلَ) لتدل على معنى (السكون والاستقرار)[٣٢٨], وهذا المعنى هو مما يضاد الدلالة على معنى (الحركة والاضطراب).

وصيغ الأفعال التي جاءت دالة على معنى (السكون والاستقرار) في خطب نهج البلاغة هي (حلّ)[٣٢٩] و(رَكَنَ)[٣٣٠] و(سَكَنَ)[٣٣١] و(وقف)[٣٣٢].

٤. القطع:

يرد الوزن(فَعَلَ) دالاً على معنى(القطع)[٣٣٣]، ويكون ذلك المعنى عندما يأتي(فَعَلَ) متعدياً، ذلك لأن(القطع) هو مما يقع على المفعول به. ومن الأفعال التي دلت على ذلك المعنى في خطب النهج الفعل(كسر) في قول الإمام(عليه السلام): ((**أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**))[٣٣٤]، والإمام يستعمل الفعل(كسر) في هذا الموضع كناية ليدل به على معنى القتل[٣٣٥]، وفي ذلك قطع أيضاً، ويأتي كذلك الفعل(قَسَمَ) ليدل على معنى(القطع)، ومثال ذلك في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام):((**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ**))[٣٣٦]، فالفعل(قُسم) قد دل على معنى(القطع) في هذا الموضع لأنه داخل في قضاء الله وقدره[٣٣٧].

---

(٦) ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٤٨، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٢.
(١) نهج البلاغة(الصالح): ١٧٤- ١٤٨(خ١٠٢).
(٢) نفسه: ٢٣٦- ٢٣٧(ك٢١٨).
(٣) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٣١/١، لسان العرب: ٩٢/١ (ط ف ر)، القاموس المحيط: ١٣٥/١.
(٤) توضيح نهج البلاغة: ٣٤٥/٣.
(٥) نهج البلاغة(الصالح): ٨٥(ك٤٤).
(٦) ينظر: نفسه: ١٥٢(خ١٠٥).
(٧) ينظر: نفسه: ٢٢٤(خ ١٥٨).
(٨) ينظر: نفسه: ١٧٦(ك١١٨) ، ١٨٣(ك ١٢٦).
(٩) ينظر: نفسه: ٥٣(خ٧).
(٣٢٨) ينظر: أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: أبو أوس إبراهيم الشمسان، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م: ١٥.
(١١) ينظر: نفسه: ١١٩(خ٨٧).
(١٢) ينظر: نفسه: ٣٠٤(خ١٩٣).
(١٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٢٩، ١٣١، ٣٣(خ٩١)، ٣٣٨(ك٢٢١).
(١٤) ينظر: نفسه: ٨١(ك٣٧)، ٩٦(خ٦٥) ، ٢١٦(خ١٥٤).
(١) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٢ ، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ١٥.
(٢) نهج البلاغة(الصالح): ٣٠٠ (خ١٩٢).
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح): ٣١٢/٤.
(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٦٤(خ٢٣).
(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح):٤/٢.

٥. الإعطاء:

يكون الوزن(فَعَلَ) دالاً على الإعطاء[٣٣٨]، والأفعال التي تأتي على ذلك الوزن وعلى تلك الدلالة تكون متعدية، وذلك لما يتطلبه(الإعطاء) من وجود معطى إليه.

ومن الأفعال التي وردت في خطب النهج على تلك الشاكلة الفعل(منح) في قول الإمام(عليه السلام): ((**أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقاً وَعَلَقَةً مِحَاقاً وَجَنِيناً وَرَاضِعاً وَوَلِيداً وَيَافِعاً ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَلِسَاناً لَافِظاً**))[٣٣٩]، ويلاحظ أنّ الإمام لا يستعمل الفعل (منح) إلا عندما يكون المعطى إليه بشراً، سواء أكان الممنوح شيئاً مادياً كما في مقطع الخطبة السابق، أم كان شيئاً معنوياً كإعطاء ظهر الضراء[٣٤٠] أو إعطاء الجميل[٣٤١]. واستعمل الإمام في خطبه أفعالاً أخرى دلت صيغها الصرفية على معنى (الإعطاء)، ومن تلك الصيغ مثلاً الفعلان(نَحَلَ) [٣٤٢] و(وَهَبَ)[٣٤٣].

وللوزن (فعل) دلالات أُخر دلت عليها صيغ أفعال مختلفة في خطب النهج، ومن تلك الدلالات الدلالة على الجمع[٣٤٤]، ومثالها الفعل(جمع)[٣٤٥]، والدلالة على السير[٣٤٦]،ومثالها الفعلان(درج)[٣٤٧]و(سار)[٣٤٨]، والدلالة على الصوت[٣٤٩]ومثالها الفعل(ضج)[٣٥٠]. فالوزن (فَعَلَ) له معان كثيرة تؤديها أفعال كثيرة أيضاً، فهي (المعاني) - كمل عبر الصرفيون- لا تحصى.

أ. ب- فَعِلَ:

يكون الوزن(فَعِلَ) لازماً ومتعدياً والأغلب منه هو اللازم[٣٥١]، هذا من حيث استغناء(فَعِلَ) واحتياجه، أما من حيث الدلالة فإن الوزن(فَعِلَ) يأتي لمعان متعددة تدل عليها أفعال مختلفة، ومن معانيه التي وردت في خطب نهج البلاغة:

١. الأمراض والعلل:

أشار سيبويه إلى دلالة الوزن (فَعِلَ) على (الأمراض والعلل) فقال: "وقالوا: حزن حزناً وهو حزين، جعلوه بمنزلة المرض لأنه داء"[٣٥٢]، فـ(حَزِنَ) الذي على زنة (فَعِلَ) عند سيبويه من الأمراض، وكذلك عنده على ذلك المعنى الفعلان (فَزِعَ) و(وَجِلَ)[٣٥٣]،

---

(٦) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٢، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ١٥.
(٧) نهج البلاغة(الصالح): ١١٢(خ٨٣).
(٨) ينظر: نفسه: ١٦٤(خ١١١).
(١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١١٤(خ٨٣).
(٢) ينظر: نفسه: ١٢٦(خ٩١)، شرح نهج البلاغة:٤١٣/٦، توضيح نهج البلاغة: ٤٩/٢.
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٢٤(خ٩١)، ٢٠١(خ١٤٤).
(٤) ينظر: الأبنية الصرفي في كتاب سيبويه: ٢٩٤، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ١٥.
(٥) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٥٤(خ١٠)، ٧٨(خ٣٤)، ١٩٠(خ١٣٢).
(٦) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٢، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ١٥، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٢٩٤.
(٧) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٥٣(خ٨).
(٨) ينظر: نفسه: ٤٧(خ٢)، ١٠٥(ك٧٩)، ١٨٥(ك١٢٨).
(٩) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٢.
(١٠) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٤٧(ك ٢٢٤).
(١١) ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٤٩.
(١٢) كتاب سيبويه: ١٧/٤.
(١) ينظر: كتاب سيبويه: ١٨/٤.

وتابع ابنُ الحاجب النحوي(ت٦٤٦هـ) في كتابه (الشافية) سيبويه في دلالة ذلك الوزن على ذلك المعنى فقال: "وفَعِلَ تكثر فيه العلل... نحو سقم ومرض"[٣٥٤]، فالوزن (فَعِلَ) يدل من بين ما يدل عليه على (الأمراض والعلل).

ومن الأفعال التي جاءت في خطب نهج البلاغة ودلت على تلك الدلالة الفعل(حَزِنَ)، وذلك في قول الإمام(عليه السلام):((مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ, فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ, وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ, مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ, وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ))[٣٥٥]، **فالإمام يستعمل الفعل(حَزِنَ) في هذا الموضع مع من يفتقر في الدنيا، أي أن من يكن على تلك الحال يكن معتلاً بداء الحزن. وأما الفعل الآخر الذي دل على علة أو مرض في خطب نهج البلاغة فهو الفعل (وَجِلَ)، وذلك في قول الإمام (عليه السلام):** ((فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ وَوَجِلَ فَعَمِلَ))[٣٥٦], **فـ(وَجِلَ) في هذا الموضع يعني(خاف)، غير أن ذلك الخوف قد يكون من الله تعالى**[٣٥٧]**، أو قد يكون الخوف خوف الآخرة أو العقبى**[٣٥٨]**، وتلك الأمور التي ذكرت(الله) (الآخرة) (العقبى) أمور معنوية لا يظهر تأثيرها على البدن، وإنما يشعرها القلب حتى يصير تأثيرها عليه تأثير المرض على البدن، لذلك صح أن يكون في(وَجِلَ) دلالة على(المرض), وإلى ذلك أشار سيبويه بقوله: "وجاء ما كان من الذعر والخوف على هذا المثال، لأنه داء قد وصل إلى فؤاده كما وصل ما ذكرنا إلى بدنه"**[٣٥٩]**. ومن الأفعال الأخرى التي تدل على مرض الفعل(عَمِيَ)، وقد ورد ذلك الفعل في خطب نهج البلاغة في خمسة مواضع، ولم يأتِ فيها الفعل(عَمِيَ) دالاً دلالة حقيقية على معنى العمى المعروف، وإنما كانت دلالته دلالة مجازية كالإشارة إلى "عدم الاهتداء إلى وجه المصلحة"**[٣٦٠] **كما في قوله(عليه السلام) واصفاً حال الناس في أثناء الفتنة:**((يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ، قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ))[٣٦١]، **أو كالإشارة إلى عدم الاهتداء إلى المقاصد المطلوبة**[٣٦٢] **كما في قوله (عليه السلام):** ((وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ... وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ... وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ))[٣٦٣]، **أو كالإشارة إلى من يجهل فتنة بني أمية**[٣٦٤]**، أو الإشارة إلى انقطاع الأخبار**

---

(٢) شرح شافية ابن الحاجب: ٧١/١.
(٣) نهج البلاغة(الصالح): ١٠٦(ك٨٢).
(٤) نفسه: ١٠٩(خ٨٣).
(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح): ٢٤٧/٢.
(٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٣٢١/١، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣٨٧/٥.
(٧) كتاب سيبويه: ١٨/٤.
(١) شرح نهج البلاغة(المصباح): ٢٢٥/٣.
(٢) نهج البلاغة(الصالح): ٢١٠- ٢١١(خ١٥١).
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح): ٢٤٢/١.
(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٤٦(خ٢).
(٥) ينظر: نفسه: ١٣٧(خ٩٣).

واختفاء الأثر عن أبصار الناظرين[٣٦٥] فالإمام(عليه السلام) قد استثمر دلالة (عَمِيَ) الحقيقية وصرفها إلى معان أُخر، فالذي بقي من (عَمِيَ) في خطب النهج الدلالة وليس المعنى.

٢. الألوان:

ذكر سيبويه في كتابه الدلالة على الألوان فقال: "أما الألوان فإنها تبنى على أفعل، ويكون الفعل على فَعِلَ يَفْعَلُ والمصدر على فُعْلَةٍ أكثر"[٣٦٦]، وأشار ابن الحاجب إلى تلك الدلالة أيضاً[٣٦٧]، فلصيغ بعض الأفعال التي تأتي على الوزن (فَعِلَ) دلالة على (الألوان).

ومما جاء في خطب النهج مثلاً على زنة(فَعِلَ)، وله دلالة على اللون الفعل(كَدِرَ)، وذلك في قول الإمام(عليه السلام) واصفاً الدنيا: ((**أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَآذَنَتْ بِانْقِضَاءٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا... وَقَدْ أَمَرَّ فِيهَا مَا كَانَ حُلْواً وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً**))[٣٦٨]، فالفعل (كَدِرَ) يحمل دلالة على اللون، غير أنه قد تضمن دلالة أخرى وهي الدلالة على التغير والصيرورة، فالمعنى الذي دل عليه الفعل(كَدِرَ) يشير إلى أنه كان على لون ما- وهو الصفاء في هذا الموضع- ثم صار على لون آخر مع الفعل نفسه، وإلى ذلك أشار أحد شراح النهج موضحاً معنى(كَدِرَ) في النص المذكور من خطبة الإمام، إذ قال ذلك الشارح: "وكَدِرَ منها أي من الدنيا، ما كان صفواً أي تغير لونه من الصفاء إلى الكدورة"[٣٦٩]، وما ذكره ذلك الشارح يفيد الإشارة إلى دلالة(كدر) على معنى التغير بالإضافة إلى دلالته على اللون. ولم يستعمل الإمام في خطبه أفعالاً أخرى كانت على زنة(فَعِلَ)، ولها دلالة على اللون غير ذلك الفعل.

٣. الهيج:

ذكر سيبويه في كتابه الوزن(فَعِلَ)، وذكر دلالته على معنى (الهيج) فقال: "وقد جاء على فَعِلَ يَفْعَلُ وهو فعل أشياء تقاربت معانيها، لأن جملتها هَيْجٌ... جعلوا هذا حيث كان خفة وتحركاً"[٣٧٠]، وقد تابع رضي الدين الاستراباذي النحوي(ت٦٨٦هـ) في شرح شافية ابن الحاجب سيبويه في دلالة(فَعِلَ)على معنى(الهيج)[٣٧١].

ومن الأفعال التي وردت في خطب نهج البلاغة دالة على ذلك المعنى الفعل(حَمِسَ)، وذلك في قول الإمام(عليه السلام): ((**وَأَيْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى، وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ**))[٣٧٢]، وكذلك أتى الفعلان(ضَحِكَ)[٣٧٣] (حَمِيَ)[٣٧٤] في خطب النهج ليدلا على معنى (الهيج).

---

(٦) ينظر: نفسه: ٣٣٩-٣٤٠(ك٢٢١)، توضيح نهج البلاغة: ٣/٣٥٦-٣٥٨، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٤/٢١٩، ٢٢٨.
(٧) كتاب سيبويه: ٤/٢٥.
(٨) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١/٧١.
(٩) نهج البلاغة(الصالح): ٨٩(خ٥٢).
(١٠) توضيح نهج البلاغة: ١/٢٢٦.
(٢) كتاب سيبويه: ٤/٢٠.
(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١/٧٢.
(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٧٨(خ٣٤).
(٥) ينظر: نفسه: ٣٠٦(خ١٩٣).
(٦) ينظر: نفسه: ١٤٢(خ٩٧).

٤. الامتلاء:

تذكر للوزن(فَعِلَ) الدلالة على معنى(الامتلاء)[٣٧٥]، ومن الأفعال التي جاءت دالة على ذلك المعنى في خطب نهج البلاغة (رَوِيَ)، وذلك في قول الإمام (عليه السلام) ذاكراً الإسلام: ((**فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا... وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا**))[٣٧٦]، وذكر أحد شراح النهج دلالة (روي) على (الامتلاء) عندما شبه الرواء من المناهل- وهي مناهل العلم عنده- برواء وارد الحياض بمائها[٣٧٧]، إذ إن الرواء يدل على(الامتلاء), وللدلالة على معنى الامتلاء على الوزن (فَعِلَ) أيضاً الفعل(شَرِبَ)، ولهذا الفعل مواضع متعددة في خطب نهج البلاغة تتقاسمها دلالتان حقيقية وهي الدلالة على الشرب المعروف كما في قول الإمام(عليه السلام): ((**فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِم عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى**))[٣٧٨]، وكذلك جاء الفعل(شَرِبَ) ليدل دلالة مجازية، وهي الأكثر تداولاً من سابقتها في خطب النهج، ومن ذلك مثلا قول الإمام(عليه السلام) واصفاً أصحاب القرون الخالية: ((**سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً سُلِّطَتْ الأَرْضُ عَلَيهِمْ فِيْهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ**))[٣٧٩]، وقد جاء الفعل(شَرِبَ) على تلك الدلالة في ثلاثة مواضع أخرى من خطب النهج[٣٨٠]، إذ استخدم الإمام الفعل في الموضع الأول للدلالة على تنعم الملائكة بمحبة الله تعالى، وفي الموضع الآخر للدلالة على التعلق بالدنيا، وفي الموضع الثالث للدلالة على طاعة الأدعياء من الناس.

والملاحظ أن الأفعال التي ذكرت تدل كلها على معنى(الامتلاء) المادي - وإن كانت في معانيها المجازية- غير أن ذلك لا يعني عدم وجود امتلاء من نوع أخر، وهو الامتلاء الروحي أو المعنوي، ومن ذلك مثلاً الأفعال (فَرِحَ)[٣٨١] و(فَهِمَ)[٣٨٢] و(عَلِمَ)[٣٨٣]، والفعل الأخير يأتي دالاً على(الامتلاء) مع غير الله تعالى، إذ لا يصح ذلك المعنى مع الله تعالى، وهناك نوع آخر من الدلالة للوزن(فَعِلَ)، وهي الدلالة على معنى(الامتلاء) الحسي والمعنوي في آن معاً، ومثال تلك الدلالة في خطب النهج الفعلان(قَوِيَ)[٣٨٤] و(نَعِمَ)[٣٨٥].

وللوزن(فَعِلَ) دلالات على معان أُخر جاء أغلبها في خطب نهج البلاغة، كالدلالة على معنى(الخلو)، وقد دل على ذلك المعنى الفعل(جَهِلَ)[٣٨٦] والفعل(عَطِشَ)[٣٨٧]، أو كالدلالة على معنى(الترك)، إذ يدل على ذلك معنى الفعلان(يَئِسَ)[٣٨٨](سَئِمَ)[٣٨٩]،

---

(١) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي: ط١٥، القاهرة،١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م: ٣١، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٤، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٢٩٥.
(٢) نهج البلاغة(الصالح): ٣١٤(خ ١٩٨).
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح): ٤٥٥/٣.
(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٦٨(خ٢٦).
(٥) نفسه: ٣٣٩(خ٢٢١).
(٦) ينظر: نفسه: ١٣٠(خ٩١)، ٢٠١(خ١١٤)، ٢٩٠(خ١٩٢).
(١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٦٨(خ١١٣).
(٢) ينظر: نفسه: ٣٥٨(ك٢٤٠).
(٣) ينظر: نفسه: ٨٣(خ٤١)، ١٠٢(خ٧٤)، ١٨٤(ك١٢٧)، ١٨٩(ك١٣١)، ٢٢٠(ك١٥٦)، ٣٠٠(خ١٩٢).
(٤) ينظر: نفسه: ١٨٧(خ١٢٩)، ٢٤٠(خ١٦٦).
(٥) ينظر: نفسه: ١١٤(خ ٨٣).
(٦) ينظر: نفسه: ٤٣(خ١)، ٦٠(ك٧)، ٧٤(ك٣٢)، ١٢٢(خ٨٩)، ١٢٥(خ٩١).
(٧) ينظر: نفسه: ٣٣٣(خ٢١٦).
(٨) ينظر: نفسه: ٦٧(خ٢٥)، ٧٨(خ٣٤).

والملاحظ في الفعلين(يَئِسَ) و(سَئِمَ) أنهما لا يدلان على معنى (الترك) نفسه وإنما النتيجة التي تترتب على حدثي الفعلين هي ذلك المعنى، فمطامع الأعداء- في خطبة الإمام- لم تترك بقاء الدولة إلا بعد أن يئست من ذلك، وكذلك فإن الإمام لم يترك قومه إلا بعد أن سئمهم وسئموه، فـ(الترك) في الفعلين (يَئِسَ) و(سَئِمَ) معنى متحقق بعد (اليأس) و(السأم)، وكذلك يأتي الوزن(فَعِلَ) دالاً على معنى(العلم) وهذا المعنى يمثله الفعل(عَلِمَ) نفسه في إسناده إلى الله تعالى[٣٩٠].

أ. ج- فَعُلَ:

أورد سيبويه في كتابه الوزن(فَعُلَ)، وذكر له دلالات على معان مختلفة، فقال: "أما ما كان حسناً أو قبحاً فإنه مما يبنى فعله على فَعُلَ يفعل... وما كان من الصغر والكبر فهو نحو من هذا... وما كان من الشدة والجرأة والضعف والجبن... وما كان من الرفعة والضعة... وما أتى من العقل فهو نحو من ذا"[٣٩١]، وقد ذكر ابن الحاجب في شافيته بعضاً من تلك المعاني، ثم أضاف إليها الرضي الاستراباذي معاني أُخر كالغلظ والسهولة والصعوبة والسرعة والبطء والثقل[٣٩٢]. ومما يذكر للأفعال التي تأتي على الوزن(فَعُلَ) من خصوصية أنها تأتي دالة على الغرائز التي لها مكث ولبث[٣٩٣]، أي أن المعاني التي يدل عليها ذلك الوزن إن لم تكن سمات دائمية تلازم من يتصف بها في كل أوان فهي تصاحبه إلى أمد غير قليل. ومن المعاني التي دلّ عليها الوزن(فَعُلَ) خطب نهج البلاغة:

١. الكِبَر:

يأتي في خطب النهج من الأفعال ما له دلالة على معنى(الكِبَر)، ومن ذلك مثلاً الفعل(كَبُرَ) في قول الإمام(عليه السلام): ((**وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا**))[٣٩٤]، إذ إن الفعل(كَبُرَ) له دلالة على معنى (الكِبَر)، وكذلك له دلالة على أن ذلك المعنى قد صار كالغريزة لصاحبها، فهو إن لم يتصف بها في كل حين فهي معه لأمد طويل، و(كبُر) في هذا الموضع يتحمل الوجهين، أما ما لا يتحمل إلا وجهاً واحداً من الدلالة، وهي دلالة(كَبُرَ) على صفة دائمة فقط فقد جاء في قول الإمام(عليه السلام) في وصف الله تعالى: ((**لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً بَلْ كَبُرَ شَأْناً وَعَظُمَ سُلْطَاناً**))[٣٩٥]، فالموضع موضع وصف وثناء لله تعالى ولا يحتمل الفعل(كَبُرَ) فيه غير أن تكون دلالته على معنى (الكِبَر) هي دلالته على صفة ملازمة لله تعالى. ومما له دلالة على معنى(الكِبَر) في خطب النهج الفعل(عَظُم) الذي يورده الإمام في مواضع متعددة من خطبه[٣٩٦].

وذهب سيبويه إلى عدّ الفعل(كَثُر) ضمن الأفعال التي لها دلالة على معنى(الكِبَر)[٣٩٧]، غير أن تتبع ذلك الفعل في خطب النهج يظهر خلاف ما ذهب إليه سيبويه، إذ لم يورد الإمام(عليه السلام) الفعل(كثُر) دالاً على ذلك المعنى، بل إن ما يدل عليه الفعل هو إلى معنى(الزيادة) أقرب، ومن ذلك مثلاً قوله(عليه السلام): ((**إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ**

---

(٩) ينظر: نفسه: ٦٧(خ٢٥)، ٧٨(خ٣٤).
(١٠) ينظر: نفسه: ١١٦، ١١٧ (خ٨٦) ،١٥٨(خ١٠٩)، ٢٦٦(خ١٨٣)، ٢٨٣(خ١٩١).
(١) كتاب سيبويه: ٢٨/٤، ٣٤.
(٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٧٤/١.
(٣) ينظر: نفسه: ٧٤/١، شذا العرف في فن الصرف: ٣١، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٠٢.
(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٢٢٦(خ١٦٠).
(٥) نفسه: ٢٦٩(خ ١٨٥).
(١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٠٩(خ٨٣)، ٢٦٩(خ١٨٥)، ٢٨٣(خ١٩١)، ٣٠٣(خ١٩٣)، ٣٣٤ (خ٢١٦).
(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٣٠/٤، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٦.

عَلَيْكُمْ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ))[٣٩٨]، وتدل مقابلة(كثُر) لـ(قلَّ) على أن المراد من(كثُر) في هذا الموضع هو معنى (الزيادة) وليس (الكِبَر). ولا يختلف المعنى الصرفي للفعل(كَثُرَ) في المواضع الأخرى من خطب النهج من حيث الدلالة على معنى(الزيادة)[٣٩٩].

٢.الضُّعْف:

ذكر سيبويه للوزن (فَعُلَ)- من بين ما ذكره له من معان- دلالته على معنيي(الضعف) و(الجُبن)[٤٠٠]، غير أن المعنيين يمكن ضمهما إلى معنى واحد وهو (الضعف)، ذلك لأن (الجُبن) هو ضعف أيضاً.

ومما ورد في خطب نهج البلاغة من الأفعال دالاً على معنى(الضعف) الفعلان(ضَعُفَ)[٤٠١] و(جَبُنَ)[٤٠٢].

٣. الصِّغَر:

لم يذكر سيبويه في كتابه من الأفعال دالاً على معنى (الصِغَر) غير الفعل (صَغُرَ)[٤٠٣]، ومهما كانت صيغة الفعل الذي ذكره سيبويه فإن لـ(فَعُلَ) عنده دلالة على معنى (الصِغَر).

ولم يرد في خطب نهج البلاغة من الأفعال ما يدل على معنى(الصِغَر) غير الفعل(صَغُرَ) نفسه، وقد جاء الفعل(صَغُرَ) في موضع واحد من تلك الخطب، وهو قول الإمام(عليه السلام) في صفة المتقين: ((**عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ**))[٤٠٤], فالإمام- كما يظهر- يستعمل الفعل(صغُر) للدلالة على(الصِّغَر) المعنوي، وهو في هذا المحل عدم الأبهِ لمن سوى الله تعالى[٤٠٥].

٤. الرفعة:

لم يأتِ في خطب نهج البلاغة من الأفعال على وزن(فَعُلَ) وله دلالة على معنى (الرفعة) غير الفعل(طَهُرَ)، وذلك في قول الإمام(عليه السلام) في توحيد الله تعالى: ((جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ, وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ))[٤٠٦]، **ويبدو أن ما يحمله الفعل(طَهُرَ) من دلالة معجمية وصرفية هو الذي جعل الإمام يخص ذلك الفعل في خطبه بالله تعالى دون سواه.**

ب- الثلاثي المزيد:

---

(٣) نهج البلاغة(الصالح): ١٧٠-١٧١(خ١١٤).
(٤) ينظر: نفسه: ٥٩(خ١٧)، ٣٣٤(خ٢١٦).
(٥) ينظر: كتاب سيبويه: ٣١/٤، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٦.
(٦) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٧٥(خ١٨٦).
(٧) ينظر: نفسه: ٧٧(خ٣٣)، ٢٥٩(ك١٨١).
(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٣٠/٤، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٦.
(٢) نهج البلاغة(الصالح): ٣٠٣(خ١٣٣).
(٣) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١١٩/١٢.
(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٢٧٣- ٢٧٤(خ١٨٦).

لا تقتصر الزيادة التي تطرأ على بنية الفعل في الكلام العربي على إحداث تغيير صوتي يخص شكل الفعل، وإنما يمتد أثر تلك الزيادة ليغير أيضاً دلالة ذلك الفعل على المعاني، إذ إن تلك الزيادة تُظهر "إلى جانب المعنى الأصلي للكلمة معاني جديدة ناتجة عن تولد كلمات جديدة، وبالتالي نحصل على بناء تركيبي أو ما نستطيع تسميته بالمكون التركيبي وهو يتألف من المكون الأساسي أي البناء الأصلي والمكون التحويلي أي الزيادة، وما أحدثته من تحويلات داخل المكون الأساسي وبعد ذلك دلالة هذا المكون التركيبي وهو ما يسمى بالمكون الدلالي"[٤٠٧]، فالمكون الدلالي هو تحصيل حاصل استجلبته زيادة طرأت على الفعل فغادر معها الفعل على معان وصار له دلالات على معان أخر. ولا ينحصر دخول أحرف الزيادة(affixation) على مكانٍ ما من الفعل، فهي قد تدخل على أوله فتكون حينئذ تصديراً، أو قد تدخل على وسطه فتكون توسيطاً، أو قد تكون داخلة على آخره فتكون بذلك تذييلاً[٤٠٨]. ولكل نوع من أنواع الزيادة دلالات على معان مختلفة، وهي على ما يأتي:

ب. أ- أفعل

للفعل المزيد بسابقة الهمزة (أفعل) دلالات على معان عدة في حالتي اللزوم والتعدي، أما في حالة اللزوم فقد جاءت صيغ الأفعال في خطب نهج البلاغة على زنة (أفعل) لتدل على معانٍ منها:

١. الاستحقاق

ذكر سيبويه في كتابه للوزن(أفعل) دلالته على معنى(الاستحقاق) فقال: "ومثل هذا أصرم النخل وامضغ وأحصد الزرع وأجَزّ النخل وأقطع، أي قد استحق أن تُفْعَلَ به هذه الأشياء"[٤٠٩]، وأعطى ابن قتيبة في كتابه(أدب الكاتب) الوزن(أفعل) معنى الفعل(حان)[٤١٠]، وتابع ابنُ الحاجب ابنَ قتيبة في دلالة(أفعل) على ذلك المعنى[٤١١]، والاستحقاق والحينونة كلاهما معنى واحد.

ومن الأفعال التي وردت في خطب نهج البلاغة دالةً على ذلك المعنى الفعل(أينع) وذلك في قول الإمام(عليه السلام) في أحد رجال بني أمية: ((**فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**))[٤١٢]، فالإمام في هذا الموضع يكني عن استيلاء البلاء وكماله بالفعل(أينع) الذي يفسر على أن معناه هو (نضج)[٤١٣]، والنضج هو أوان استحقاق حصاد الزرع وحينونة قطافه, وذلك هو معنى (الاستحقاق) الذي دل عليه الفعل (أينع).

٢. الصيرورة:

أشار سيبويه إلى دلالة الوزن(أفعل) على معنى(الصيرورة) قائلاً: "وتقول أجرب الرجلُ وأنْحَز وأحال، أي صار صاحب جرب وحيال ونحاز في ماله... وقالوا: أراب، كما قالوا: ألام، أي صار صاحب ريبة"[٤١٤]، وقد ذكرت تلك الدلالة للوزن (أفعل) في (أدب الكاتب) وفي (المفصل في صنعة الإعراب) وفي (شرح شافية ابن الحاجب) وفي غيرها كذلك[٤١٥].

ومن الأفعال التي جاءت معبرةً عن معنى (الصيرورة) في خطب نهج البلاغة الفعل (أصْحَرَ)، وذلك في قول الإمام(عليه السلام) واصفاً حال من يشرف على مفارقة الدنيا: ((**وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ**

---

(١) الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٦٠.
(٢) ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٦٠.
(٣) كتاب سيبويه: ٦٠/٤.
(٤) ينظر: أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، م. السعادة، مصر، ط٣، ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م: ٣٤٥.
(٥) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٨٩/١.
(١) نهج البلاغة(الصالح): ١٤٧(خ١٠١).
(٢) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١٣٢/٢.
(٣) كتاب سيبويه: ٤/ ٥٩ ـ ٦٠ .
(٤) ينظر: أدب الكاتب: ٣٤٥، المفصل في صنعة الإعراب٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب: ٨٣/١، أبنية الصرف في كتاب سيبويه:٣٩١، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٨٧.

أَمْرِهِ))[٤١٦]، أي ما صار له في الصحراء، ذلك لأنّ معنى(أصحر) في هذا النص من خطبة الإمام هو "أنكشف، وأصله الخروج إلى الصحراء والبروز من المكمن"[٤١٧]، فالمعنى الصرفي الذي دلت عليه صيغة الفعل(أصحر) هو(الصيرورة) في مكان هو غير المكان الأول، أو كما عبر الرضي هو "الدخول في المكان الذي هو أصله، والوصول إليه"[٤١٨]، فالصيرورة التي دلّ عليها الفعل(أصحر) هي صيرورة مكانية لأنها تعني المكان- وهو الصحراء في هذا الموضع- وهناك صيرورة أخرى يمكن تسميتها بالصيرورة الزمانية[٤١٩]، وقد أشار إليها سيبويه بقوله: "ومثل أدنفت: أصبحنا، وأمسينا، و أسحرنا، شبهوه بهذه التي تكون في الأحيان"[٤٢٠]، أو بقوله في موضع آخر: "وتقول: أصبحنا، وأمسينا، و أسحرنا، و أفجرنا، شبهوه بهذه التي تكون في الأحيان"[٤٢١]، وتابع الرضي سيبويه في تلك الإشارة[٤٢٢]، غير أن ما فاتهما هو تحديد دلالة الأفعال التي ذكراها بالدلالة الحقيقية وليست المجازية، إذ إن الأخيرة تتضمن دلالة على معنى(الصيرورة) بشكل مطلق، ولا يتقيد ذلك الإطلاق إلا أن تكون الدلالة حقيقية، ويؤيد ذلك ما ورد في خطب نهج البلاغة.

فعلى الرغم من ورود الفعل(أصبح) في مواضع متعددة من خطب النهج غير أن دلالته الصرفية قد بقيت تعنى(الصيرورة) بشكل عام، وذلك لأنها كانت مجازية في المواضع كلها، فقول الإمام(عليه السلام) مثلا: ((**وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي**))[٤٢٣] لا يقصد منه معنى(الصيرورة) في وقت محدد- وهو الصباح في هذا الموضع- وإنما المقصود منه ذلك المعنى في كل زمان، فـ(أصبح) هنا تعني(صار)، وكذلك هي في المواضع الأخرى[٤٢٤].

وأما المعاني التي دل عليها الوزن(أفعل) في حالة التعدي وجاءت في خطب نهج البلاغة فهي:

١.الجعل:

يقتضي(الجعل)- لكي يتحقق معناه- وجود ثلاثة عناصر أساسية، وهي الفعل (حدث الجعل) والجاعل والمجعول، و(الجعل) من المعاني التي تستجلبها الهمزة في دخولها على الفعل الثلاثي اللازم، وإلى ذلك أشار سيبويه قائلاً: "تقول: دخل وخرج وجلس. فإذا أخبرت أنَّ غيره صيره إلى شيء من هذا قلت: أخْرجَه وأدْخَله وأجْلَسَه"[٤٢٥]، وقد سمى ابن قتيبة ذلك المعنى(جعلاً) أيضاً[٤٢٦]، في حين سماه الزمخشري (تعدية)[٤٢٧]، وجمع له الرضي ثلاثة أسماء، وهي(التعدية) و(الجعل) و(التصيير)[٤٢٨]، والأسماء كلها لها دلالة على معنى واحد وهو النقل من حال إلى حال.

ومن الأفعال التي جاءت دالة على ذلك المعنى في خطب نهج البلاغة الفعل(أحدث) في قول الإمام(عليه السلام) واصفاً الله تعالى: ((**أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا**))[٤٢٩]، أي لم يجعل لها حركة. ويدل كذلك على معنى(الجعل) في خطب النهج الأفعال(أخرج)[٤٣٠] و(أدخل)[٤٣١]، (أطرد)[٤٣٢] و(أمات)[٤٣٣] و(أماد)[٤٣٤].

---

(٥) نهج البلاغة(الصالح): ١٦٠(خ١٠٩).
(٦) شرح نهج البلاغة: ٢٠٩/٧.
(١) شرح شافية ابن الحاجب: ٩٠/١.
(٢) ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٧٠.
(٣) كتاب سيبويه: ٦١/٤.
(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٢/٤- ٦٣.
(٥) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٩٠/١.
(٦) نهج البلاغة(الصالح): ١٤١(خ٩٧).
(٧) ينظر: نفسه: ٧٢(خ٢٩)، ٧٤(خ٣٢)، ٨٣(خ٤١)، ١٢٢(خ٨٩)، ١٦٥(خ١١١)، ١٧٩(خ١٢٢)، ١٨٧(خ١٢٩)، ١٩٠(خ١٣٢)، ١٩٩(خ١٤٣)، ٢٤٨(خ١٧٣)، ٢٦٦(خ١٨٣)، ٢٨٨(خ١٩٢)، ٣٤٨(خ٢٦٦).
(٤٢٥) كتاب سيبويه: ٥٥/٤.
(٤٢٦) ينظر: أدب الكاتب: ٣٤٧.
(٤٢٧) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٢٤١- ٢٤٢، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ١٩.
(٤٢٨) شرح شافية ابن الحاجب: ٨٦/١.
(٤٢٩) نهج البلاغة(الصالح): ٤٠(خ١).

٢. التكثير:

جاء في كتاب سيبويه "وقالوا: أغلقت الباب، وغلقت الأبواب حين كثَّروا العمل"[٤٣٥]، وقد تابع أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت٣٥٠هـ) في (ديوان الأدب)[٤٣٦]، وكذلك الرضي في شرحه على الشافية سيبويه في دلالة الوزن(أفعل) على معنى(التكثير)[٤٣٧]، فالوزن (أفعل) قد تأتي عليه صيغ أفعال لتكون دالة على (التكثير).

ومن الأفعال التي وردت في خطب نهج البلاغة لتدل على ذلك المعنى الفعل(أضاع)، ومثاله قول الإمام لمن احتج عليه بقريش بأنها شجرة الرسول فأجابهم (عليه السلام): ((**احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ**))[٤٣٨]، فالإمام في هذا الموضع يعبر بالفعل(أضاع) عن كثرة الإهمال[٤٣٩]. وقد أورد الإمام الفعل(أضاع) في موضع آخر من خطبه ليدل به على التفريط في الأمر[٤٤٠]، وفي ذلك دلالة على معنى (التكثير) أيضاً، ويدل على ذلك المعنى في خطب النهج الفعل (أسرف) في قول الإمام (عليه السلام) واصفاً أهل النفاق: ((**إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا**))[٤٤١]، وكذلك الفعل(أغلق) في قوله(عليه السلام) في ذم أصحابه: ((**أَكُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ**))[٤٤٢]، فـ(أغلق) في هذا الموضع لها الدلالة التي يدل عليها الفعل(غَلَّقَ) الذي يعطي أيضاً معنى (التكثير).

والأفعال التي لها دلالة على معنى(التكثير) كثيرة في خطب نهج البلاغة، منها مثلاً(أكرم)[٤٤٣] و(أبصر)[٤٤٤]، و(أجرى)[٤٤٥] و(أجهد)[٤٤٦] و(أحبط)[٤٤٧] و(أخطأ)[٤٤٨] و(أسلم)[٤٤٩].

ويلاحظ على الأفعال السابقة أنها وإن دلت على معنى(التكثير) وكانت- في أغلبها- على زنة(أفعل) الذي يحمل دلالة(فعَّل)- كما ذكر سيبويه ومن تابعه- غير أن بعضاً منها قد دلّ على ذلك المعنى (التكثير) وإن لم يكن بمعنى(فعّل)، والأفعال التي كانت على هذا النمط هي (أجرى) و(أجهد) و(أحبط).

٣. الضياء:

([٤٣٠]) ينظر: نفسه: ١٠٨(خ٨٣)، ١٣٢،١٣٣(خ٩١) ،٢٠١(خ١٤٤)، ٢٢٨(خ١٥٩)، ٢٨٧(خ١٩٢)، ٣٣٥ (خ٢١٦).
([٤٣١]) ينظر: نفسه: ٢٠١(خ١٤٤)، ٢٢٧(خ١٥٨)، ٢٩٠(خ١٩٢).
([٤٣٢]) ينظر: نفسه: ٦١٥(في هامش١٤٧٢).
([٤٣٣]) ينظر: نفسه: ١٦٠(خ١٠٩)، ١٨٥(ك١٢٧)، ٢٢٨(خ١٦٠)، ٢٣٥(خ ١٦٤)، ٢٦٤(خ١٨٢)، ٣٣٧ (ك٢٢٠).
([٤٣٤]) ينظر: نفسه: ١٦١(خ١٠٩).
(١) كتاب سيبويه: ٦٣/٤.
(٢) ينظر: ديوان الأدب: أبو إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تح: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، الهيئة المصرية لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م: ٣٣٧/٢.
(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٩٣/١.
([٤]) نهج البلاغة(الصالح): ٩٨(ك٦٧).
([٥]) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح): ١٨٥/٢-١٨٦.
([٦]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٧٨(خ١٨٨).
([٧]) نهج البلاغة(الصالح): ٣٠٧- ٣٠٨(خ١٩٤).
([٨]) نفسه: ٩٩(ك٦٩).
([١]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٤٤(خ١)، ٢٢٨-٢٢٩(خ١٦٠)، ٣١١(خ١٩٧).
([٢]) ينظر: نفسه: ١١٨(خ٨٧).
([٣]) ينظر: نفسه: ٤١(خ١).
([٤]) ينظر: نفسه: ٢١٤(خ١٥٣).
([٥]) ينظر: نفسه: ٢٨٧(خ١٩٢).
([٦]) ينظر: نفسه: ٣٢٢(ك٢٠٥).
([٧]) ينظر: نفسه: ٩٤(ك٦٢)، ١٥٤(خ١٠٦).

ذكر سيبويه- من بين ما ذكره- للوزن(أفعل) دلالته على معنى(الضياء) وحصر ذلك في(أفعل) اللازم فقال: "وشَرَقتْ: بدت، وأشرقت: أَضاءت"[٤٥٠]، وتابع ابن عصفور الاشبيلي(٦٦٩هـ) في كتابه(الممتع في التصريف) سيبويه في إعطاء تلك الدلالة لـ(أفعل)[٤٥١]، فـ(الضياء) معنى قد تدل عليه صيغ الأفعال التي تأتي على وزن (أفعل).

وأورد الإمام(عليه السلام) في خطبه صيغاً فعلية جاءت على الوزن(أفعل)، ودلت على (الضياء) غير أنها لم تكن لازمة كما ذُكر، وإنما كانت متعدية، ويلحظ ذلك في الفعلين(أروى) و(أنار) اللذين جاءا في قول الإمام(عليه السلام) عند ذكر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((**حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ**))[٤٥٢]، فعلى الرغم من مجازية المعنى الذي أراده الإمام في هذا الموضع[٤٥٣]، غير إن ذلك لا يخرجه عن معنى(الضياء)، بل إن الضياء المراد في هذا الموضع هو الضياء المعنوي. ويستعمل الإمام في موضع آخر من خطبه الفعل(أضاء) نفسه ليدل به على ذلك المعنى المجازي[٤٥٤].

ب. ب- فَعَّلَ:

ربط ابن جني بين الحرف المضعف وما يدل عليه من معنى فقال: "ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر، وقطّع، وفتّح، وغلّق. وذلك أنهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام ، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها، ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها"[٤٥٥]، فابن جني لم يكتفِ ببيان ما يضفيه تضعيف الصيغة الصرفية من دلالة، وإنما يعطي كذلك مسوغاً لاختيار واسطة الصيغة دون غيرها لذلك التضعيف، فقد أرجعه- كما يتضح- إلى سبب شكلي (لفظي)، وهذا وإن كان صحيحاً في بعض الكلمات غير أنه ليس كذلك في بعضها الآخر، إذ ليست كلُّ الكلمات عرضة(للإعلال) في مقدماتها وخواتيمها في كل الأحوال، لذلك فإن السبب المعنوي(الدلالي) هو السبب الأساسي الذي اقتضى ذلك، هذا إذا لم يكن هو السبب الوحيد في التضعيف، ذلك لأن التضعيف راجع إلى المعاني التي استجلبته، أو راجعة هي إلى التضعيف الذي استدعاها. ومن تلك المعاني التي دل عليها الوزن (فعّل)، وجاءت في خطب نهج البلاغة:

١. التكثير:

---

(٨) كتاب سيبويه: ٥٦/٤.
(٩) الممتع في التصريف: ابن عصفور الاشبيلي، تح: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م: ١٨٧/١.
(١٠) نهج البلاغة(الصالح): ١٥٣(خ١٠٦).
(١) شرح نهج البلاغة: ١٧٣/٧.
(٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٠١(خ٧٢).
(٣) الخصائص: ١٥٥/٢.

الغالب في معاني الوزن(فعَّل) هو الدلالة على معنى(التكثير)، وهذا ما أشار إليه الصرفيون من قدامى ومحدثين[٤٥٦]، وما ذاك إلا لأن التضعيف أكثر انسجاماً مع (التكثير) لذلك جاء دالاً عليه. غير أن معنى(التكثير) لا يكون منحصراً في اتجاه واحد، وإنما يختلف اختلاف ما تدل عليه الصيغة نفسها، فقد يكون(التكثير) في فاعل الفعل (فَعَّل) كما ذكر ذلك سيبويه والزمخشري[٤٥٧]، ومن حذا حذوهما من المحدثين الذين رأوا أن ذلك يكون في اللازم من الفعل المضعف[٤٥٨]، أو قد يكون(التكثير) في الفعل(الحدث) نفسه، أو في المفعول به، والحالتان الأخيرتان هما مما أجمع عليه اللغويون قديماً وحديثاً[٤٥٩]، وإن كان(التكثير) في المفعول به راجعاً إلى (التكثير) في الفعل(الحدث) أيضاً، بل لولاه لما وجد، غير أن ذلك يعد(تكثيراً) في المفعول به لأن أثر ذلك المعنى يتجلى أكثر في المفعول به.

ومن الأفعال التي أوردها الإمام(عليه السلام) في خطب نهج البلاغة، وكانت مضعفةً ولازمةً ودالةً على معنى(التكثير) (بكَّر)[٤٦٠] و(بلّغ)[٤٦١] و(حذّر)[٤٦٢] (حمّل)[٤٦٣] و(شمّر)[٤٦٤] و(صدَّق)[٤٦٥] و(عرَّف)[٤٦٦] و(غرَّز)[٤٦٧] و(قصَّر)[٤٦٨]، والملاحظ على الأفعال التي دلت على معنى (التكثير) في الفعل(الحدث) أنها أفعال متعدية بالأساس، أي قبل أن يدخلها(التضعيف) ولها معنى معين، ثم بعد ذلك(تضعفت) ليضاف إلى معناها معنى آخر، وهو(المعنى الصرفي)، وذلك المعنى هو(التكثير).

وأما الأفعال التي جاءت في خطب النهج مضعفة ودالة على ذلك المعنى نفسه، أي(التكثير)، ولكن ذلك(التكثير) كان في المفعول به، فهي الفعل (جرّأ) في قول الإمام(عليه السلام): ((**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ**))[٤٦٩]، فالجرأة هنا- وهي الحدث- كان أثرها ممتداً إلى الإنسان- وهو المفعول به- الذي انعكس فيه ذلك الحدث ليكون معنى (التكثير) بذلك أكثر وضوحاً فيه من الحدث نفسه، وهذا هو المراد من معنى (التكثير) في المفعول به. وكذلك أتى على تلك الدلالة في خطب النهج الأفعال(جلَّد)[٤٧٠] و(جنَّب)[٤٧١] و(حقَّر)[٤٧٢] و(حرّق)[٤٧٣] و(خفَّف)[٤٧٤] و(خرَّب)[٤٧٥]

---

(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٤/٤، المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م: ١١٧/٢، شرح شافية ابن الحاجب: ٩٢/١، شذا العرف في فن الصرف:٤١، عمدة الصرف: كمال إبراهيم، مطبعة الزهراء، بغداد, ط٢، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م: ٣٠، أوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف،١٩٧١م: ٧٥، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣١١، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٢٦، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ١٢٣.

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٤/٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٢.

(٢) ينظر: أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٢٦، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٨١.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٦٤، أدب الكاتب: ٣٥٤، شرح شافية ابن الحاجب: ٩٢/١، عمدة الصرف:٣٠.

(٤) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٥٩(خ١٧).

(٥) ينظر: نفسه: ٧٠(خ٢٧)، ٢٩٦(خ٩٢).

(٦) ينظر: نفسه: ٤٣(خ١)، ٦٤(خ٢٣)، ١١٢،١٠٩(خ٨٣) ،١٧٤(خ١١٦)، ٢٤٧(خ١٧٣) ،٣٠٥(خ١٩٣).

(٧) ينظر: نفسه:١٠١(خ٧٢)، ١٢٩(خ٩١)،١٥٢(خ١٠٥)، ١٧٩(ك ١٢٢)،٣٣٤(خ٢١٦)،٣٤٣(خ٢٢٢).

(٨) ينظر: نفسه: ٧٥(خ٣٢)، ١٣٧(خ٩٣).

(٩) ينظر: نفسه: ٤٥(خ١)، ٨١(خ٣٧)، ١٠٠(خ٧١)، ١٥٣(خ١٠٦).

(١٠) ينظر: نفسه: ٤٤(خ١)، ٢٥٩(خ١٨٠).

(١١) ينظر: نفسه: ٤٠(خ١).

(١٢) ينظر: نفسه: ٥٧(خ١٦)، ٦١ (خ١٨).

(١) نهج البلاغة(الصالح): ٣٤٤(ك٢٢٣).

(٢) ينظر: نفسه: ٣٤٤(ك٢٢٣).

(٣) ينظر: نفسه: ٢٧٣(خ١٨٦).

(٤) ينظر: نفسه: ١٦٢(خ١٠٩)، ٢٢٨(خ١٥٩).

(٥) ينظر: نفسه: ٢٢٨(خ١٤٤).

و(صغّر)[٤٧٦] و(عدّد)[٤٧٧] و(عظّم)[٤٧٨] و(قفّى)[٤٧٩] و(قبّح)[٤٨٠] و(قسّم)[٤٨١] و(قلّب)[٤٨٢] و(قلّل)[٤٨٣] و(قوّض)[٤٨٤]، و(قوّض) وإن كان متعدياً بـ(من) غير أن أثره (معناه) قد امتد إلى المفعول به ليحدث فيه(التكثير)[٤٨٥]، و مما جاء على (التكثير) في المفعول به أيضاً الأفعال(كثّر)[٤٨٦] و(كرّر)[٤٨٧] و(نَوّرَ)[٤٨٨] و(هيّج)[٤٨٩].

٢. الاعتقاد:

لم تُدرج دلالة الوزن(فعَّل) على(الاعتقاد) ضمن ما ذكر له من دلالات، غير أن ما ذكره الأستاذ هاشم طه شلاش في كتابه(أوزان الفعل ومعانيها) اعتمادًا على طبعة قديمة من كتاب(تلخيص الأساس على متن البناء في الصرف) للشيخ علي بن عثمان يضيف إلى رصيد الوزن(فعّل) الدلالي بعدًا آخر، إذ ذكر الأستاذ شلاش أن لـ(فعّل) دلالة على الاعتقاد[٤٩٠].

وقد جاء في خطب نهج البلاغة من الأفعال ما يمكن حمله على تلك الدلالة، وصيغ تلك الأفعال هي (حرّم)[٤٩١] و(شبّه)[٤٩٢] و(كيّف)[٤٩٣] و(مثّل)[٤٩٤] و(وحّد)[٤٩٥].

٣. التعدية:

التعدية- كما يعرفها الرضي الاستراباذي- "هي أن يجعل ما كان فاعلاً للازم مفعولاً لمعنى لأصل الحدث على ما كان"[٤٩٦]، أي أن ينتقل الحدث(الفعل) من مكون ذي عنصر واحد هو الفاعل إلى مكون ذي عنصرين هما الفاعل والمفعول به، وقد استجلب ذلك الانتقال تضعيف الحرف الثاني من الفعل.

وقد ذهب الزمخشري في مفصله والرضي في شرحه الشافية إلى دلالة الوزن(فَعَّل) على معنى(التعدية)[٤٩٧]، وتابعهما في ذلك عدد من المحدثين[٤٩٨]، وحمل الفريقان الوزن(فعّل) على الوزن(أفعل) من حيث الدلالة على ذلك المعنى.

---

(٦) ينظر: نفسه: ٢٩٤(خ١٩٢).
(٧) ينظر: نفسه: ٣٣٨(ك٢٢١).
(٨) ينظر: نفسه: ١٦٢(خ١٠٩)، ٢٢٨(خ١٦٠).
(٩) ينظر: نفسه: ١٨٦(ك١٢٨)، ٢٧٢(خ١٨٥).
(١٠) ينظر: نفسه: ٢٦٠(خ١٨١)،٢٦٥(خ١٨٣).
(١١) ينظر: نفسه: ١٩١(خ١٣٣).
(١٢) ينظر: نفسه: ٦٦(خ٢٥)،٨٥(ك٤٤).
(١٣) ينظر: نفسه: ١٣٢(خ٩١).
(١٤) ينظر: نفسه: ٨٤(خ٤٣)،٩١(خ٥٤).
(١٥) ينظر: نفسه: ١٣٤(خ٩١).
(١٦) ينظر: نفسه: ٢٥١(خ١٧٦).
(١٧) ينظر: نفسه: ٦٤٠ (في هامش٢٢٢٠).
(١٨) ينظر: نفسه: ١٣٤(خ٩١).
(١٩) ينظر: نفسه: ٣٤٦(ك٢٢٤).
(٢٠) ينظر: نفسه: ١٦٦(خ١١١).
(٢١) ينظر: نفسه: ٣٤١(ك٢٢١).
(١) ينظر: أوزان الفعل ومعانيها: ٧٩.
(٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح):١٧١(خ١١٤)، ٢١١(خ١٥١)، ٢٥٤(خ١٧٦)، ٢٨٧(خ١٩٢)، ٣٠٣ (خ١٩٣).
(٣) ينظر: نفسه: ١٢٦(خ٩١)، ٢٧٢(خ١٨٦).
(٤) ينظر: نفسه: ٢٧٢(خ١٨٦).
(٥) ينظر: نفسه: ٢٧٢(خ١٨٦).
(٦) ينظر: نفسه: ٢٣٢(خ١٦٣)، ٢٧٢(خ١٨٦).
(٧) شرح شافية ابن الحاجب: ٨٦/١.
(٨) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب: ١/ ٩٣.
(٩) ينظر: عمدة الصرف: ٣٠، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٣، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣١١، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٢٦، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٨١.

وقد تضمنت خطب نهج البلاغة أفعالاً دلت على ذلك المعنى، منها الفعل (بَيّنَ) الذي ورد في ستة مواضع من خطب النهج[٤٩٩]، منها قول الإمام(عليه السلام): ((**إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَأَخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا**))[٥٠٠]. وكذلك أتت صيغ أفعال أخرى في خطب النهج لتدل على معنى (التعدية)، ومن تلك الصيغ الأفعال(فرّغ)[٥٠١] و(غرّق)[٥٠٢]، والفعل(غرّق) يكون دالاً على(التعدية) إذا قُدِّر له مفعول به كما قُدِّر مفعول به لفعل قد أتى بعده، وقد ذهب إلى هذا المذهب أحد شراح النهج[٥٠٣]. وكذلك جاء الفعل(ولّه) في خطب نهج البلاغة ليدل على معنى(التعدية)[٥٠٤] إذ إن معنى(ولّهت) هو أولهت.

وعلى الرغم من كثرة الأفعال التي وردت مضعفة العين في خطب نهج البلاغة غير إنها لا تنتظم في معان يضم كل معنى منها طائفة من الأفعال، والذي يترجح أن تلك الأفعال لم يضفِ عليها التضعيف بعداً دلالياً آخر يضاف إلى بعدها الدلالي الأولي(المعجمي)، أي أنها بُنى لا تملك معنى صرفياً، وقد أشار إلى ذلك أبو منصور الثعالبي (ت٤٣٠هـ) في كتابه(فقه اللغة وسر العربية) إذ قال فيه: "ويكون فعّل بنية لا لمعنى، نحو كلّم"[٥٠٥]، ولعل ذلك هو الذي دفع الرضي الاستراباذي إلى القول بأن الوزن (فعّل) "قد يجيء لمعان غير ما ذكر غير مضبوطة بمثل الضوابط المذكورة"[٥٠٦]، والواقع هو ما ذكره الثعالبي في أن(فعّل) قد يأتي غير دال على معنى صرفي تارةً، في حين يكون دالاً على ذلك المعنى تارةً أخرى.

ومن الأفعال التي وردت على الحال السابقة في خطب نهج البلاغة الفعل(بشّر)[٥٠٧]، وكذلك الأفعال(حذّر)[٥٠٨] و(حرّك)[٥٠٩] و(حقّق)[٥١٠] و(جرّب)[٥١١] و(سوّى)[٥١٢] و(علَّم)[٥١٣] و(قدّر)[٥١٤] و(كلّف)[٥١٥] و(كلّم)[٥١٦] و(كوّن)[٥١٧] و(لقّى)[٥١٨] و(هيّأ)[٥١٩] و(وجّه)[٥٢٠] و(وظّف)[٥٢١] و(وقّف)[٥٢٢] و(وقّت)[٥٢٣]، فهذه الأفعال كلها لها دلالة معجمية وليس لها دلالة صرفية.

ب. ج- فَاعَلَ:

---

(١) ينظر: نهج البلاغة (الصالح):٢٠٤(خ١٤٧)، ٢١٢(خ١٥٢)، ٢٣٠(خ١٦١)، ٢٤٢(خ١٦٧)، ٢٥٣(خ١٧٦).
(٢) نهج البلاغة (الصالح): ٢٥١(خ١٧٦).
(٣) ينظر: نفسه: ٢٢٥(خ٦٠).
(٤) ينظر: نفسه: ٢٠١(خ١٤٤).
(٥) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٤٠/٩.
(٦) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٦٠(خ١٠٩).
(٧) فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت: ٣٦٤.
(٨) شرح شافية ابن الحاجب: ٩٦/١.
(٥٠٧) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٤٢(ك٢٢٢).
(٥٠٨) ينظر: نفسه: ٤٣(خ١)، ٦٤(خ٢٣)، ١١٠(خ٨٣).
(٣) ينظر: نفسه: ٢٤٣(ك١٦٨)، ٣٤١(ك٢٢١).
(٤) ينظر: نفسه: ٣٤٣(ك٢٢٢).
(٥) ينظر: نفسه: ٢٥٤(خ١٧٦)، ٢٦٧(خ١٨٣).
(٦) ينظر: نفسه: ٤١(خ١)، ٢٧٠(خ١٨٥).
(٧) ينظر: نفسه: ١١٤(خ٨٣)، ١٧٦(ك ١٢٠)، ١٨٦(ك١٢٨).
(٨) ينظر: نفسه: ١١٠(خ٨٣)، ١٣٤(خ٩١).
(٩) ينظر: نفسه: ١٢٥(خ٩١).
(١٠) ينظر: نفسه: ٣٤٢(ك٢٢٢).
(١١) ينظر: نفسه: ٢٣٦(خ١٦٥).
(١٢) ينظر: نفسه: ٤٣(خ١).
(١٣) ينظر: نفسه: ٥٩(خ١٧).
(١٤) ينظر: نفسه: ١٢٧(خ٩١).
(١٥) ينظر: نفسه: ١٠٨(خ٨٣).
(١٦) ينظر: نفسه: ٢٠٥(خ١٤٧)، ٣٠٧(خ١٩٤).
(١٧) ينظر: نفسه: ٨٤(خ٤٣)، ١٠٧(خ٨٣).

الوزن(فاعل) من الأوزان المزيدة بحرف واحد بين الفاء والعين، وهذه الزيادة(affixation) هي التي تسمى(توسيطاً) في علم اللغة الحديث[٥٢٤]، أي أنها(الزيادة) توسطت الصيغة الصرفية فأضفت عليها ما سبقت تسميته بـ(المعنى الصرفي)، ويختلف هذا المعنى اختلاف الصيغ التي تدل عليها، لذلك اختلفت المعاني هي الأخرى لاختلاف صيغها، ومن تلك المعاني التي دلّ عليها الوزن المزيد(فاعل) في خطب نهج البلاغة:

١. المشاركة:

ذكر سيبويه دلالة الوزن(فاعل) على معنى(المشاركة)، غير أنه لم يصرح باسمها، وذلك عندما أورد في كتابه ما نصه "اعلم أنك إذا قلت: فاعلتُه، فقد كان من غيرك إليك مثلُ ما كان إليه حين قلت فاعَلْتُه"[٥٢٥]، وقد أورد سيبويه الأفعال (ضارب) و(فارق) و(كارم) و(عاز) و(خاصم) أمثلةً لما ذكره[٥٢٦]، والملاحظ أن ما ذكره سيبويه من أفعال لا تدل كلها على معنى (المشاركة)، ذلك لأن (المشاركة) كما يعرفها أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي(ت٦٤٣هـ) في كتابه(شرح الملوكي في التصريف) هي "أن يكون من اثنين، كل واحد منهما يفعل بصاحبه مثل ما يفعل به الآخر"[٥٢٧]، أو هي- كما يعرفها أحد المحدثين- أن يكون الحدث واقعاً "من اثنين في لحظة واحدة بحيث يشترك الطرفان في أصله"[٥٢٨]، ولم يلمح هذان المعنيان في الفعلين(فارق) و(خاصم) اللذين أوردهما سيبويه، إذ إن الحدث فيهما واقع من طرف واحد وليس من طرفين. وحذا ابن قتيبة حذو سيبويه في دلالة الوزن(فاعل) على معنى(المشاركة)، فهو أيضاً لم يصرح باسمها، وكذلك أورد أمثلة لها كان من بينها الفعل(خاصم)، ولكنه أضاف أن دلالة(فاعل) على ذلك المعنى كثير[٥٢٩]. أما ابن الحاجب فتتضح لديه(المشاركة) في الوزن(فاعل) اسماً ومعنى، إذ يقول: "وفاعل لنسبة أصله إلى أحد الأمرين متعلقاً بالآخر للمشاركة صريحاً فيجيء العكس ضمناً، نحو ضاربته وشاركته"[٥٣٠]، وقد فصّل الرضي في شرحه الشافية ما أجمله ابن الحاجب في أعطائه الوزن(فاعل) الدلالة على معنى(المشاركة)، إذ بين الرضي أثر كلّ من(المشارِك) و(المشارَك) في ذلك المعنى[٥٣١].

ولا يختلف المحدثون في دلالة الوزن(فاعل) على معنى(المشاركة) دون خوض في طبيعة تلك المشاركة إلا ما ندر[٥٣٢]، إذ أعطى بعضهم معناها قائلا بأنها "التشارك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً، فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية"[٥٣٣]، فلا يقصد بالمشاركة التشارك في الفعل(الحدث) في كيفياته المختلفة، وإنما المقصود بها أن ينسب إلى الفاعل القيام بالفعل(الحدث) ابتداءً ثم يؤتى بالمفعول به لينسب إليه القيام بذلك الفعل(الحدث) بالتبع.

(٨[١]) ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٦٠.
([١]) كتاب سيبويه: ٤/ ٦٨.
([٢]) ينظر: نفسه:٦٨/١.
([٣]) شرح الملوكي في التصريف: ابن يعيش، تح: فخر الدين قباوة، حلب، سوريا، ط١، ١٩٧٣: ٧٣، نقلا عن: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٨٣.
([٤]) الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٨٣.
([٥]) ينظر: أدب الكاتب: ٣٥٨.
([٦]) شرح شافية ابن الحاجب: ٩٦/١.
(١) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٩٦/١- ٩٨.
(٢) ينظر: شذا الغرف في فن الصرف: ٤٠، عمدة الصرف: ٣٢- ٣٣، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٥، أوزان الفعل ومعانيها: ٨٤، الأبنية الصرفي في ديوان امرئ القيس: ٣٠٨، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٢٩، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٨٣، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية: أشواق محمد النجار، دار دجلة، عمان، ط١، ٢٠٠٦م: ١١٢.
(٣) شذا العرف في فن الصرف: ٤٠.

ومن الأفعال التي جاءت على زنة (فاعل) ودلت على معنى (المشاركة) في خطب نهج البلاغة الفعل(باعد) في قول الإمام(عليه السلام) واصفاً الله تعالى: ((**فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ**))[٥٣٤]، أي أن استعلاء الله تعالى لم يكن ابتداءً مشاركاً الله في البعد عن الخلق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الله تعالى لم يكن بالتبع مشاركاً ذلك الاستعلاء في البعد عن الخلق، ولعل معنى(المشاركة) بالتبع هنا هو ما عبر عنه ابن الحاجب- فيما مرّ من كلامه- بكلمة (ضمناً)[٥٣٥], وتابعه في ذلك الرضي في شرحه[٥٣٦] وأحد المحدثين كذلك[٥٣٧].

ومن الأفعال الأخرى التي جاءت في خطب نهج البلاغة دالة على معنى(المشاركة), وكانت صيغها الصرفية على زنة البناء(فاعل) الفعل(جالس) في قول الإمام (عليه السلام): ((**وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٍ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى**))[٥٣٨]، فالمجالسة تكون من طرف مَن يجالس القرآن ابتداءً، ثم من طرف القرآن نفسه تبعاً لذلك، وبذا يتحقق معنى(المشاركة) بين الطرفين.

وقد وردت في خطب نهج البلاغة أفعال أخرى دلت على ذلك السياق من الدلالة، ومن تلك الأفعال(حاجَّ)[٥٣٩] و(حارب)[٥٤٠] و(خابط)[٥٤١] و(خالط)[٥٤٢] و(خالف)[٥٤٣] و(دارس)[٥٤٤] و(رافق)[٥٤٥] و(شاقّ)[٥٤٦] و(صارف)[٥٤٧] و(عازّ)[٥٤٨] و(غالب)[٥٤٩] و(نازع)[٥٥٠] و(نافس) إذ كان بمعنى (باهى) كما ذهب أحد شراح النهج، ومفعوله محذوف تقديره غيره كما صرح بذلك الشارح نفسه[٥٥١]، والسياق يتحمل ذلك المعنى. وكذلك يأتي للدلالة على معنى(المشاركة) في خطب النهج الفعل(وافق)[٥٥٢].

٢. الموالاة:

---

(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٨٨(خ٤٩).
(٥) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٩٦/١.
(٦) ينظر: نفسه: ٩٨/١.
(٧) ينظر: أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٣٣.
(١) نهج البلاغة(الصالح): ٢٥٢(خ١٧٦).
(٢) ينظر: نفسه: ٣١٦(خ١٩٨) ، توضيح نهج البلاغة: ٢٧٥/٣- ٢٧٦.
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٩٩(خ١٩٢).
(٤) ينظر: نفسه: ٦٦(خ٢٤).
(٥) ينظر: نفسه: ١٦٤(خ١٠٩)، ٣٠٤(خ١٩٣)، ٣٤١(ك٢٢١).
(٦) ينظر: نفسه: ٦٦(خ٢٤)، ٢١٤(خ١٥٣)، ٢٤٥(ك١٧٠).
(٧) ينظر: نفسه: ٢٥٩(خ١٨٠).
(٨) ينظر: نفسه: ٢٦٨(خ١٨٣).
(٩) ينظر: نفسه: ١٢٣(خ٩٠)، ٥٩٩(في هامش٩٩٩)، توضيح نهج البلاغة: ٣٦/٢، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٧١/٦.
(١٠) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ١٤٢(خ٩٧).
(١١) ينظر: نفسه: ١٩٣(خ٩٠)، توضيح نهج البلاغة: ٣٦/٢.
(١٢) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ١٥٣(خ١٠٦).
(١٣) ينظر: نفسه: ٢٨٦(خ١٩٢).
(١٤) ينظر: نفسه: ٢٥٧(خ١٧٨)، توضيح نهج البلاغة: ٧٨/٣.
(١٥) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ٢٠١(خ١٤٤)، ٢٠٩(خ١٥٠).

نسبت الدكتورة خديجة الحديثي بالخطأ الإشارة إلى دلالة الوزن(فاعل) على معنى(الموالاة) إلى كتابي(أدب الكاتب) و(شرح شافية ابن الحاجب)[٥٥٣], ولم ترد تلك الإشارة في الكتابين كليهما[٥٥٤]، بل إن تلك الإشارة لم ترد حتى في (كتاب سيبويه) و(المفصل في صنعة الإعراب) عند ذكر دلالات الوزن (فاعل)[٥٥٥]، في حين صرح بعض المحدثين بدلالة الوزن(فاعل) على معنى(الموالاة)[٥٥٦]، والذي يستشف من ذلك التصريح أن معنى(الموالاة) هو القيام بالفعل(الحدث) لأكثر من مرة بحيث يتكرر ذلك الفعل بشكل يتبع بعضه بعضاً.

ومن الأفعال التي جاءت في خطب نهج البلاغة على الوزن(فاعل)، وكانت دالة على معنى (الموالاة) الفعل(تابع) في قول الإمام(عليه السلام) مُلفتاً إلى فتن آخر الزمان: ((**أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً، وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقّاً وَيَصْدَعَ شَعْباً... فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ**))[٥٥٧]، ومتابعة القائف بصره تعني "نظر مرة بعد مرة ليرى أثره"[٥٥٨] وهذا هو معنى(الموالاة) في الفعل(الحدث).

وكذلك يأتي للدلالة على معنى(الموالاة) في خطب نهج البلاغة الأفعال(حافظ)[٥٥٩] و(راقب)[٥٦٠] و(ساعى)[٥٦١] و(طامن)[٥٦٢] و(عاود)[٥٦٣] و(قاسى)[٥٦٤] و(واتر)[٥٦٥].

٣. الغلبة:

إذا كان أبو منصور الثعالبي قد ألمح من بعيد إلى دلالة الوزن(فاعل) على معنى(الغلبة) وذلك من خلال إعطاء ذلك الوزن الدلالة نفسها التي يدل عليها الوزن(فَعَلَ)[٥٦٦]، وتمثيله لذلك بقوله تعالى: ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (التوبة/٣٠) (المنافقون/٤)، فإن الزمخشري قد صرح بتلك الدلالة قائلاً: "فما كان على فعل فهو على معان لا تضبط كثرة وسعة، وباب المغالبة مختص بفعل يفعل منه كقولك كارمني فكرمته أكرمه وكاثرني فكثرته أكثره وكذلك عازني فعززته أعزه وخاصمني

---

(١٦) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٥.
(١) ينظر: أدب الكاتب: ٣٥٧- ٣٥٨، شرح شافية ابن الحاجب: ٩٦/١- ٩٩.
(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٨/٤، المفصل في صنعة الإعراب:٣٧٠- ٣٧٣.
(٣) شذا العرف في فن الصرف: ٤١، عمدة الصرف: ٣٣، أوزان الفعل ومعانيها: ٨٧، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٠٨.
(٤) نهج البلاغة(الصالح): ٢٠٨(خ١٥٠).
(٥) توضيح نهج البلاغة: ٣٦١/٢.
(٦) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٤٩(خ١٧٣).
(٧) ينظر: نفسه: ١٠٣(خ٧٦)،١١٢(خ٨٣).
(٨) ينظر: نفسه: ١٠٦(ك٨٢)، ٥٨٨(في هامش٧٠٦) ، شرح نهج البلاغة: ٢٣٨/٦.
(٩) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٧٥(خ٣٢)، توضيح نهج البلاغة: ١٧١/١.
(١٠) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٤٦(ك٢٢٤).
(١١) ينظر: نفسه: ٢٧٣(خ٢٩)، توضيح نهج البلاغة: ١٦٢/١.
(١٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٤٣(خ١).
(١) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٣٦٤.

فخصمته وهاجاني فهجوته"[٥٦٧], ويبدو أن لِمَا ذكره الزمخشري أثراً في عدم إفراد ذلك المعنى لذلك الوزن[٥٦٨]، إذ إن في كلامه ما يوحي بدلالة(فاعل) على (المغالبة) وليس(الغلبة)، بل إن هناك قسماً من المحدثين من تطرق عَرَضاً إلى دلالة (فاعل) على(الغلبة)، وذلك في أثناء حديثه عن معنى(المشاركة) في (فاعل)[٥٦٩]، والحال أن(المغالبة) و(الغلبة) شيئان مختلفان، إذ الأولى منهما تقتضي(المشاركة)، في حين لا تقتضي الأخرى منهما ذلك.

أما الأفعال التي دلت على معنى(الغلبة) في خطب نهج البلاغة، وكانت على زنة (فاعل) فهي الفعل(آثر) في قول الإمام(عليه السلام) واصفاً الله تعالى: ((**أَحَاطَ بِكُمُ الْإِحْصَاءَ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ**))[٥٧٠]، وقد أشار غير واحد من شراح النهج إلى معاني(آثر) في هذا الموضع، إذ تلوح تلك المعاني بمعنى(الغلبة) فيه[٥٧١].

وتضمنت خطب نهج البلاغة أفعالاً أخرى دلت على معنى(الغلبة) ومنها الفعل(بادر)[٥٧٢] والفعل(ساور)[٥٧٣] والفعل(قاتل)[٥٧٤]، وقد عدَّ ابن قتيبة الفعل الأخير مما له دلالة على(المشاركة)[٥٧٥]، والفعل إلى معنى(الغلبة) أقرب، إذ ليس كل من قاتل هو مشاركاً غيره في القتال. ودلَّ على معنى (الغلبة) أيضا في خطب النهج الفعل(كابر)[٥٧٦].

ومثلما احتوت خطب نهج البلاغة أفعالاً على وزن(فعّل)، وكانت بنية دون دلالة صرفية، كذلك احتوت أفعالاً على وزن (فاعل) ولم تحمل صيغها تلك الدلالة التي تضاف إلى دلالاتها المعجمية، وعليه تكون تلك الصيغ صيغاً مطلقة الدلالة صرفياً، أي لم يتقيدها معنى صرفي محدد، والأفعال التي كانت على ذلك النمط من الدلالة الصرفية هي (آذن)[٥٧٧] و(آمن)[٥٧٨] و(بايع)[٥٧٩] و(جاحد)[٥٨٠] و(جاهد)[٥٨١] و(جاهر)[٥٨٢] و(حاذر)[٥٨٣] و(حاكم)[٥٨٤]

---

(٢) المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣.
(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٩٦/١- ٩٩، عمدة الصرف: ٣٢-٣٣، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٥، أوزان الفعل ومعانيها: ٨٤-٨٧، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٣٣-٣٤، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٨٣-٨٥، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٢٩-١٣٢.
(٤) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٤١، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٠٨.
(٥) نهج البلاغة(الصالح): ١٠٧(خ٨٣).
(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢٤٥/٦، توضيح نهج البلاغة: ٣١٣/١، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣٥٥/٥- ٣٥٦، في ظلال نهج البلاغة: ٣٨٤/١.
(٧) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٣٠(خ٢١٣).
(٨) ينظر: نفسه: ١٠٣(خ٧٦)،١٠٩(خ٨٣)، ١٩٩(خ١٤٣)،٣٣١(خ٢١٤)، ٣٥٣(خ٢٣٠).
(٩) ينظر: نفسه: ٧٠(خ٢٧)، ٧٧(خ٣٣)،٨٣(خ٤١)،١٠٠(خ٧١)،٣٠٠(خ١٩٢).
(١٠) ينظر: أدب الكاتب: ٣٥٨.
(٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٠٣(خ٧٦).
(٣) ينظر: نفسه: ٧١(خ٢٨)، ٣٤٥(ك٢٢٣).
(٤) ينظر: نفسه: ١٠٠(خ٧١)، ٣٣٥(خ٢١٦).
(٥) ينظر: نفسه: ٥٤(ك٨)، ١٠٢(ك٧٣).
(٦) ينظر: نفسه: ٢٩٠(خ١٩٢).
(٧) ينظر: نفسه: خ١١٦- ص١٧٣، ٣٠٠(خ١٩٢).
(٨) ينظر: نفسه: ٦٢(خ٢٠).
(٩) ينظر: نفسه: ١٠٩(خ٨٣).
(١٠) ينظر: نفسه: ٢٦٩(خ١٥٨).

و(خاصم)[٥٨٥] و(خاطر)[٥٨٦] و(ساوى)[٥٨٧] و(ضادّ)[٥٨٨] و(عاين)[٥٨٩] و(قارب)[٥٩٠] و(كاشف)[٥٩١] و(لاحم)[٥٩٢] و(ناجى)[٥٩٣] و(ناوى)[٥٩٤] و(واتى)[٥٩٥] و(وارى)[٥٩٦] و(واسى)[٥٩٧].

ب. د- تفاعل:

الوزن(تفاعل) من الأوزان المزيدة بحرفين تصديراً وتوسيطاً، وبطبيعة الحال أن تستجلب تكلما الزيادتان معاني لم تكن موجودة في أصل الوزن، ومن تلك المعاني المستجلبة:

١. المشاركة:

أشار اللغويون القدماء والمحدثون إلى دلالة الوزن(تفاعل)على معنى (المشاركة)[٥٩٨]، فـ(المشاركة) إذن معنى صرفي تدل عليه بعض صيغ الأفعال التي تأتي على زنة (تفاعل).

أما ما دلت على ذلك المعنى في خطب نهج البلاغة فهي الأفعال (تباغض)[٥٩٩] و(تحابّ)[٦٠٠] و(تجاوب)[٦٠١] و(تدافع)[٦٠٢] و(تداكك)[٦٠٣] و(تشاحّ)[٦٠٤] و(تصافى)[٦٠٥] و(تعادى)[٦٠٦] و(تعاهد)[٦٠٧] و(تعايا)[٦٠٨] و(تفاضل)[٦٠٩] و(تلاحم)[٦١٠]و(تنازع)[٦١١] و(تنافس)[٦١٢] و(تواصى)[٦١٣] و(تواخى)[٦١٤] و(توافق)[٦١٥]و(تهاجر)[٦١٦] و(تواكل)[٦١٧].

---

(١) ينظر: نفسه: ١٥٣(خ١٠٦)، ٣١٦(خ١٩٨).
(٢) ينظر: نفسه: ١٧٤(ك١١٧).
(٣) ينظر: نفسه: ٨٨(ك٤٩).
(٤) ينظر: نفسه: ٢٧٣(خ١٨٦).
(١٥) ينظر: نفسه: ٦٢(ك٢٠)،١٦٩(خ١١٤)، ٢٧٨(خ١٨٨).
(١٦) ينظر: نفسه: ٧٥(خ٢٣).
(١٧) ينظر: نفسه: ٣٤٥(ك٢٢٣).
(١٨) ينظر: نفسه: ١٢٧(خ٩١).
(١٩) ينظر: نفسه: ١٢٨(خ٩١).
(٢٠) ينظر: نفسه: ١٢٣(خ٩٠).
(٢١) ينظر: نفسه: ١٠٦(ك٨٢).
(٢٢) ينظر: نفسه: ١٥٣(خ١٧٦).
(٣) ينظر: نفسه: ٣١١(خ١٩٧).
(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٩/٤، أدب الكاتب: ٣٥٨، فقه اللغة وسر العربية: ٣٦٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧١، شرح شافية ابن الحاجب: ٩٩/١، ١٠٢، شذا العرف في فن الصرف: ٤٣- ٤٤، عمدة الصرف: ٣٨، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٧، أوزان الفعل ومعانيها: ١٠١، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٢١، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٣٥-٣٦، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٤٠، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٨٦-٨٧.
(٢) ينظر: نفسه: ١٧٥(خ١٠٨).
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٧٥(خ١٠٨).
(٤) ينظر: نفسه: ٣٤٣(ك٢٢٢)، توضيح نهج البلاغة: ٣٧٠/٣.
(٥) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٣٧(ك٢٢٠)، ٦٦٥(في هامش ٢٩٩٥).
(٦) ينظر: نفسه: ٩٠(خ٥٤)، ٣٥٠(ك٢٢٩)، ٥٨٣(في هامش٥٤٩)، ٦٧١(في هامش ٣١٩٦)، توضيح نهج البلاغة: ٢٣٠/١، ٣٩٧/٣.
(٧) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٠١(خ١٤٤).
(٨) ينظر: نفسه: ١٦٨(خ١٣٣)،١٩٢(خ١٣٣).
(٩) ينظر: نفسه: ١٩٢(خ١٣٣).
(١٠) ينظر: نفسه: ١٣٣(خ٩١).
(١١) ينظر: نفسه: ٣٤١(ك٢٢١)، ٦٦٨(في هامش ٣٠٧٨).
(١٢) ينظر: نفسه: ٢٩٥(خ٩٢).
(١) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ٢٠٠(خ١٤٣).
(٢) ينظر: نفسه: ٣٤١(ك٢٢١).
(٣) ينظر: نفسه: ١٠٢(خ٧٤).

٢. التظاهر:

عبّر سيبويه عن معنى(التظاهر) الذي في الوزن (تفاعل) قائلاً: "وقد يجيء تفاعلت ليُريَك أنه في حالٍ ليس فيها"[٦١٨]، ولا يختلف من أتى بعد سيبويه من اللغويين قديماً وحديثاً في ذكر دلالة ذلك الوزن على ذلك المعنى[٦١٩]، غير إن منهم من يسمي ذلك المعنى(تكلفاً)[٦٢٠] أو(إيهاماً)[٦٢١]، واسم (التظاهر) أولى به، إذ إن في اسم (التكلف) معنى لا يحتمله معنى (التظاهر)، وفي اسم (الإيهام) شيءٌ من (القصدية) التي لا تراد في معنى (التظاهر)، لذا فأن (التكلف) و(الإيهام) معنيان غير(التظاهر).

وقد دل الإمام(عليه السلام) في خطب نهج البلاغة على ذلك المعنى من خلال الأفعال(تثاقل)[٦٢٢]و(تحامل)[٦٢٣] و(تخاذل)[٦٢٤] و(تناسى)[٦٢٥].

٣. التدرج

لم تلفت القدماء دلالة الوزن(تفاعل) على معنى(التدرج) فيذكروها ضمن دلالاته الأُخر[٦٢٦]، وإنما لفتت تلك الدلالة المحدثين فعدوها إحدى دلالات (تفاعل)[٦٢٧]، والمقصود بالتدرج هو توالي حصول الفعل(الحدث) شيئاً فشيئاً بالتتابع، أي أن الفعل لم يكن وقوعه دفعة واحدة وإنما على شكل دفعات، وذلك مما يستلزم حركة في تحقيقه.

وقد تمثل معنى(التدرج) في خطب نهج البلاغة في الأفعال(تباعد)[٦٢٨] و(تتابع)[٦٢٩] و(تزايل)[٦٣٠] و(تقادم)[٦٣١] و(تكامل)[٦٣٢] و(تلاشي)[٦٣٣] و(تمالأ)[٦٣٤] و(تناهى)[٦٣٥]، فالصيغ التي جاءت عليها هذه الأفعال تُنبيء بحدوثها بشكل حركي متدرج.

---

(٤) ينظر: نفسه: ٢٤٨(خ١٧٣).
(٥) ينظر: نفسه: ١٥٧(خ١٠٨).
(٦) ينظر: نفسه: ٥١(خ٤)، ٥٦٨(في هامش ١٦٢).
(٧) ينظر: نفسه: ١٥٧(خ١٠٨).
(٨) ينظر: نفسه: ٦٩(خ٢٧)،٥٧٤(في هامش٣٣١).
(٩) كتاب سيبويه: ٦٩/٤.
(١٠) ينظر: المقتضب: ٧٨/١، أدب الكاتب: ٣٥٨، فقه اللغة وسر العربية: ٢٩٧، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب: ٩٩/١، ١٠٢- ١٠٣، شذا العرف في فن الصرف: ٤٤، عمدة الصرف: ٣٨، أبنية الصرف في كتاب سيبويه:٣٩٧، أوزان الفعل ومعانيها: ١٠٢- ١٠٣، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٢٢، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٣٥، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٤١، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٨٧.
(١١) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٢/١، عمدة الصرف: ٣٨، أوزان الفعل ومعانيها: ١٠٢، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٢٢، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٤١.
(١٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٣/١، شرح المفصل: ١٥٩/٧، المقرب: ابن عصفور الاشبيلي، تح: د. أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م: ٨٨، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ١٨٨.
(١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٨٢(خ٣٩).
(٢) ينظر: نفسه: ٣٥١(ك٢٢٩)، توضيح نهج البلاغة: ٣٩٧/٣.
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٠٤(خ١٤٧).
(٤) ينظر: نفسه: ٢٠٢(خ١٤٧).
(٥) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٩/٤- ٧٠، أدب الكاتب: ٣٨٥، فقه اللغة وسر العربية: ٣٦٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧١- ٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب: ٩٩/١- ١٠٤.
(٦) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٤٤، عمدة الصرف: ٣٩، أوزان الفعل ومعانيها: ١٠٣، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٢٢، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٣٦.
(٧) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٦١(خ١٠٩)، ٣٠٦(خ١٩٣).
(٨) ينظر: نفسه: ٢٨٩(خ١٩٢)،٣٥١(خ٢٣٠).
(٩) ينظر: نفسه: ٢٣٠(خ١٦١).
(١٠) ينظر: نفسه: ١٢٢(خ٨٩)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٨٨/٦.

وقد تأتي صيغ الأفعال على الوزن(تفاعل) ولم تحمل دلالة صرفية، أي أنها(الأفعال)- كما مرّ- مطلقة الدلالة صرفياً، وقد ألمح إلى ذلك بشكل غير مباشر كل من سيبويه والزمخشري وابن الحاجب، وإن كان الرضي لم يُبن ذلك المراد في شرحه كلامَ الأخير ممن ذُكِروا[٦٣٦].

والأفعال التي جاءت صيغُها على الحال السابق في خطب نهج البلاغة هي(تبارك)[٦٣٧] و(تدارك)[٦٣٨] و(تعالى)[٦٣٩] و(تواضع)[٦٤٠].

ب. هـ- تفعّل:

الوزن(تفعّل) من الأوزان المزيدة بحرفين أيضاً، التاء تصديراً، والحرف الآخر نفس الحرف الثاني توسيطاً, ونتيجة تلك الزيادة مكون تركيبي يحمل مكوناً دلالياً يدل على معان عدة هي:

١. المطاوعة:

(المطاوعة) معنى صرفي تستجلبه صيغة البناء، وقد أشار أبو العباس محمد يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) في (المقتضب) إلى ذلك المعنى بقوله: "وأنت إذا قلت: قدمته فتقدم وناولته فتناول تخبر أنه قد فعل على الحقيقة ما أردت منه"[٦٤١] ، فـ(المطاوعة) تعني قبول أثر المؤثر، أو أثر الفعل-كما عبر الرضي[٦٤٢]- حتى يصير الفعل متأثراً بذلك المؤثر(الفعل).

وقد ذهب القدامى والمحدثون إلى القول بدلالة الوزن(تفعَّل) على معنى(المطاوعة)[٦٤٣]، بل إن من القدامى من رأى ذلك المعنى في كل معاني(تفعَّل) الأخرى[٦٤٤]، وهذا ما دفع أحد المحدثين إلى عدِّ(المطاوعة) في ذلك الوزن معنى مميزاً له أو عاماً، وما سواه من معان تعبيراً عن معان جزئية تتفرع عن ذلك المعنى العام[٦٤٥].وهذا صواب في بابه لأن معنى (المطاوعة) يلمح في كل معنى من معاني(تفعّل).

---

(١١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٤٦(خ١٠١).
(١٢) ينظر: نفسه: ٢٦١(خ١٨٢).
(١٣) ينظر: نفسه: ٢٤٤(خ١٦٩).
(١٤) ينظر: نفسه: ١٦٤(خ١١١)، ٢٦٩(خ١٨٥)، ٢٧٥(خ١٨٦)، ٣٤٩(خ٢٢٦).
(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٩/٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب: ٩٩/١، ١٠٣.
(٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٣٨(خ٩٤)، ٢٧٢(خ١٨٥).
(٣) ينظر: نفسه: ١٧٧(خ١٢١)، ٢٧٨(خ١٨٨).
(٤) ينظر: نفسه: ٧٠(خ١٤٤)، ١٧٧(ك١٢٠)، ٢١٢(خ١٥٢)، ٣٤٤(ك٢٢٣).
(٥) ينظر: نفسه: ٣٤٤(ك٢٢٣).
(٦) المقتضب: ٧٨/٢.
(٧) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٣/١.
(٨) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٦/٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧١، شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٤/١، شذا العرف في فن الصرف: ٤٣، عمدة الصرف: ٣٦، أبنية الصرف في كتاب سيبويه:٣٩٨، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٢٣، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٣٧- ٣٨، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٣٤، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩١.
(١) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٤/١- ١٠٧.
(٢) ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩١.

أما الأفعال التي دلت على معنى (المطاوعة) في خطب نهج البلاغة فهي(تأسّى)[٦٤٦] و(تألّب)[٦٤٧] و(تبلّغ)[٦٤٨] و(تبوّأ)[٦٤٩] و(تجلّى)[٦٥٠] و(تحدّب)[٦٥١] و(تحمّل)[٦٥٢]و(تخلّف)[٦٥٣] و(تخلّى)[٦٥٤] و(تربّع)[٦٥٥] و(تسنّم)[٦٥٦] و(تطلّع)[٦٥٧] و(تعرّض)[٦٥٨] و(تعزّز)[٦٥٩] و(تعزّى)[٦٦٠] و(تكلّم)[٦٦١] و(تمكّن)[٦٦٢] و(تنشَّب)[٦٦٣]و(تنفّس)[٦٦٤] و(تنكّب)[٦٦٥] و(تورّط)[٦٦٧] و(توفّى)[٦٦٨] و(تهدّل)[٦٦٩] و(تهكّم)[٦٧٠], فهذه الأفعال جميعها تدل على قبول أثر المؤثر (الفعل) فيها, وذلك هو معنى (المطاوعة).

٢. التكلّف:

أشار سيبويه إلى دلالة الوزن(تفعّل) على معنى(التكلّف) من دون أن يسمي ذلك المعنى، فعند سيبويه أنه "إذا أراد الرجل أن يدخل نفسه في أمر حتى يضاف إليه ويكون من أهله فانك تقول: تفعّل، وذلك تَشَجَّعَ وتَصَبَّرَ، وتَحَلَّمَ، وتَجَلَّدَ، وتَمَرَّأ، وتقديرها تمرّع، أي صار ذا مروءة"[٦٧١]، وليست الصيرورة التي عناها سيبويه إلا (المطاوعة) التي يتضمنها الوزن(تفعّل) ولكن تلك (المطاوعة) يطغى عليها إظهار ما لم يكن في الفاعل طبعاً وإنما ما كان تطبعاً، وهذا ما يجعل فعل ذلك الفاعل متسماً بصفة(التكلّف). وقد ذكرت دلالة الوزن (تفعّل) على (التكلّف)- ضمن ما ذُكرت له من دلالات- قديماً وحديثاً[٦٧٢].

---

(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٢٧، ٢٢٩(خ١٦٠).
(٤) ينظر: نفسه: ٣٠٧(خ١٩٤).
(٥) ينظر: نفسه: ٢١٨(خ١٥٥).
(٦) ينظر: نفسه: ٣٥٧(ك٢٣٨).
(٧) ينظر: نفسه: ٢٦٩(خ١٤٧)،٢٦٩(خ١٨٥)،٢٧٣(خ١٨٦).
(٨) ينظر: نفسه: ٣١٣(خ١٩٨).
(٩) ينظر: نفسه: ٢٣٩(خ١٦٥).
(١٠) ينظر: نفسه: ٥١(خ٤)،١٤٦(خ١١).
(١١) ينظر: نفسه: ١١٨(خ٨٧).
(١٢) ينظر: نفسه: ٢٩٨(خ١٩٢).
(١٣) ينظر: نفسه: ٥١(خ٤).
(١٤) ينظر: نفسه: ٨٠(ك٣٧)،٣٠٤(خ١٩٣).
(١٥) ينظر: نفسه: ٢٧٨(خ١٨٨).
(١٦) ينظر: نفسه: ٤٢(خ١).
(١٧) ينظر: نفسه: ٢٢٧(خ١٦٠).
(١٨) ينظر: نفسه: ١٥٣(خ٢١)،١٥٨(خ١٠٩).
(١٩) ينظر: نفسه: ١٣٠(خ٩١)،١٥١(خ١٠٥).
(٢٠) ينظر: نفسه: ٣٥٤(ك٣٣٣).
(٢١) ينظر: نفسه: ١٢٤(خ٩١).
(٢٢) ينظر: نفسه: ١١١(خ٨٣).
(٢٣) ينظر: نفسه: ٢٥٢(خ١٧٦).
(١) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ٣٤٤(ك٢٢٣).
(٢) ينظر: نفسه: ١٦٧(خ١١٢).
(٣) ينظر: نفسه: ٣٥٤(ك٢٢٣).
(٤) ينظر: نفسه: ٣٤٠(ك٢٢١).
(٦٧١) كتاب سيبويه: ٧١/٤.
(٦٧٢) ينظر: أدب الكاتب: ٣٥٩، فقه اللغة وسر العربية: ٢٩٧، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧١، شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٤/١- ١٠٥، شذا العرف في فن الصرف: ٤٣، عمدة الصرف: ٣٦- ٣٧، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٨، أوزان الفعل ومعانيها: ٩٧، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٢٤، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٣٨- ٣٩، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٣- ٩٤.

وأما الأفعال التي أوردها الإمام (عليه السلام) في خطب نهج البلاغة على وزن(تفعّل) ليدل بها على معنى (التكلّف) فهي (تزيّن)[٦٧٣] و(تسمّى)[٦٧٤] و(تشبّه)[٦٧٥] و(تكبّر)[٦٧٦] و(تنكّر)[٦٧٧]، فهذه الأفعال لا تدل على سجايا في فواعلها- سواء أكانت تلك الفواعل حقيقية أم مجازية- وإنما تدل على أن فواعلها تطلب أن تكون متصفة بتلك السجايا، وهذا هو معنى(التكلّف) الذي حملته صيغ الأفعال التي جاءت على الوزن (تفعّل) [٦٧٨].

٣. التكرار:

(التكرار) هو أحد المعاني التي يدل عليها الوزن(تفعّل)، ومعنى (التكرار) هو توالي حدوث الفعل(الحدث) لأكثر من مرة مقترناً بفراغ زمني يفصل بين مرة وأخرى، وقد سمى سيبويه ذلك الفراغ الزمني(مهلة) وذلك في أثناء حديثه عن تلك الدلالة[٦٧٩].

ولا يختلف الحال عند غير سيبويه من القدماء والمحدثين في الإشارة إلى دلالة(تفعّل) على معنى(التكلّف)[٦٨٠]، وقد أطلق قسم من المحدثين تسمية (التدرج) على ذلك المعنى[٦٨١]، وهذا وإن كان صحيحاً من جانب غير أنه ليس كذلك من جانب آخر، إذ قد ترد أفعال متكررٌ حدوثُها ولكنها غير متدرجة، وهذا ما يجعل (التكرار) على نوعين، متدرج وغير متدرج، لذلك فأن كل متدرج من المعاني التي تدل عليها الصيغ التي تأتي على الوزن(تفعّل) هو متكرر, وليس كل متكرر منها متدرجاً، فـ(التكرار) معناه أعم لأنه يشمل النوعين معاً، ويؤيد هذا المذهب ورود النوعين كليهما في خطب نهج البلاغة.

فالأفعال التي دلت على معنى (التكرار) دون تدرج في خطب النهج هي(تدبّر)[٦٨٢] و(تصفّح)[٦٨٣] و(تفكّر)[٦٨٤] و(تمزّز)[٦٨٥] و(تمعّك)[٦٨٦] و(تهتّك)[٦٨٧], فهذه الأفعال تدل على ممارسة الفاعل لأحداثها لأكثر من مرة ولكن من دون أن يرافق ذلك تدرجٌ يجعلها متسلسلة الحدوث

([٦٧٣]) ينظر:نهج البلاغة(الصالح): ٧٤(خ٣٢)، ١٦٢(خ١١١)، ١٦٧(خ١١٣).
([٦٧٤]) ينظر: نفسه: ١١٩(خ٨٧).
([٦٧٥]) ينظر: نفسه: ٤٥(خ١).
([٦٧٦]) ينظر: نفسه: ٢٨٩(خ١٩٢).
([٦٧٧]) ينظر: نفسه: ٤٦(خ٢)، ٨٩(خ٥٢)، ١٣٦(خ٩٢)،٣٤٠(ك٢٢١).
([٦٧٨]) ينظر: شرح الشافية للجابردي وابن جماعة، دار الطباعة العامرة، ١٣١٠هـ: ٤٩، نقلاً عن: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٢.
([٢]) ينظر: كتاب سيبويه: ٤/٧١- ٧٣.
([٣]) ينظر: أدب الكاتب: ٣٦٠، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧١، شرح شافية ابن الحاجب: ١/١٠٤ -١٠٦، شذا العرف في فن الصرف: ٣٤، عمدة الصرف: ٣٧، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٨، أوزان الفعل ومعانيها: ٩٧، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٢٤، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٠ - ٤١، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٤.
([٤]) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٣٤، عمدة الصرف: ٣٧.
([٥]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٥٣(خ١٠٦)، ٢٥٣(خ١٧٦)، ٢٦٤(خ١٨٢).
([٦]) ينظر: نفسه: ٢٣٨(خ١٦٥).
([٧]) ينظر: نفسه: ١٤٩(خ١٠٣)،٢١٣(خ١٥٣)، ٢٩٦(خ١٩٢).
([٨]) ينظر: نفسه: ٨٩(خ٥٢)، توضيح نهج البلاغة: ١/٢٢٦.
([٩]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٣٢(خ٩١)، شرح نهج البلاغة: ٦/٤٣٩، في ظلال نهج البلاغة: ٢/٣١.
([١٠]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٩٩(ك٦٩).

كما هو الحال في الطائفة الأخرى من الأفعال ، إذ إن الطائفة الأخرى من الأفعال يصحب تكرار حدوثها تدرجٌ يوحي بحصولها بشكل متسلسل.

والأفعال التي وردت في خطب النهج على الصورة الأخيرة هي(تجرّع)[٦٨٨] و(تحبّب)[٦٨٩] و(تصرّم)[٦٩٠] و(تغيّب)[٦٩١] و(تغيّر)[٦٩٢] و(تقدّم)[٦٩٣] و(تقرّب)[٦٩٤] و(تنزّل)[٦٩٥] و(تورّد)[٦٩٦].

٤. الاتخاذ:

جاء في مفصل الزمخشري عند ذكر معاني الوزن(تفعّل) أنه (تفعّل) يجيء "بمعنى اتخاذ الشيء نحو تديرت المكان وتوسدت التراب ومنه تبنّاه"[٦٩٧]، وقد سمى ابن الحاجب النحوي ذلك المعنى(اتخاذاً)[٦٩٨] أيضاً، غير أن الرضي في شرحه كلام ابن الحاجب عدَّ ذلك المعنى هو مما يسمى بـ(جعل الشيء ذا أصله)[٦٩٩]، أي أن الفاعل يتخذ من فعله أصلاً له, وهذا هو نفسه المراد بمعنى(الاتخاذ)[٧٠٠]. وقد اختلفت تسمية المحدثين لذلك المعنى، فمنهم من أبقى له اسم (الاتخاذ)[٧٠١]، ومنهم من سماه(صيرورة)[٧٠٢]، والاسمان معناهما واحد، لأن صيرورة الشيء أصلاً لفعله تعني اتخاذ الشيء فعلَه أصلاً له.

أما ما جاء من الأفعال في خطب نهج البلاغة على زنة(تفعّل) ليدل على معنى(الاتخاذ) فهو(تعصّب) أي اتخذ إبليس العصبية[٧٠٣]، و(تعطّفت) أي اتخذت العطف لهم[٧٠٤]، و(تقمص)[٧٠٥]، ويعني الإمام- كما يرى ابن أبي الحديد- "جعلها كالقميص مشتملة عليه"[٧٠٦] أي يتخذهما قميصاً، و(تكنّف) أي اتخذ الكنيف[٧٠٧]، و(توكّل) أي اتخذ الوكيل[٧٠٨].

٥. التفرق:

لم يُشر قديماً ولا حديثاً- في ما عنّ لهذا البحث- إلى دلالة الوزن(تفعّل) على معنى(التفرق)، بل لم يلمح إلى تلك الدلالة ولو من بعيد، غير أن ما يلحظ في خطب نهج البلاغة أن هناك أفعالاً جاءت على وزن(تفعّل) ويمكن أن يجمعها معنى واحد وهو(التفرق)، وتلك الأفعال هي(تشتّت)[٧٠٩] و(تشطّر)[٧١٠] و(تشعّب)[٧١١] و(تفرّق)[٧١٢] و(تقطّع)[٧١٣]، فهذا الأفعال وإن تضمنت

---

(٦٨٨) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٠٧(خ١٩٤).
(٦٨٩) ينظر: نفسه: ١٦٤(خ١١١).
(٦٩٠) ينظر: نفسه: ٨٩(خ٥٢)، ١٠٨(خ٨٣).
(٦٩١) ينظر: نفسه: ٢٢٥(خ١٦٠).
(٦٩٢) ينظر: نفسه: ١٦٠(خ١٠٩).
(٦٩٣) ينظر: نفسه: ٣٣٤(خ١٠٠)، ١٤٦(خ٢١٦).
(٦٩٤) ينظر: نفسه: ٣٢٦(ك٢١٠).
(٦٩٥) ينظر: نفسه: ١٢٦(خ٩١)، ٣٤٣(ك٢٢٢).
(٦٩٦) ينظر: نفسه: ٢٥٣(خ١٧٦)، ٦٤١(في هامش٢٢٣٠)، شرح نهج البلاغة(المصباح): ٣٥٣/٣، توضيح نهج البلاغة: ٦٣/٣، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٩٣/١٠.
(٦٩٧) المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧١.
(٦٩٨) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٤/١.
(٦٩٩) ينظر: نفسه: ١٠٥/١.
(٧٠٠) ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٣.
(٤١) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٤٣، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٨، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس:٣٢٤، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها:٤١،الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٣-٩٢.
(١) ينظر: عمدة الصرف: ٣٧، أوزان الفعل ومعانيها: ٩٩.
(٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٨٦، ٢٩٥(خ١٩٢)، نهج البلاغة(عبده): ١٣٧/٢(في هامش٤).
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٩٨(خ١٩٢).
(٤) ينظر: نفسه: ٤٨(خ٣).
(٥) شرح نهج البلاغة: ١٥٣/١.
(٦) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٥١(خ٢٣٠).
(٧) ينظر: نفسه: ١٢٣(خ٩٠)، ١٥٣(خ١٠٦).
(٨) ينظر: نفسه: ٤٦(خ٢)، ١٧٤(خ١١٦)، ٢٤٠(خ١٦٦)، ٢٩٧(خ١٩٢)، ٣٢٩(ك٢٢١).
(٩) ينظر: نفسه: ٤٨(خ٣).
(١٠) ينظر: نفسه: ٢٩٧(خ١٩٢).

معنى (المطاوعة) الذي هو المعنى العام لـ(تفعّل) غير أنها جاءت في الوقت نفسه لتدل على معنى صيرورة الشيء الواحد أشياء متعددة، وهذا هو معنى (التفرق)، وهي (الأفعال) لا تعدم في الوقت نفسه معنى(الصيرورة) أيضاً.

٦. الاعتقاد:

لم ترد في مباحث الصرف القديمة الإشارة إلى دلالة الوزن(تفعّل) على معنى(الاعتقاد)[٧١٤]، في حين تنبه إلى تلك الدلالة أحد المحدثين بين أثناء حديثه على دلالة أخرى لـ(تفعّل)[٧١٥]، وأفردها غيره بمعنى مستقل لذلك الوزن[٧١٦]، و(الاعتقاد) عمل من أعمال الفكر يمارسه صاحبه حسب ما اعتقده وآمن به.

وقد استعمل الإمام(عليه السلام) في خطبه فعلين ليدل بهما على معنى(الاعتقاد)، والفعلان هما(تكبّر)[٧١٧] و(توهّم)[٧١٨]، والفعلان- كما يلاحظ- لا يخلوان من معنى(الاتخاذ)، أي اتخاذ(الكبر) أو(الوهم).

٧. التجنّب:

ألمح الزمخشري في مفصله إلى دلالة الوزن(تفعل) على معنى(التجنّب)[٧١٩]، و(التجنّب) يعني اتقاء ما لا يراد الدخول فيه، وافق المحدثون الزمخشري في ما ذهب إليه، وعدّوا ذلك المعنى أحد معاني(تفعّل)[٧٢٠]، وهو كذلك.

ولم يرد في خطب نهج البلاغة من الأفعال على زنة(تفعّل) ليدل على معنى(التجنّب) غير الفعل(تجنّب)[٧٢١] نفسه.

٨. الصيرورة:

لم تُعد(الصيرورة) معنى من معاني الوزن(تفعل) غير أن الإمام(عليه السلام) قد أورد في خطبه الفعل(توكّل)[٧٢٢] بمعنى صار وكيلاً[٧٢٣]، وذلك الفعل- بمعناه- لم يستعمله الإمام إلا في موضع واحد من خطبه، وهو موضع يخص الله تعالى.

---

(١) ينظر: نفسه: ٢٩٧(خ١٩٢).
(٢) ينظر: نفسه: ٣٤٠(ك٢٢١)، توضيح نهج البلاغة: ٣ /٣٦٠.
(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٤/٧١- ٧٣، أدب الكاتب: ٣٥٩، فقه اللغة وسر العربية: ٣٦٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧١، شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٤/١.
(٢) ينظر: عمدة الصرف: ٣٧.
(٣) ينظر: أوزان الفعل ومعانيها: ٩٩.
(٤) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ٢٨٩(خ١٩٢).
(٥) ينظر: نفسه: ٢٧٢(خ١٨٦).
(٦) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧١.
(٧) ينظر: عمدة الصرف: ٣٧، شذا العرف في فن الصرف: ٤٣، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٨، أوزان الفعل ومعانيها: ٩٧، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٢٤، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٣، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٣.
(٨) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٣١(خ١٤).
(١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٩٢(خ١٣٤).
(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢٩٦/٨.

ب. و- انفعل:

الوزن(انفعل) وزن مزيد بسابقتي(الهمزة) و(النون)، وإن كان من المحدثين من يرى أن السابقة الأولى إنما جيء بها لتفادي النطق بصوت(النون) الانفجاري[٧٢٤]، غير أن تحصيل ذلك هو وجود مكون لفظي ذي صوتين زائدين في أوله أكسبا ذلك المكون سمات دلالية جعلته ينماز عن غيره من الأوزان.

وينماز الوزن(انفعل) من حيث الدلالة بأنه لا يدل إلا على معنى(المطاوعة)، ولكن تلك الدلالة قيدها القدماء والمحدثون بشروط، فعندهم مثلاً أن (انفعل) يجب أن يؤخذ من الثلاثي، وإذا جاء من الرباعي الذي على وزن(افعل) فهو من الشاذ أو القليل[٧٢٥]، وكذلك أن تكون صيغة الفعل التي على زنة(انفعل) مأخوذة من فعل ذي دلالة على علاج وتأثر ظاهرين للعيان[٧٢٦]، أي أن الوزن(انفعل) تصاغ عليه أفعال ذات أثر مادي محسوس يفيد معنى(المطاوعة).

و(المطاوعة) التي في (انفعل)- كما حدها ابن جني- هي "أن تريد من الشيء أمراً ما"[٧٢٧] فيستجيب ذلك الشيء لما أردت، وتلك الاستجابة- عند ابن جني أيضاً- قد تكون مما يصح صدورها من ذلك الشيء، أو قد لا يصح[٧٢٨]، فهي بمعنى آخر أما أن تكون استجابة حقيقية أو مجازية.

ومن الأفعال التي وردت في خطب نهج البلاغة على زنة(انفعل) لتدل على معنى(المطاوعة) أو الاستجابة حقيقةً الفعل(انخدع)[٧٢٩] والفعل(اندمج)[٧٣٠] والفعل(انصرف)[٧٣١] والفعل(انفرج)[٧٣٢].

وأما الأفعال التي دلت على معنى(المطاوعة) غير الحقيقية، أي أن الاستجابة التي في تلك الأفعال نُسبت إلى الشيء مجازاً، فمنها (إنجاب)[٧٣٣] و(انحجر)[٧٣٤] و(انجذم)[٧٣٥] و(انحسر)[٧٣٦] و(انزاح)[٧٣٧] و(انصاح)[٧٣٨] و(انغلق)[٧٣٩] و(انفجر)[٧٤٠] و(انفرج)[٧٤١] و(انفرد)[٧٤٢] و(انقاد)[٧٤٣] و(انقطع)[٧٤٤].

---

(٣) ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٧.
(٤) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٨/١، شذا العرف في فن الصرف: ٤٢، عمدة الصرف:٣٤- ٣٥، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٥- ٣٩٦، أوزان الفعل ومعانيها: ٨٨، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣١٨، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٣، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٨- ٩٩.
(٥) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٨/١، شذا العرف في فن الصرف: ٤٢، عمدة الصرف: ٣٤- ٣٥، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٦، أوزان الفعل ومعانيها: ٨٨، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣١٨، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٣، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٨.
(١) المنصف: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١- ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م: ٧١/١، وينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٧.
(٢) ينظر: المنصف: ٧١/١، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٧- ٩٨.
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١١٧(خ٨٦).
(٤) ينظر: نفسه: ٥٢(خ٥).
(٥) ينظر: نفسه: ٧٠(خ٢٧)، ١١٣(خ٨٣).
(٦) ينظر: نفسه: ٧٨(خ٣٤)، ٩٤(ك٦٢)، ٣٤٢(خ٧٩).
(٧) ينظر: نفسه: ١٥٦(خ١٠٨).
(٨) ينظر: نفسه: ٩٩(خ٦٩).
(٩) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ٤٦(خ٢).
(١٠) ينظر: نفسه: ٢١٦(خ١٥٥).
(١١) ينظر: نفسه: ٣٥٨(خ٢٣٩).
(١٢) ينظر: نفسه: ١٧١(خ١١٥).
(١٣) ينظر: نفسه: ١٠١(خ٧٢).
(١٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢٠٧/١، نهج البلاغة(عبده): ٣٨/١(في هامش١) .
(١٥) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣١٣(خ١٩٨).
(١٦) ينظر: نفسه: ١١٨(خ٨٧)، ١٢٩(خ٩١).
(١٧) ينظر: نفسه: ١٩١(خ١٣٣)، ٢١٧(خ١٥٥).

والملاحظ على الأفعال التي جاءت في خطب نهج البلاغة أنها لم تأتِ كلها مصوغة من أفعال ثلاثية، وإنما كان بينها ما صيغ من فعل على زنة(أفعل) كما هو الحال في الفعلين(انزاح) و(انغلق) إذ إن أصلهما(أزاح) و(أغلق)، وفي الوقت نفسه فقد جاء من الأفعال ما يدل على استجابة(مطاوعة) حقيقية تارة، وعلى استجابة(مطاعة) مجازية تارة أخرى، وهذا ما ظهر في الفعل(انفرج).

والملاحظ أيضاً أن من بين الأفعال السابقة ما تضمن دلالة أخرى غير(المطاوعة) وهي الدلالة على (الدخول في المكان)، ويتضح ذلك في الفعل(انحجر) الذي فسره شرَّاح النهج بمعنى الدخول في الحجر[٧٤٥]، وهذا ما لم يذكر ضمن دلالة(انفعل).

ب. ز- افتعل:

الوزن(افتعل) من الأوزان المزيدة بزائدتي(الهمزة) و(التاء)، وهذا ما يجعل بناءه يقرب من بناء الوزن(انفعل) من حيث الشكل والدلالة في بعض الوجوه[٧٤٦]، غير أن ذلك لا يعني عدم وجود تباين وعدم التقاء بين(انفعل) و(افتعل) حتى في ما تقاربا فيه، فإذا كان معنى (المطاوعة) هو الذي قارب الوزنين من حيث الدلالة- موضوع البحث- فإنه في الوقت نفسه قد باينهما من الحيثية نفسها، وسيتضح ذلك عند ذكر معنى(المطاوعة) التي في(افتعل) ضمن ما يدل عليه من معانٍ، إذ يدل ذلك الوزن(افتعل) على:

١. المطاوعة:

إذا كان معنى (المطاوعة) الذي دلَّ عليه الوزن(انفعل) مقيداً بالمعالجة لغرض تحققه، فإن ذلك المعنى يدل عليه الوزن (افتعل) سواء توافرت معالجة لحصوله أم لم تتوافر، لذلك تقارب الوزنان في الحالة الأولى، وتباينا في الحالة الأخرى. و(المطاوعة) التي في (افتعل)- بحالتيها- قد تمت الإشارة إليها قديماً وحديثاً[٧٤٧].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) في خطبه أفعالاً على زنة(افتعل) ليدل بها على معنى(المطاوعة) العلاجية- إذا جاز التعبير- وصيغ تلك الأفعال هي(اتسع)[٧٤٨] و(اجتمع)[٧٤٩] و(ارتفع)[٧٥٠] و(اعتدل)[٧٥١] و(اقترب)[٧٥٢] و(امتنع)[٧٥٣] و(انتقل)[٧٥٤] و(اهتدى)[٧٥٥].

وأما الأفعال التي أوردها الإمام (عليه السلام) في خطبه على تلك الزنة ليدل بها على (مطاوعة) غير علاجية فهي(ارتمى)[٧٥٦] و(ارتوى)[٧٥٧] و(افتتن)[٧٥٨] و(انتشر)[٧٥٩]

---

(١٨) ينظر: نفسه: ١٠٩(خ٨٣)، ٢٣٠(خ١٦٠).
(١) ينظر: شرح نهج البلاغة ١٠٢/٦، شرح نهج البلاغة(المصباح): ٨٨/٢، توضيح نهج البلاغة: ٢٧١/١، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٢١/٥، نهج البلاغة(عبده): ١١٧/١(في هامش٦)، نهج البلاغة(الصالح): ٥٨٥(في هامش٦٣٠).
(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٥/٤، المفصل صنعة الإعراب: ٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٨/١، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٤، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ٩٩.
(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٥/٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٨/١- ١٠٩، شذا العرف في فن الصرف: ٤٣، عمدة الصرف: ٣٥، أبنية الصرف في كتاب سيبويه:٣٩٦، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣١٩، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٤، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ١٠٠.
(٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٢٣(خ٩٠)، ١٧١(خ١١٤)، ٣٥٤(ك٢٣٣).
(٣) ينظر: نفسه: ١٦٠(خ١٠٩)، ١٨٥(ك١٢٧)، ٢٠٥(خ١٤٧) ، ٢٥٨(خ١٨٠)، ٢٧٥(خ١٨٦).
(٤) ينظر: نفسه: ٢١٨(خ١٥٥)، ٢٦٩(خ١٨٥).
(٥) ينظر: نفسه: ٢١٢(خ١٥٢)، ٣٣٣(خ٢١٦)، ٢٤١(ك٢٢١).
(٦) ينظر: نفسه: ٢١٠(خ١٥١).
(٧) ينظر: نفسه: ٨٧(خ٤٩)، ٢٦٩(خ١٨٥)، ٢٧٣(خ١٨٦)، ٣١٨(خ١٩٩)، ٣٥٤(ك٢٣٣).
(٨) ينظر: نفسه: ٢٧٨(خ١٨٨).
(٩) ينظر: نفسه: ٥١(خ٤)، ٦٢(ك٢٠)، ١٣٩(خ٩٤)، ١٧٣(خ١١٦).

و(انتفع)[٧٦٠], فـ(المطاوعة) العلاجيـة تُنبـئ بحـدوث الفعـل شـيئاً فشـيئاً, فـي حـين لا تقتضـي (المطاوعة) غير العلاجية ذلك.

٢. الاتخاذ:

معنى(الاتخاذ) الذي في الوزن (افتعل) هو "اتخـاذ الفاعل الشـيء الـذي يدل عليـه الفعل"[٧٦١]، وهذا التعريف هو الـذي ذهب إليـه أحد المحدثين، وقد فاتـه أن يذكر الـذي أُخذ منـه أصل الفعل، وهو المفعول الثاني لـ(اتخذ)، فعندما يقال: اشتويت اللحم يعنـي اتخذت اللحم شواء، فالفعل (اشتوى) صِيغ من المفعول الثـاني للجملـة، وهو(شواء)، وهذا هو أصل معنى(الاتخـاذ) الذي يدل عليه ذلك الوزن. ولا يختلف القدماء والمحدثون في دلالة(افتعل) على(الاتخاذ)[٧٦٢].

وقـد أفـادت معنى(الاتخـاذ) فـي خطـب نهـج البلاغـة صـيغ أفعـال جـاءت علـى الوزن(افتعـل)، ومـن تلـك الصيغ(ائْتَمَ)[٧٦٣] و(اتَّقى)[٧٦٤] و(اتّكل)[٧٦٥] و(احتبل)[٧٦٦] و(احتج)[٧٦٧] و(ادّرع)[٧٦٨] و(ادّعى)[٧٦٩] و(ارتهن)[٧٧٠] و(اضطجع)[٧٧١] و(اعتبر)[٧٧٢] و(اغتنم)[٧٧٣] و(افترى)[٧٧٤] و(اكتحل)[٧٧٥].

---

(١٠) ينظر: نفسه: ١٢٥(خ٩١).
(١١) ينظر: نفسه: ٥٩(ك١٧).
(١٢) ينظر: نفسه: ٥٩(ك١٧).
(١٣) ينظر: نفسه: ٧٨(خ٣٤).
(١٤) ينظر: نفسه: ٢١٣(خ١٥٣).
(١) عمدة الصرف: ٣٥.
(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٧٣/٤، أدب الكاتب: ٣٦١، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب، شذا العرف في فن الصرف: ٤٢، عمدة الصرف: ٣٥، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٦، أوزان الفعل ومعانيها: ٨٩، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣١٩، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٥، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ١٠١.
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣١٦(خ١٩٨).
(٤) ينظر: نفسه: ١٣٩(خ٩٤)، ١٧٣(خ١١٦)، ١٨٨(ك١٣٠).
(٥) ينظر: نفسه: ٢٠٩(خ١٥٠).
(٦) ينظر: نفسه: ٨٠(خ٣٦).
(٧) ينظر: نفسه: ١١٢(خ٨٣).
(٨) ينظر: نفسه: ٢٨٦(خ١٩٢).
(٩) ينظر: نفسه: ٥٨(خ١٦)،٢٤٨(خ١٧٣)،٣٠١(خ١٩٢).
(١٠) ينظر: نفسه: ٢٦٥(خ٨٣).
(١١) ينظر: نفسه: ١١٩(خ٨٧).
(١٢) ينظر: نفسه: ١٤٩(خ١٠٣).
(١٣) ينظر: نفسه: ١٠٣(خ٧٦).
(١٤) ينظر: نفسه: ٥٨(خ١٦).
(١٥) ينظر: نفسه: ٣٤٠(ك٢٢١).

٣. التصرف:

تحمل بعض الصيغ الفعلية التي تأتي على زنة(افتعل) دلالة على نوع من الزيادة في حدوث الفعل، وقد سمى بعض اللغويين معنى تلك الزيادة(تصرفاً)[٧٧٦]، في حين سماه بعضهم الآخر(زيادة)[٧٧٧] أو(مبالغة)[٧٧٨]، وكذلك سمي ذلك المعنى عند بعض آخر من اللغويين(اجتهاداً)[٧٧٩]، والتسميات وإن اختلفت فإن مغزاها واحد، ذلك لأنها تشير كلها إلى ذلك النوع من الزيادة في حدث الفعل.

والأفعال التي جاءت في خطب نهج البلاغة لتدل على ذلك النوع من الدلالة هي (ابتدع)[٧٨٠] و(ابتعث)[٧٨١] و(اتّبع)[٧٨٢] و(اتّخذ)[٧٨٣] و(احتذى)[٧٨٤] و(احتصد)[٧٨٥] و(احتلب)[٧٨٦] و(اختبر)[٧٨٧] و(اشتغل)[٧٨٨] و(اصطنع)[٧٨٩] و(اعترض)[٧٩٠] و(افتضح)[٧٩١] و(اقتطع)[٧٩٢] و(اكتسب)[٧٩٣].

ويلاحظ على صيغ الأفعال الماضية أنها قد جاءت متضمنة معنى زائداً على المعنى الذي دلّ عليه الفعل قبل دخول التاء الزائدة عليه، وتلك الزيادة هي التي جعلت من الوزن (افتعل) ذا دلالة على أسماء المعنى التي ذكرت سابقاً.

٤. المشاركة:

تلتقي- في بعض الأحيان- أوزان صرفية مع أوزان صرفية أخرى في الدلالة على معنى معين, والوزن (افتعل) هو أحد تلك الأوزان التي تأتي عليها بعض صيغ الأفعال لتدل على معنى دلت عليه أوزن غيره، و(المشاركة) هو المعنى الذي يشترك فيه الوزن(افتعل) مع أوزان أخر- بغض النظر عن نوع ذلك المعنى(المشاركة)- وقد ذهب القدماء والمحدثون إلى القول بدلالة(افتعل) على(المشاركة)[٧٩٤].

وقد تمثل معنى(المشاركة) في خطب نهج البلاغة في الأفعال(اجتمع)[٧٩٥] و(اختلف)[٧٩٦] و(اصطلح)[٧٩٧] و(اعتقب)[٧٩٨] و(اعتكر)[٧٩٩] و(اعتور)[٨٠٠] و(افترق)[٨٠١] و(اقتسم)[٨٠٢] و(انتقض)[٨٠٣] و(انكتث)[٨٠٤]، فـ(المشاركة) التي تحملها تلك الصيغ من

([٧٧٦]) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٦.
([٧٧٧]) ينظر: الخصائص:٢٦٤/٣
(٣) ينظر: أوزان الفعل ومعانيها: ٩٠، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٣٤.
([٤]) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٤٢، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣١٩، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ١٠٣.
([٥]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٢٦-١٣٥(خ٩١).
([٦]) ينظر: نفسه: ٢٢٩(خ١٦١)، ٢٨٣(خ١٩١).
([٧]) ينظر: نفسه: ١٨٥(ك١٢٧)، ٢٤١(خ١٦٦).
([٨]) ينظر: نفسه: ٤٣(خ١)، ٥٣(خ٧)، ٧٥(خ٣٢)، ٨٣(خ٤١)، ١١٧(خ٨٦)، ١٣١(خ٩١)،١٨٧(خ١٢٩).
(٩) ينظر: نفسه: ١١٠(خ٨٣)، ١٢٦(خ٩١).
([١٠]) ينظر: نفسه: ٢٠٤(خ١٤٧).
([١١]) ينظر: نفسه: ٣٥٢(خ٢٠٣).
([١٢]) ينظر: نفسه: ٢٣٠(خ٢٣٠).
([١٣]) ينظر: نفسه: ٢٥٥(خ١٧٦)،٢٧٨(خ١٨٨).
([١٤]) ينظر: نفسه: ٢٦٦(خ١٨٣)،٣١٣(خ١٩٨).
([١٥]) ينظر: نفسه: ٤٩(خ٣)، ١٣٥(خ٩١)،١٧١(خ١١٤)، ٢٨٦(خ١٩٢).
([١٦]) ينظر: نفسه: ١٥٨(خ١٠٩).
([١٧]) ينظر: نفسه: ٤٣(خ١)،٢٠٣(خ١٤٦).
([١٨]) ينظر: نفسه: ١٠٣(خ٧٦)، ٢١٨(خ١٥٥).
([١]) ينظر: أدب الكاتب: ٢٦١، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣، شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٨/١- ١٠٩، شذا العرف في فن الصرف: ٤٢، عمدة الصرف: ٣٥، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٦، أوزان الفعل ومعانيها: ٩٠، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣١٩، أبينة الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٥، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٣١، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ١٠٢.
([٢]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٦٠(خ١٠٩)، ١٨٥(ك١٢٧).
([٣]) ينظر: نفسه: ٤٦(خ٢)، ١٢٤(خ٩١).
([٤]) ينظر: نفسه: ١٥٩(خ١٠٩)، ١٩٢(خ١٣٣).

الأفعال هي من النوع الذي يشترك فاعلان في إحداثه، وهذا ما يميزها عن(المشاركة) التي في غيرها من الصيغ التي جاءت على غير (افتعل) من الأوزان.

٥. الخطفة:

المراد بـ(الخطفة) هو الأخذ بسرعة، وقد التفت ابن عصفور الاشبيلي في كتابه (الممتع في التصريف) إلى دلالة الوزن(افتعل) على ذلك المعنى، وذكر أمثلة تعزز ما ذهب إليه[٨٠٥]، وقد أيد أحد المحدثين ذلك المذهب من الدلالة[٨٠٦]، فقد يأتي من الصيغ على زنة(افتعل) لتدل على معنى الأخذ بسرعة، أي(الخطفة).

والإمام (عليه السلام) في خطب نهج البلاغة لم يستعمل للدلالة على ذلك المعنى غير الفعل(اقتحم)[٨٠٧].

٦. الجعل:

جاء في خطب نهج البلاغة الفعلان(اعتقم)[٨٠٨] و(امتثل)[٨٠٩] ليدلا على معنى(الجعل) أي جعله عقيماً، وجعله مثالاً، وتلك الدلالة لم تذكر ضمن دلالات الوزن(افتعل).

أما ما بقي من صيغ الأفعال التي جاءت على الوزن(افتعل) في خطب النهج فيمكن أن تندرج تحت نوعين من الصيغ:

أولهما: نوع يدل على ما يدل عليه فعله الثلاثي(غير المزيد)، أي لم يضفِ عليه بناؤه الصرفي الذي صار عليه معنى آخر يزاد على بنائه الأصلي. وقد ذهب إلى هذا الرأي كل من سيبويه والزمخشري من القدماء[٨١٠]، وكذلك غير واحد من المحدثين[٨١١].

والأمثلة التي جاءت على ذلك النوع من الصيغ في خطب نهج البلاغة هي الأفعال(ابتدأ)[٨١٢] و(اشتال)[٨١٣] و(افترض)[٨١٤] و(امتنّ)[٨١٥].

وثانيهما: نوع لم ينضوِ تحت معنى صرفي من جهة، ولم يكن له أصل ثلاثي فيدل على ما يدل عليه ذلك الأصل من جهة أخرى، وهذا النوع من الأفعال هو ما يُسمى بـ(المرتجل)، أي أن بنيته واحدة، ودلالته كذلك واحدة، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك النوع من الأفعال تلميحاً وتصريحاً في القديم والحديث من المباحث الصرفية[٨١٦].

---

(٥) ينظر: نفسه: ١٣٥(خ٩١)، ٦٠٧ (في هامش١٢٣٤) ، شرح نهج البلاغة: ٢٩/٧.
(٦) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٧١(خ١١٥)، شرح نهج البلاغة: ٢٦٥/٧.
(٧) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٣٥(خ٩١)، ٦٠٧(في هامش١٢٤١).
(٨) ينظر: نفسه: ٢٠٥(خ١٤٧)،٢٤٠(خ١٦٦)، ٣٣٩(ك٢٢١).
(٩) ينظر: نفسه: ١٣٣(خ٩١).
(١٠) ينظر: نفسه: ٢٠٣(ك١٤٦).
(١١) ينظر: نفسه: ٤٩(خ٣).
(١) ينظر: الممتع في التصريف: ١٩٤/١.
(٢) ينظر: أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٣٦- ٤٧.
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٣٤(خ٢١٦).
(٤) ينظر: نفسه: ٤٠(خ١)، ٥٦٣(في هامش١٧).
(٥) ينظر: نفسه: ١٢٦(خ٩١).
(٦) ينظر: كتاب سيبويه: ٧٤/٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٣.
(٧) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٤٣، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٦، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣١٩، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٧.
(١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٩٦(خ٦٥)، ٣١٢(خ١٩٨).
(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٣٠/٩.
(٣) نهج البلاغة(الصالح): ١٦٨(خ١١٣)، ٢١٤(خ١٥٣)، ٢٥٣(خ١٧٥)، ٣٣٣(خ٢١٦).
(٤) ينظر: نفسه: ٣١٣(خ١٩٨).
(٥) ينظر: كتاب سيبويه: ٧٤/٤، أدب الكاتب: ٣٦١، شرح شافية ابن الحاجب: ١١٠/١، شذا العرف في فن الصرف: ٤٣، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٢٠، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٧.

ونماذج الأفعال التي احتوتها خطب نهج البلاغة من النوع الأخير هي(اشتاق)[٨١٧] و(اشتدّ)[٨١٨] و(اشتهى)[٨١٩] و(اضطرب)[٨٢٠] و(افتقر)[٨٢١] و(اقتصّ)[٨٢٢] و(امتحن)[٨٢٣].

ويبدو أن النوعين السابقين من الأفعال هما اللذان دفعا بعضاً من القدامى والمحدثين إلى القول بأن للوزن(افتعل) معاني كثيرة لا تضبط[٨٢٤].

ب. ح- استفعل:

تطرأ على صيغة البناء(فعل) السابقة(ا س ت) فتحدث تغيراً ليس في شكل البناء فحسب، وإنما- في أغلب الأحيان- في ما يدل عليه ذلك المكون من معانٍ، والمعاني التي دلت عليها الصيغ التي وردت على الوزن(استفعل) في خطب نهج البلاغة هي:

١. الطلب:

مثّل سيبويه تحت باب الوزن(استفعل) لعدد من الصيغ التي جاءت على ذلك الوزن، وأعطاها معنى الفعل(طلب)، وقصد بذلك حدث ذلك الفعل، وهو الدلالة على معنى(الطلب)[٨٢٥].

ولم تغفل كتب اللغة القديمة والحديثة دلالة الوزن(استفعل) على (الطلب)[٨٢٦]، بل إن أحد تلك الكتب(وهو الخصائص لابن جني) قد أعطى مولّفه- كعادته- مسوغاً لدلالة ذلك الوزن على معنى(الطلب)[٨٢٧].

ومن الصيغ التي جاءت في خطب نهج البلاغة على زنة(استفعل) لتدل على معنى(الطلب) الأفعال(استأثر)[٨٢٨] و(استأدى)[٨٢٩] و(استأنى)[٨٣٠] و(استثاب)[٨٣١] و(استخرج)[٨٣٢] و(استسلم)[٨٣٣] و(استضاء)[٨٣٤]

---

(٦) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٥٩(خ١٠٩).
(٧) ينظر: نفسه: ١٣٧(خ٩٣)،١٦٢(خ١٠٩)،٣٣٤(خ٢١٦).
(٨) ينظر: نفسه: ٢٦٦(خ١٨٣).
(٩) ينظر: نفسه: ٤٠(خ١)، ١٧٦(ك١١٩)،٢١٠(خ١٥٠).
(١٠) ينظر: نفسه: ١٠٦(ك٨٢).
(١١) ينظر: نفسه: ٢٢٩(خ١٦٦).
(١٢) ينظر: نفسه: ٢٨٠(ك١٨٩)،٢٩١(خ١٩٢).
(١٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١١٠/١، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٧، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ١٠٤.
(٨٢٥) ينظر: كتاب سيبويه: ٧٠/٤.
(٨٢٦) ينظر: أدب الكاتب: ٣٦٠، المقتضب: ٢٥٧/١، فقه اللغة وسر العربية: ٣٦٥، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٤، شرح شافية ابن الحاجب: ١١٠/١، شذا العرف في فن الصرف: ٤٤، عمدة الصرف: ٤٢، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٩، أوزان الفعل ومعانيها: ١٠٧، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٣٠، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٩، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ٤٢، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ١٠٤.
(٨٢٧) ينظر: الخصائص: ١٥٣/٢- ١٥٤.
(٨٢٨) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٧٣(خ٢٩).
(٨٢٩) ينظر:نفسه: ٤٢(خ١)، ٥٦٤(في هامش٤٥) ، شرح نهج البلاغة: ٩٧/١.
(٨٣٠) ينظر:نهج البلاغة(الصالح): ١٩٥(ك١٣٧)، شرح نهج البلاغة: ٣٩/٩، توضيح نهج البلاغة:٣١٣/٢.
(٨٣١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٩٥(ك١٣٧).
(٨٣٢) ينظر: نفسه: ٢١٣(خ١٥٢).
(٨٣٣) ينظر: نفسه: ٥٢(خ٥).
(٨٣٤) ينظر: نفسه: ١٥٣(خ١٠٦).

و(استعان)[٨٣٥] و(استعلم)[٨٣٦] و(استعمل)[٨٣٧] و(استفاد)[٨٣٨] و(استقال)[٨٣٩] و(استماح)[٨٤٠] و(استنطق)[٨٤١] و(استنفر)[٨٤٢] و(استوصف)[٨٤٣] و(استهوى)[٨٤٤].

٢. الوجدان على صفة:

تكاد تتفق مباحث الدلالة الصرفية القديمة والحديثة على دلالة الوزن(استفعل) على معنى (وجدان) الفاعل مفعوله على صفة معينة، وإن اختلفت تلك المباحث في تسمية ذلك المعنى بين(إصابة)[٨٤٥] أو(وجدان)[٨٤٦] أو(مصادفة)[٨٤٧] أو اثنين منها[٨٤٨]، والمآل واحد هو المعنى الذي تم عرضه.

وأما صيغ الأفعال التي وردت في خطب نهج البلاغة على الوزن(استفعل) ودلت على ذلك المعنى فهي(استثقل)[٨٤٩] و(استحلى)[٨٥٠] و(استخلى)[٨٥١] و(استصعب)[٨٥٢] و(استعظم)[٨٥٣] و(استقل)[٨٥٤] و(استكثر)[٨٥٥].

٣. الاتخاذ:

(الاتخاذ) معنى سبق ذكره للوزن (افتعل)، وهو أيضاً مما يدل عليه الوزن(استفعل) فالوزنان(افتعل) و(استفعل) يشتركان دلالياً في ذلك المعنى، والقول بدلالة(استفعل) على(الاتخاذ) هو مما ذهب إليه اللغويون القدماء والمحدثون[٨٥٦].

وقد دلت على معنى(الاتخاذ) في خطب نهج البلاغة الأفعال(استراح)[٨٥٧] و(استعبد)[٨٥٨] و(استغنى)[٨٥٩] و(استلأم)[٨٦٠] و(استنصح)[٨٦١].

([٨٣٥]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٠٩(خ١٩٥).
(٢) ينظر: نفسه: ٢٣١(ك١٦٢).
(٣) ينظر: نفسه: ١٠٧(خ١٠٨)، ١٥٨(خ١٠٩)، ٢٨٢(خ١٩٠)، ٣٣٧(ك٢٢٠).
([٤]) ينظر: نفسه: ٤٠(خ١).
([٥]) ينظر: نفسه: ١٩٩(خ١٤٣).
([٦]) ينظر: نفسه: ٣٦٤ (ك٢٢٤) ، شرح نهج البلاغة: ٢٤٧/١١.
([٧]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٣٨ (ك٢٢١)، توضيح نهج البلاغة: ٣٥٣/٣.
([٨]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٤١(خ٩٧).
([٩]) ينظر: نفسه: ٢١٢(خ١٥٢).
([١٠]) ينظر: نفسه: ١٤٠(خ٩٥).
([١١]) ينظر: كتاب سيبويه: ٧٠/٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٤، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها:٥٠.
([١٢]) ينظر: أدب الكاتب:٣٦٠، أوزان الفعل ومعانيها: ١٠٩.
([١٣]) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٤٥، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٩، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٣.
([١٤]) ينظر: عمدة الصرف: ٤٢.
(١٥) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٣٥(خ٢١٦).
([١٦]) ينظر: نفسه: ٣٣٥(خ٢١٦).
([١٧]) ينظر: نفسه: ٣٣٨(ك٢٢١).
([١٨]) ينظر: نفسه: ٣٠٥(خ١٩٣).
([١٩]) ينظر: نفسه: ١١٢(خ٨٣)،١٣١(خ٩١).
([٢٠]) ينظر: نفسه: ١٣٣(خ٩١).
([٢١]) ينظر: نفسه: ١٦٥(خ١١١).
([١]) ينظر: كتاب سيبويه: ٧٠/٤، شرح شافية ابن الحاجب: ١١١/١، عمدة الصرف: ٤٢، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٩، أوزان الفعل ومعانيها: ١٠٩- ١١٠، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٣١، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ١٠٧.
([٢]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٧٣(خ٢٩)، ١٧٩(ك١٢٢)، ٢٠٩(خ١٥٠).
([٣]) ينظر:نفسه: ٢٦٥(خ١٨٣).
([٤]) ينظر:نفسه: ١٠٥(ك٧٩)، ١٠٦(ك٨٢).
([٥]) ينظر:نفسه: ٣١٦(خ١٩٨).

٤. الحينونة:

معنى(الحينونة) هو أن يبلغ الشيء حداً ما يكون فيه حينه أو أوانه، و(الحينونة) معنى صرفي تدل عليه بعض الصيغ التي تأتي على زنة(استفعل)، وقد لاحظ الفارابي ذلك المعنى في كتابه(ديوان الأدب)[٨٦٢]، وتابعه بعض المحدثين في ذلك[٨٦٣].

وقد استعمل الإمام(عليه السلام) في خطبه الفعلين(استحقّ)[٨٦٤] و(استوجب)[٨٦٥] ليدل بهما على معنى (الحينونة).

٥. التحول:

(التحول) هو أن يؤول الشيء من حال إلى حال أخرى، أو هو أن يصير الشيء شيئاً آخر غير الذي كان عليه، وذلك المعنى في الوزن(استفعل) قد ذكره سيبويه ومثّل له[٨٦٦]، في حين سمى الثعالبي ذلك المعنى(صيرورة)[٨٦٧] ولا اختلاف، وقد تابعهما غيرهما قديماً وحديثاً[٨٦٨]، فكان ذلك المعنى أحد المعاني التي يدل عليها الوزن(استفعل).

ولم يأتِ في خطب نهج البلاغة من الأفعال على زنة(استفعل) ليدل على معنى(التحول) أو(الصيرورة) غير الفعل(استفحل)[٨٦٩].

٦. الجعل:

لم يدرج معنى (الجعل) ضمن المعاني التي ذكرت للوزن (استفعل) لا قديماً ولا حديثاً، غير أن ما ورد في خطب نهج البلاغة من صيغ بعض الأفعال على ذلك الوزن يحمل دلالة على ذلك المعنى، ومن تلك الصيغ الأفعال (استخلص)[٨٧٠] و(استسفر)[٨٧١] و(استشعر)[٨٧٢] و(استغلق)[٨٧٣] و(استقبل)[٨٧٤] و(استوهن)[٨٧٥] و(استهام)[٨٧٦].

٧. المطاوعة:

---

(٦) ينظر:نفسه: ٢٠٤(خ١٤٧) ، شرح نهج البلاغة(المصباح): ٢٠٢/٣.
(٧) ينظر: ديوان الأدب: ٤٣٦/٢.
(٨) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١١٠/١(في هامش٢).
(٩) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٩٢(خ١٩٣).
(١٠) ينظر: نفسه: ٢٨٣(خ١٩٠).
(١١) ينظر: كتاب سيبويه: ٧١/٤.
(١) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٣٤٨، ٣٦٥.
(٢) ينظر: أدب الكاتب: ٣٦١، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٤، شرح شافية ابن الحاجب: ١١١/١، شذا العرف في فن الصرف: ٤٤، عمدة الصرف: ٤٢، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٩، أوزان الفعل ومعانيها: ١٠٩، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٣٣٠، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٤٧- ٤٨، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: ١٠٥.
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٨٨(خ١٩٢)، شرح نهج البلاغة: ١٤٢/١٣.
(٨٧٠) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢١١(خ١٥٢).
(٨٧١) ينظر: نفسه: ٢٣٤(ك١٦٤)، ٦٣٤(في هامش٢٠٤٤) ، شرح نهج لبلاغة: ٣٦٢/٩.
(٨٧٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١١٨(خ٨٧)، شرح نهج البلاغة: ٣٦٤/٦.
(٨٧٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٠٧(خ٨٣)، توضيح نهج البلاغة: ٣٣٢/١.
(٨٧٤) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٢١(خ٨٨)، ١٩٩(خ١٤٣)، ٢١٣(خ١٥٣)،٢٧٧(خ١٨٧).
(٨٧٥) ينظر: نفسه: ٤٢(خ١).
(٨٧٦) ينظر: نفسه: ١٩٢(خ١٣٣) ،٣٢٤(ك٢٠٩)، شرح نهج البلاغة: ٢٩٥/٨.

تفرد بعض المحدثين بالقول بدلالة الوزن(استفعل) على معنى(المطاوعة)[٨٧٧]، وقد أيَّد ذلك القول ما ورد في خطب نهج البلاغة، فقد أورد الإمام(عليه السلام) في خطبه الفعلين (استحكم)[٨٧٨] و(استفاد)[٨٧٩]، وفي ذينك الفعلين معنى(المطاوعة) كما هو واضح.

ب. ط- افعوعل

الوزن(افعوعل) من الأوزان المزيدة بـ(الهمزة والواو والعين)، ويبدو أن لنوع الزيادة وأماكن زيادتها أثراً في قلة تداول (افعوعل) في العربية، وذلك نتيجة قلة الصيغ التي تأتي عليه، وهذا ما حتّم قلة ما يدل عليه من معان، فللوزن(افعوعل) معنيان فقط هما(المبالغة) و(الصيرورة). أما المعنى الأول فقد ذكره سيبويه في كتابه[٨٨٠]، وتابعه آخرون من قدامى ومحدثين[٨٨١]، وأما المعنى الآخر فقد ألمح إليه السيوطي في كتابه(همع الهوامع- شرح جمع الجوامع في علم العربية)[٨٨٢]، ومن ثم ذهب أحد المحدثين إلى مثله[٨٨٣].

ولم ترد في خطب نهج البلاغة صيغ على زنة(افعوعل) إلا في أربعة مواضع فقط، ثلاثة منها دل بها الإمام(عليه السلام) على معنى(الصيرورة) وهي الأفعال(احلولى)[٨٨٤] و(اخلولق)[٨٨٥] و(اعذوذب)[٨٨٦]، والأفعال وإن كانت تحمل دلالة على معنى(المبالغة) أيضاً، غير أن من شراح نهج البلاغة من صرفها إلى معنى(الصيرورة) لا غير[٨٨٧].

وأما الصيغة الأخرى التي وردت في موضع رابع من خطب النهج فهي صيغة الفعل(استوسق)[٨٨٨]، ولم تدل هذه الصيغة على أيٍّ من المعنيين السابقين، ذلك لان شراح النهج عندما وقفوا عندها أعطوها معنى(اجتمع)[٨٨٩]، وليس في هذا المعنى ما يمت بصلة إلى المعنيين السابقين، وبذا تكون(استوسق) بنية ليست لها دلالة صرفية، أي هي أيضاً مطلقة الدلالة صرفياً، وهذا ما لم يُلتفت إليه.

٢- دلالة صيغ المصادر:

---

(٨٧٧) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٤٥، عمدة الصرف:٤٣.
(٨٧٨) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٨٨(خ١٨٢).
(٨٧٩) ينظر: نفسه: ٤٠(خ١).
(٣) ينظر: كتاب سيبويه: ٧٥/٤.
(٤) ينظر: أدب الكاتب: ٣٦٢، الخصائص: ٢٦٧/٣، المفصل في صنعة الإعراب: ٣٧٤، شذا الصرف في فن العرف: ٤٥، عمدة الصرف: ٤٣، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٨، أوزان الفعل ومعانيها: ١١٢، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٥٢، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ١٤٤.
(٥) ينظر: همع الهوامع- شرح جمع الجوامع في علم العربية: ٢٩/٦.
(٦) ينظر: أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: ٥٣.
(٧) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٥١(خ١٠٥)، ١٦٥(خ١١١).
(٨) ينظر: نفسه: ٢٠٩ (خ١٥٠)، ٦٢٨(في هامش١٨٤٤) .
(٩) ينظر: نفسه: ١٦٥(خ١١١).
(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٣٠/٩، شرح نهج البلاغة(المصباح): ٢١٦/٣، توضيح نهج البلاغة: ١٤٧/٢، ١٩٩، ٣٦٢، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢١٦/٧، ٢٠/٨، نهج البلاغة(عبده): ٣٦/٢(في هامش٤).
(٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٥٠(خ١٠٤).
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١١٦/٧، شرح نهج البلاغة(المصباح): ٢١/٣، توضيح نهج البلاغة: ١٤٥/٢، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢١٠/٧.

عرّفت الدكتورة خديجة الحديثي المصدر قائلة بأنه: "الاسم الذي يدل على الحدث مجرداً من الزمن والشخص والمكان"[٨٩٠]، فهو إذن الحدث الخالص من العوامل الأخرى التي تصرف ذلك الحدث إلى حيث تريد.

ومثلما اختلفت تسمية ذلك الحدث قديماً وحديثاً[٨٩١]، فقد اختلفت كذلك تقسيماته حسب ما يعتمد من أسس في تلك التقسيمات، فتارة يعول على أساس اطراد المصادر على أقيسة معينة أو عدم اطردها، إذ تسمى الطائفة الأولى بـ(المصادر القياسية) وتسمى الطائفة الأخرى بـ(المصادر السماعية)[٨٩٢]، وتارة أخرى يعتمد- في تقسيم المصادر- على أساس ما يرتبط به ذلك المصدر، إذ قد يرتبط المصدر بفعله، وحينئذ يدل على ما يدل عليه فعله، بل هو- كما مرَّ- حدث فعله دون عوامل أخرى، وقد يرتبط المصدر بما يدل عليه من معان، وهذا النوع من المصادر يدل "على معانٍ محددة يعبر عن كل منها بصيغة معلومة تشترك فيها أفعال مختلفة، ذات أبواب عدة"[٨٩٣]، والقسم الأخير من المصادر هو الذي سيعتمده (البحث)، لكونه (البحث) يختص بنوع من المصادر التي تدل صيغها الصرفية على معان استدعتها، هذا إذا ما علم أن هذا البحث هو(بحث في الدلالة)، وأما المصادر التي كانت في خطب نهج البلاغة على ذلك النوع فهي على ما يأتي:

أ. فِعال:

ترد في العربية بعض صيغ المصادر على زنة الوزن(فِعال) الذي يأتلف شكلاً من مقطعين صوتيين[٨٩٤]، وأما مضموناً فله دلالة على المعاني الآتية:

١. المباعدة:

جاء في كتاب سيبويه "ومما تقاربت معانيه فجاءوا به على مثال واحد نحو الفِرار والشِّراد والشِّماس والنِّفار والطِّماح، وهذا كله مباعدة"[٨٩٥]، وقد وافق بعض القدامى سيبويه في ما ذهب إليه من دلالة الوزن(فِعال) على معنى(المباعدة)[٨٩٦]، في حين سمى بعض آخر ذلك المعنى(امتناعاً)[٨٩٧]، وكلاهما مصيب في التسمية، ذلك لأن التسمية الأولى وهي(المباعدة) ناظرة إلى نتيجة ذلك المعنى، وأما التسمية الأخرى فناظرة إلى سبب ذلك المعنى وهو(الامتناع)، إذ إن(المباعدة) سببها(الامتناع). وتابع المحدثون سابقيهم في اتفاقهم على ذلك المعنى، واختلافهم في تسميته[٨٩٨].

وقد استعمل الإمام(عليه السلام) في خطب نهج البلاغة أربعة مصادر على زنة(فِعال) ليدل بها على معنى(المباعدة) أو(الامتناع)، والمصادر هي(زِيال)[٨٩٩] و(شِماس)[٩٠٠] و(فِرار)[٩٠١] و(نِفار)[٩٠٢]، والملاحظ أن تلك المصادر- بالإضافة إلى دلالتها على المعنى المذكور- تتضمن معنى الحركة بل إن(المباعدة) أو (الامتناع) لا يتحققان إلا بواسطتها.

---

(١) أبنية الصرف كتاب سيبويه: ٢٠٨.
(٢) ينظر: أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: د. وسمية عبد الرحمن المنصور، جامعة الكويت، مطبوعات الجامعة، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م: ٢٧- ٣٥.
(٣) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٠٨- ٢٠٩، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ٨٧- ٩٣.
(٤) الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٨١.
(٥) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٩٨، أبنية المصادر في الشعر الجاهلي: ١٩٦.
(١) كتاب سيبويه: ١٢/٤.
(٢) ينظر: أدب الكاتب: ٤٧١.
(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ١٥٤/١.
(٤) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٣٣، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٩٩، معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، الكويت، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م: ٢٨، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ١٩٦، الصرف الحديث في بيان القرآن والحديث: أحمد أمين الشيرازي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ط١، ١٤١٠هـ: ٣٨، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية: ١١٦.
(٥) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٩٠(خ١٣٢).
(٦) ينظر: نفسه: ٤٩(خ٣).
(٧) ينظر: نفسه: ٦٩(خ٢٧)، ٨٥(خ٤٤)، ١١٤(خ٨٣)، ٢٠٧(ك١٤٩).

٢. الهياج:

يأتي- أحياناً- المصدر على الوزن(فِعال) فيدل على معنى(الهياج)، و(الهياج) هو إظهار حركات غير منتظمة.

والقول بدلالة (فِعال) على(الهياج) هو مما ذهب إليه سيبويه[٩٠٣]، ثم تابعه غيره من القدماء والمحدثين[٩٠٤].

ولم يرد في خطب النهج من المصادر على الوزن(فِعال) ليدلَّ على معنى(الهياج) غير المصدرين(ضِراب)[٩٠٥] و(هِياج)[٩٠٦].

وإذا كان هناك من رابط يربط بين معنيي(فِعال)(المباعدة) و(الهياج) فهو الدلالة على (الحركة)، فالمعنيان يقتضيان حركةً.

ب. فُعال:

يُشبه الوزن(فُعال) الوزنَ(فِعال) من حيث عدد المقاطع الصوتية، غير أنه يخالفه من حيث الدلالة، إذ إن المعاني التي يدل عليها الوزن(فُعال) هي:

١. الصوت:

لم يترك من يقف عند دلالة المصادر الوزنَ(فُعال) في دلالته على(الصوت) سواء أكان ذلك الوقوف قديماً أم حديثاً[٩٠٧].

وقد جاءت المصادر(بُكاء)[٩٠٨] و(جُؤار)[٩٠٩] و(دُعاء)[٩١٠] في خطب نهج البلاغة لتدل على (الصوت).

٢. الداء:

قال ابن قتيبة في(أدب الكاتب): "قالوا: والأدواء إذا كانت على فُعال أتت بضم الفاء"[٩١١]، فالوزن(فُعال) له دلالة على(الداء)، وذهب غير ابن قتيبة هذا المذهب في تلك الدلالة[٩١٢]، بل إن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد عدَّ دلالة (فُعال) على (الداء)-مع دلالته على(الصوت)- من مقرراته[٩١٣].

---

(٩٠٢) ينظر: نفسه: ٢٠٥(خ١٣٧).
(٩٠٣) ينظر: كتاب سيبويه: ١١/٤- ١٢.
(٩٠٤) ينظر: أدب الكاتب: ٤٧٢، شرح شافية ابن الحاجب: ١٥٣/١، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٩٩، معاني الأبنية الصرفية في العربية: ٢٩، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ١٩٦، الصرف الحديث في بيان القرآن والحديث: ٣٨.
(٩٠٥) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٤٢(خ٥٩).
(٩٠٦) ينظر: نفسه: ١٣١(خ٩١).
(٩٠٧) ينظر: كتاب سيبويه: ١٤/٤، أدب الكاتب: ٤٧٠، دقائق التصريف: القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب، تح: د. أحمد ناجي القيسي ود. حاتم صالح الضامن وحسين تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م: ١٣٣، فقه اللغة وسر العربية: ٣٦٥، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٣٤، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٩٥، معاني الأبنية في العربية: ٢٥، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ١٩٩، الصرف الحديث في بيان القرآن والحديث: ٣٨، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية: ١١٦.
(٩٠٨) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٧٨(خ١٢١)، ٣٤٣(ك٢٢٢)، ٣٤٤(ك٢٢٣).
(٩٠٩) ينظر: نفسه: ٨٩(خ٥٢)، ٥٨٢(في هامش٥٤٢).
(٩١٠) ينظر: نفسه: ١٧٨(خ١٢١)، ٢٥١(خ٢٣٠).
(٩١١) أدب الكاتب: ٤٦٩.

والمصدر الوحيد الذي جاء في خطب نهج البلاغة على زنة(فُعال) دالاً على(الداء) هو المصدر(هُزال)[٩١٤].

٣. الامتلاء:

جاء الإمام(عليه السلام) في خطبه بالمصدر(رُواء)[٩١٥] ليدل به على(الامتلاء)، وتلك الدلالة لم تذكر ضمن دلالات المصادر التي تأتي على الوزن(فُعال).

وأما ما ورد من صيغ أخرى على الوزن(فُعال) في خطب نهج البلاغة فإنّ سياقها لا يُنبنىء بدلالتها على المصدرية فتكونَ بذلك صيغاً أضفى عليها بناؤها دلالة معينة(صرفية)، وإنّما هي أسماء مفاعيل جاءت على زنة المصدر، فـ(حُطام) كان بمعنى (محطّم)[٩١٦]، و(رُفات) كان بمعنى(مرفوت)[٩١٧]، و(رُكام) كان بمعنى(مركوم)[٩١٨]، و(زُعاق) كان بمعنى(مزعوق) أي ممزوج[٩١٩].

ج. فِعالة:

الوزن(فِعالة) مقطعياً متكون من ثلاثة مقاطع[٩٢٠]، وأمّا دلالياً فإنّه يدل على معنيين فقط، والمعنيان كلاهما وارد في خطب نهج البلاغة، وهما:

١. الولاية:

تدل صيغ المصادر التي تأتي على الوزن(فِعالة) على معنى القيام بأصل ما اشتقت منه أفعال تلك الصيغ، وهذا هو المقصود بـ(الولاية)، لذلك قد يسمى ذلك المعنى بـ(القيام بالأمر) أيضاً، وهما سيان. ولا اختلاف بين القدماء والمحدثين في تلك الدلالة[٩٢١].

وقد أورد الإمام(عليه السلام) في خطبه المصادر(إمارة)[٩٢٢]و(إمامة)[٩٢٣] و(خِلافة)[٩٢٤] و(رِعاية)[٩٢٥] و(وِلاية)[٩٢٦] ليدل بها على معنى (الولاية) أو (القيام بالأمر).

٢. الحرفة:

---

(٩١٢) ينظر: دقائق التصريف: ١٣٤، ديوان الأدب: ٨٥/١، أ بنية الصرف في كتاب سيبويه:٢٣٤، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس:٩٥، معاني الأبنية في العربية: ٢٥- ٢٦، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ٢٠١، الصرف الحديث في بيان القرآن والحديث: ٣٨-٣٩، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية: ١١٦.
(٩١٣) ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة: ٣٤/١، ٣٥، ٢١٠، ٢١١، نقلاً عن: أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ٢٠١.
(٧) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٢٧(خ١٦٠).
(٨) ينظر: نفسه: ٣٥٥(ك٢٣٣)، توضيح نهج البلاغة: ٤٠٩/٣.
(١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٨٩(خ١٣١)، ٢٠١(خ١٤٤)، ٣٤٦(ك٢٢٤).
(٢) ينظر: نفسه: ١٠٩(خ٨٣)، ١٦٦(خ١١١)، شرح نهج البلاغة: ٢٥٣/٦.
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٤١(خ١٦٦)، توضيح نهج البلاغة: ٢٢/٣.
(٤) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٥٥(خ١٣)، الصرف الحديث في بيان القرآن والحديث: ٣٩-٤٠.
(٥) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ١٠٢.
(٦) ينظر: أدب الكاتب: ٤٧١، دقائق التصريف: ١٣٣، شرح شافية ابن الحاجب: ١/ ١٥٣، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ١٠٢، معاني الأبنية في العربية: ٢٣، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ٢٢٠.
(٧) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٤٤(خ١٦٨).
(٨) ينظر: نفسه: ٩٨(ك٦٧)، ٢٤٨(خ٧٣).
(٩) ينظر: نفسه: ٣٢٢(ك٢٠٥).
(١٠) ينظر: نفسه: ١٤٥(خ ١٠٠)، ٣٥٨(خ٣٣٩).
(١١) ينظر: نفسه: ٤٧(خ٢)، ٣٢٢(ك٢٠٥).

ذكر ابن قتيبة في كتابه (أدب الكتاب) أنّ "فِعالة تأتي كثيراً في الصناعات"[٩٢٧] والصناعات واحدتها صناعة، وهي إحدى الحرف التي تزاول، وهذا هو المعنى الذي تدل عليه بعض صيغ المصادر التي تأتي على زنة(فِعالة). وقد ذَكَرَ ذلك المعنى غيرُ ابن قتيبة من القدماء والمحدثين[٩٢٨].

وجاء في خطب نهج البلاغة المصدران (تِجارة)[٩٢٩] و(عِمارة)[٩٣٠] دالين على(الحرفة)، وإن كان معنى المصدر الأوّل منهما معنى مجازياً في الموضعين اللذين ذكر فيهما، غير أنّ ذلك لا يخرجه من دلالته على(الحرفة).

د. فُعالة:

ومن أوزان المصدر ذات المقاطع الثلاثة الوزن(فُعالة)[٩٣١] الذي جاءت على بنائه في خطب نهج البلاغة صيغ مصادر تدل على معنى واحد فقط، وهو(الفضلة من الشيء) أو(البقية من الشيء)، وقد أُشير إلى ذلك المعنى في الوزن(فُعالة) قديماً وحديثاً[٩٣٢].

والصيغ التي تضمنتها خطب النهج دالةً على (الفضلة من الشيء) هي المصادر(تُفالة)[٩٣٣] و(حُثالة)[٩٣٤] و(نُفاضة)[٩٣٥].

هـ. فُعْلة:

الزنة(فُعْلة) ذات مقطعين صوتيين[٩٣٦]، ولها في خطب نهج البلاغة معنيان هما:

١. الألوان:

ذكر سيبويه في كتابه دلالة الوزن (فُعْلة) على (الألوان) فقال: "أمّا الألوان فإنّها تبنى على أفعل، ويكون الفِعْل على فَعِل يفْعَل، والمصدر على فُعلة أكثر"[٩٣٧]، فالوزن(فُعلة) له دلالة على(الألوان) كما ذكر سيبويه، وتلاه آخرون[٩٣٨].

---

(٢١) أدب الكاتب: ٤٧٢.
(١) ينظر: دقائق التصريف: ١٣٣، شرح شافية ابن الحاجب: ١٥٣/١، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٣٣، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ١٠٢، معاني في الأبنية في العربية: ٢٣، الصرف الحديث في بيان الحديث في بيان القرآن والحديث: ٣٧، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ٢٢٠، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ٣٥ .
(٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٠٤(خ١٩٣)، ٣٤٢(ك٢٢٢).
(٣) ينظر: نفسه: ١٢٨(خ٩١).
(٩٣١) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٩٧.
(٩٣٢) ينظر: كتاب سيبويه: ١٣/٤، أدب الكاتب: ٤٧٠-٤٧١، شرح شافية ابن الحاجب: ١/ ١٥٥، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٩٧، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ٢٢١.
(٩٣٣) ينظر نهج البلاغة(الصالح): ١٥٧(خ١٠٨)، ٦١٤(في هامش١٤٤٠)، شرح نهج البلاغة: ١٨٩/٧، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٧/ ٢٩٧، توضيح نهج البلاغة: ١٦٩/٢.
(٩٣٤) نهج البلاغة (الصالح): ١٨٧(خ١٢٩).
(٩٣٥) ينظر: نفسه: ١٥٧(خ١٠٨), ٦١٤(في هامش١٤٤١)، شرح نهج البلاغة: ٧/ ١٨٩، توضيح نهج البلاغة: ١٦٩/٢-١٧٠.
(٩٣٦) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٩٤.

وقد دلت المصادر(خُضرة)[٩٣٩] و(دُجنة)[٩٤٠] و(صُفرة)[٩٤١] على(الألوان) في خطب نهج البلاغة.

٢. الزمان والمكان:

جاءت الصيغتان(بُرهة)[٩٤٢] و(فُسحة)[٩٤٣]في خطب نهج البلاغة لتدلَّ الأولى منهما على(المدة الزمنية)، والأخرى على(المكان)، وهذان المعنيان لم يذكرا ضمن ما تدل عليه الصيغ التي تجيء على الوزن(فُعْلة).

ز. فعيل:

الوزن(فعيل) من حيث البنية المقطعية يتألف من مقطعين، قصير، وطويل مغرق في الطول[٩٤٤]، أما من حيث الدلالة فإنّ له- في خطب النهج البلاغة- معانيَ هي:

١. الصوت:

ربط سيبويه بين الوزنين(فُعال) و(فعيل) في دلالتهما على(الصوت)[٩٤٥].

فـ(الصوت) إذن هو أحد معنيي(فعيل) عند سيبويه، بل إنّ "أكثر الأصوات يأتي على فعيل"[٩٤٦]عند ابن قتيبة، وكذلك الحالان عند من جاء بعدهما[٩٤٧].

ومما جاء في خطب نهج البلاغة من الصيغ المصدرية على زنة(فعيل) ليدل على(الصوت)، المصادر(عجيج)[٩٤٨] و(نشيج)[٩٤٩] و(نحيب)[٩٥٠] و(هديل)[٩٥١].

٢. السير:

([٩٣٧]) كتاب سيبويه: ٢٥/٤.
([٩٣٨]) ينظر: ديوان الأدب: ٨٨/١، المفصل في صنعة الإعراب: ٢٧٥، شرح شافية ابن الحاجب: ١٥٦/١، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ٩٤، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ٢١١، الصرف الحديث في بيان القرآن والحديث: ٤٠.
([٣]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٢٦(خ١٦٠)، ٢٣٨(خ١٦٥)، ٢٩٨(خ١٣٢).
([٤]) ينظر: نفسه: ٢١٧(خ١٥٥)، ٦٣٠(في هامش١٩٠٦).
([٥]) ينظر: نفسه: ٢٣٨(خ ١٦٥).
([٦]) ينظر: نفسه: ١٢٠(خ ٨٧)، ٣٤٢(ك٢٢٢).
([٧]) ينظر: نفسه: ٢٦٧(خ١٨٣).
([٨]) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ١٠٢.
([٩]) ينظر: كتاب سيبويه: ١٤/٤.
([١]) أدب الكاتب:٤٧٠.
([٩٤٧]) ينظر: دقائق التصريف: ١٣٣، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م: ٢٢٤، فقه اللغة وسر العربية: ٣٦٥-٣٦٦، شرح شافية ابن الحاجب: ١٥٥/١، شذا العرف في فن الصرف:٧٠، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ١٠٣، معاني الأبنية في العربية: ٢٧، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ٢٠٦، الصرف الحديث في بيان القرآن والحديث: ٣٩، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية: ١١٨.
([٣]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٧١(خ١١٥)، ٦١٨(في هامش١٥٦٢)، ١٩٩(خ١٤٣)، ٣١٢(خ١٩٨)، شرح نهج البلاغة: ٢٦٤/٧، ١٨٨/١٠.
([٤]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٣٤٣(ك٢٢٢)، ٦٦٩(في هامش٣١٠٤).
([٥]) ينظر: نفسه: ٣٤٣(ك٢٢٢)، ٦٦٩(في هامش٣١٠٥).
([٦]) ينظر: نفسه: ٨٩(خ٥٢)، ٥٨٢(في هامش٥٤١).

تشير مباحث الدلالة الصرفية القديمة والحديثة إلى دلالة الوزن(فعيل) على(السير)[٩٥٢]، وربما جعلت تلك الدلالة على(الحركة والسير)[٩٥٣] ولا فرق، إذ إنّ(السير) يقتضي(الحركة).

ولم يورد الإمام(عليه السلام) في خطبه من المصادر على زنة(فعيل) ليدل به على(السير) غير المصدر(رحيل)[٩٥٤]، فـ(رحيل) وإن دل على(السير) فإنّه يدل كذلك على(الحركة) بل هي نتيجته.

٣. الحركة:

إذا كانت(الحركة) نتيجة لمعنى(فعيل) السابق أي(السير) فإنّها قد تأتي معنى مستقلاً بذاته للوزن(فعيل) وهذا ما لم يصرح به أحد من القدمى أو المحدثين. فالمصدر(رجيج)[٩٥٥]- الوارد في خطب النهج- يدل على(الحركة)[٩٥٦] دون أي معنى آخر.

ح. فَعَلان:

توصف بنية الوزن(فعلان) بأنها متكونة "من ثلاثة مقاطع، الأول والثاني قصيران، والثالث طويل مغرق في الطول"[٩٥٧]، وربما أسهمت تلك البنية في دلالة ذلك الوزن، فقد أشار سيبويه إلى دلالة(فعلان) قائلاً: "ومن المصادر لتي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النَّزَوان، والنَّقَزان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع. ومثله العَسَلان والرتكان... وقد جاءوا بالفعلان في أشياء تقاربت. وذلك: الطَّوَفان، والدوران، والجولان... وقالوا: الحَيَدان والمَيَلان"[٩٥٨]، فالمعنى الذي يجمع كل ما ذكره سيبويه للوزن(فَعَلان) هو(الحركة والأضطراب). وقد أعطى من أتى بعد سيبويه للوزن(فَعَلان) ما أعطاه سيبويه له من دلالة[٩٥٩].

ومما جاء في خطب نهج البلاغة من المصادر على زنة (فَعَلان) ودل على (الحركة والاضطراب) الصيغ (زَيَفان)[٩٦٠] و(مَوَجان)[٩٦١] و(مَيَدان)[٩٦٢].

رابعًا: دلالة الجُمل في خطب نهج البلاغة:

---

(٧) ينظر: كتاب سيبويه: ١٦/٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٢٧٥، شذا العرف في فن الصرف: ٧٠، الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ١٠٣، معاني الأبنية في العربية: ٢٧.
(٨) ينظر: دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية: ١١٨.
(٩) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١١٠(خ٨٣).
(١) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٢٩(خ٩١)، ٦٠٢(في هامش١٠٧٧).
(٢) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٦٠/٢، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٦/ ٣٧٤، نهج البلاغة(عبده): ١/ ١٦٨(في هامش٧).
(٣) الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ١٠٤.
(٤) كتاب سيبويه: ١٤/٤- ١٥.
(٥) ينظر: أدب الكاتب: ٤٦٦، الخصائص: ١٥٢/٢، المفصل في صنعة الإعراب: ٢٧٥، شرح شافية ابن الحاجب: ١٥١/١، ١٥٦، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٣٥، لأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: ١٠٤، معاني الأبنية في العربية: ٣٠-٣١، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: ٢٢٦-٢٢٧، الصرف الحديث في بيان القرآن والحديث: ٤٠.
(٦) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٣٢(خ٩١)، ٦٠٤(في هامش١١٤٦)، ٢٣٦ (خ١٦٥)، ٦٣٥ (في هامش٢٠٧٤).
(٧) ينظر: نفسه: ٣٢٨(خ٢١١).
(٨) ينظر: نفسه: ٣٩(خ١)، ٥٦٣(في هامش ٣) ، ١٣٢(خ٩١)، ٦٠٤(في هامش ١١٥٦) ، ٣١٠(خ١٩٦).

الجُمل مفردها جملة، والجملة في اللغة هي "جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره. وأجملت الحساب والكلام من الجملة"[٩٦٣]، هذا ما ذكره الخليل ضمن ما ذكره من معان تحت الأصل(جمل)، وورد ذلك التعميم في معنى(الجملة) عند غير الخليل من المعجميين العرب[٩٦٤]، غير أنّ ما ذكره الزبيدي في معجمه يقرب مما يتوخاه هذا البحث من المعاني التي ذكرت للأصل(جمل)، إذ جاء في ذلك المعجم "والجُملة بالضم جماعة الشيء كأنّها اشتقت من جملة الحبل لأنّها قوى كثيرة جمعت فأُجملت جملة، وقال الراغب: واعتبر معنى الكثرة فقيل لكل جماعة غير منفصلة جملة. فقلت: ومنه أخذ النحويون الجملة لمركب من كلمتين أسندت إحداهما للأخرى"[٩٦٥]، فالذي أُخذ من الجماعة- حسب اللغة- اجتماعها، ثم صار معنى ذلك الاجتماع يطلق على كلِّ كلمتين تربطهما علاقة من نوع معين فيكوّنان بذلك مركباً يعرف بـ(الجملة).

أمّا مفهوم الجملة في عرف النحاة العرب القدماء فإنّه قد ترادف- أوّل الأمر- مع غيره من المفاهيم كالقول والكلام[٩٦٦]، وذلك على الرغم من كون مصطلح(الجملة) معروفاً ومستساغاً بينهم[٩٦٧]، غير أنّ ذلك المصطلح لم يستقل بذاته ويصبح له كيانه الخاص به من حيث المفهوم إلا في زمن متأخر من التنظير النحوي العربي. وإذا كان الرضي الاستراباذي في شرحه على كافية ابن الحاجب قد وقف عند مفهومي(الجملة) و(الكلام) مفرقاً بينهما [٩٦٨]، فإنّ أبا محمد عبدالله جمال الدين بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ) قد أفرد في كتابه(مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب) باباً "في تفسير الجملة، وذكر أقسامها، وأحكامها"[٩٦٩]، فكانت الجملة عنده هي "عبارة عن الفعل وفاعله كـ(قام زيد) والمبتدأ وخبره كـ(زيد قائم) وما كان بمنزلة أحدهما نحو(ضُرب اللص) و(أ قائم الزيدان) و(كان زيدٌ قائماً) و(ظننته قائماً)[٩٧٠]. والذي يظهر من ذلك التعريف أن ابن هشام قد أقام فهمه لذلك التركيب الذي سماه(جملة) استناداً إلى ما يأتلف منه ذلك المكون بقطع النظر عن الاعتبارات الأخرى التي تبدو أهم عند من سبقه في التنظير لمفهوم(الجملة).

وإذا استوت(الجملة) عند ابن هشام مصطلحاً ومفهوماً فنظر إليها من زاوية واحدة, فإن ذلك المفهوم قد نظر إليه- قبل ذلك- عبد القاهر الجرجاني من زاويتين اعتمدت إحداهما شكل تلك الجملة، في حين اعتمدت الأخرى ما يكمن وراء ذلك الشكل من معنى، أي أنّ التركيب(الجملة) عند عبد القاهر قد صار عنصراً ذا دلالة على المعنى، وقد اتضح ذلك عند الجرجاني في تفريقه بين نظمي الحروف والكلمات إذ قال: "نظم الحروف تواليها في النطق وليس نظمُها بمقتَضًى عن معنى... وأمّا نَظْم الكَلِم فليس الأمر فيه كذلك؛ تقتفي في نظمها آثارَ المعاني، وتُرَتِّبُها على حسب تَرتُّبِ المعاني في النفس. فهو إذن نظْمٌ يُعتبر فيه حال المَنْظُوم بعضه مع بعض، وليس معناه ضَمَّ الشيء إلى الشيء كيف جَاء واتَّفق"[٩٧١]، فالمعاني التي مصدرها النفس تتحكم في ترتيب الكلمات داخل ذلك النسيج التركيبي المسمى(جملة)، وهذا ما يجعل ذلك النسيج دالاً على تلك المعاني، لذلك تنوّع هو لتنوعها لأنّه عكس أغراض مُنشئه فجاء على شكل أساليب مختلفة تحاكي ذلك التنوع.

وأمّا مفهوم(الجملة) في البحث اللساني الحديث فإنّه يحد بالرجوع إلى معايير متعددة، بعضها شكلي, وبعضها معنوي(دلالي)، وبعضها عائد إلى المتكلم بالجملة نفسه، وبعضها الآخر معتمد معيارين من المعايير السابقة[٩٧٢]، غير أنّ ما يقرب من المفهوم العربي القديم للجملة هو ما أورده فندريس في كتابه(اللغة)، إذ جاء فيه "كل جملة تحتوي عنصرين متميزين، أولهما مجموعة

([٩٦٣]) كتاب العين: ١٤٣/٦.
([٩٦٤]) ينظر: لسان العرب: ١٢٧/١١-١٢٨(ج م ل)، القاموس المحيط: ٣٥١/٣.
([٩٦٥]) تاج العروس من جواهر القاموس: ٧/ ٢٦٤.
([٩٦٦]) ينظر: كتاب سيبويه: ١٢٢/١، المقتضب: ٨/١، الخصائص: ١٨/١، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية- الجملة البسيطة: د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م : ٢٣، الجملة العربية - دراسة لغوية نحوية: د. محمد إبراهيم عباده، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٤م: ٢٧-٣٣.
([٩٦٧]) ينظر: معاني القرآن: أبو زكريا يحى بن زياد الفراء، تحقيق ومراجعة: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، دار السرور، د.ت: ١٩٥/٢، ٣٣٣، ٣٨٧، المقتضب: ٨/١ .
([٩٦٨]) ينظر: شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاستراباذي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاز يونس، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م: ٣٣/١.
([٩٦٩]) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: أبو محمد جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٥هـ: ٣٧٤/٢.
([٩٧٠]) نفسه: ٣٧٤/٢.
([٩٧١]) دلائل الإعجاز: ٤٩.
([٩٧٢]) ينظر: وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية- دراسة حول المعنى وظلال المعنى: محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، الجماهيرية العظمى، ١٩٩٣م: ٢٧٢-٢٧٤.

الصور المعنوية المرتبطة بتصورات في الذهن، وثانيها مجموعة العلاقات الرابطة لتلك الصور بعضها ببعض"[٩٧٣]، فإذا كانت(الجمل) عند عبد القاهر قد دلت على ما في النفس من معانٍ فإنّها عند فندريس قد دلت على ما في الذهن، وفي كلتا الحالتين فإنها(الجمل) قد عبرت عما يريد ناظمها إيصاله إلى الآخرين، ولعل ذلك هو ما التفت إليه الدكتور مهدي المخزومي فكانت الجملة عنده "هي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع"[٩٧٤].

ولأجل أن يكشف(البحث) عن دلالة الجمل في(خطب نهج البلاغة) فإنّه سيقف عند بعض التراكيب التي دلت على أغراض الإمام(عليه السلام) منها، ومن ثم بينت هي المعاني التي توخّى الإمام إيصالها إلى أذهان الآخرين.

أ- جمل النفي:

يُعدُّ النفي باباً "من أبواب المعنى، يهدف به المتكلم إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده، وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكمٍ يخالفه أو نقيضه، وذلك بصيغة تحتوي على عنصر يفيد ذلك"[٩٧٥]، فالأصل في النفي أن ينتقل بالكلام من الإثبات إلى ما يخالفه لتنتقل بذلك الدلالة من الإيجاب إلى السلب. "وأسلوب النفي أحد أساليب النظم في العربية، ويستخدم المتكلم للدلالة على النفي أدوات متعارفاً عليها، تتصدر النظم وتهيمن بمعناها على الجملة عامة"[٩٧٦]، والأدوات التي جاءت في(خطب نهج البلاغة) ودلت على معنى(النفي) هي:

١. لا:

حدد سيبويه دلالة (لا) على النفي قائلاً: "وتكون لا نفياً لقوله يَفْعَلُ ولم يقع الفعل، فتقول: لا يفعلُ"[٩٧٧]، ولا يختلف النحاة قديماً وحديثاً في ما تضفيه(لا) على الجملة من دلالة على معنى(النفي)[٩٧٨]، غير أنّ هذا المعنى نفسه يختلف تبعاً لما تدخل عليه(لا). فإذا دخلت(لا) على إسناد فعلي الفعل فيه على بناء (يفعل) فإنّها تكون حينئذٍ نافية لحدوث حدث الفعل بشكل مطلق[٩٧٩]، ومثال ذلك في خطب نهج البلاغة قول الإمام(عليه السلام) في صفة المؤمنين: ((**لَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلَادَةُ الْغَفَلَاتِ**))[٩٨٠]، فالموضع موضع

([٩٧٣]) اللغة: ج. فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت: ١٠١.
([٩٧٤]) في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د.ت: ٣١.
([٩٧٥]) أسلوبا النفي والاستفهام في العربية- في منهج وصفي في التحليل اللغوي: د. خليل أحمد عمايره، جامعة اليرموك، د.ت: ٥٦.
([٩٧٦]) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: د. سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م: ٢٧٧.
([٩٧٧]) كتاب سيبويه: ٢٢٢/٤.
([٩٧٨]) ينظر: المقتضب: ٣٣٥/٢، المفصل في صنعة الإعراب: ٥٣، شرح المفصل: ١٠٩/١، شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محيي الدين عبد الحميد، م. السعادة، مصر، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م: ٣١١/١-٣١٦، في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٨، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٦٩، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٧٨.
([٩٧٩]) ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٧٨.
([٩٨٠]) نهج البلاغة(الصالح): ١٣٠(خ٩١).

نفي بأن تكون الغفلة البليدة قد سطت على عزيمة جد المؤمنين بشكل مطلق، أي لا يتحقق إسناد العدوان إلى بلادة الغفلات عند المؤمنين أبداً. ولعل في تضمن هذا النوع من (لا) ذلك المعنى ما يفسر استعمال الإمام لها في معاني لا يتحقق فيها نسبة الحدث إلى محدثه على الإطلاق، كعدم نسبة صفات ما إلى تعالى أو إلى المؤمنين أو ما شابه ذلك[٩٨١].

وأما إذا وردت(لا) في سياق تدل فيه قرينة على زمن ما فإنّ دلالتها الزمنية تُصرف إلى ما تدل عليه تلك القرينة[٩٨٢]، فقد تدل(لا) على نفي واقع في الزمن الماضي كما في قول الإمام(عليه السلام) في ما يُعرض عليه المسائل فيَسأل عنها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((**وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ**))[٩٨٣]، فوجود(كان) القرينة ساعد على صرف دلالة(لا) على النفي إلى الزمن الماضي، وأما إذا توافر في السياق ما يدل على نفي حدوث حدث الفعل في المستقبل فإن دلالة(لا) تنصرف إلى ذلك الحين، والقرينة الزمنية قد تكون مذكورةً في السياق كقول الإمام(عليه السلام) في ذكر ما يحدث آخر الزمان من فتن: ((**قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ، فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ**))[٩٨٤]، فكلمة(يومئذٍ) جعلت الجملة خالصة للدلالة على المستقبل من الزمان، أو جعلت نفي(لا) مختصاً بالمستقبل، أو قد تكون القرينة غير مذكورة، وحينئذ تستشف الدلالة على المستقبل من السياق، ومثال ذلك في خطب نهج البلاغة قول الإمام(عليه السلام) لمّا عزم على حرب الخوارج: ((**مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَاللَّهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ**))[٩٨٥]، فالإمام في هذا الموضع يخبر عما ستؤول إليه الحرب بينه وبين خصومه، فنفى بذلك الإخبار أن يكون عدد من يفلت عشرة، وعدد من يهلك عشرة، وفي ذلك إخبار عما سيقع مستقبلاً.

وأما إذا وَلِيَ(لا) بناء(فَعَلَ) فإنّها أيضاً تفيد نفي حدوث النسبة بين المسند إليه والمسند، ويغلب في هذا النوع من(لا) في خطب النهج أن تكون معطوفة أما على(ما) أو(لم)، وأما المواضع التي جاءت فيها(لا) غير معطوفة فإنها كانت محدودة جداً من خطب نهج البلاغة، منها قول الإمام(عليه السلام) للمغيرة بن الأخنس: ((**اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ**))[٩٨٦]، فـ(لا) في هذا الموضع وإن دخلت على بناء(فعل) غير أنّها أفادت النفي في المستقبل لأنّها وردت في سياق يدل على ذلك الزمن، وذلك السياق هو سياق الدعاء. وأما المواضع التي جاءت فيها(لا) معطوفة في خطب نهج البلاغة فهي كثيرة جداً[٩٨٧]، والذي يلاحظ على تلك المواضع أنّ(لا) فيها قد أفادت النفي في الزمن الماضي، أي أنّها دلت زمنياً على ما تدل عيه(ما) و(لم) في دلالتهما على ذلك الزمان.

أما النوع الآخر من(لا) النافية فهو الذي تدخل فيه تلك الأداة على المفرد "لتنفي عنه كل ما يتبادر للذهن من معان توحي بها الكلمة"[٩٨٨]، أي أن النفي بـ(لا) قد يتسلط على الكلمة التي بعدها ليستغرق كل ما تدل عليه، وهذا النوع من(لا) هو الذي يسميه النحاة بـ(لا) التبرئة أو(لا) النافية للجنس[٩٨٩] ولا اختلاف في ذلك لأنهم يعنون بذلك أنّ(لا) "تدل على تبرئة جنس اسمها كله من معنى الخبر"[٩٩٠].

([٩٨١]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١١٥(خ٨٥)، ١٢٥-١٢٦(خ٩١) ، ١٣٨(خ٩٤).

(٩٨٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن القاسم المرادي، تح: د. فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١, ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م: ٢٩٥، الزمن في القرآن الكريم - دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه: د. بكري عبد الكريم، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م: ٢٩٤، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٧٨.

([٩٨٣]) نهج البلاغة(الصالح): ٣٢٥(ك٢١٠).

([٩٨٤]) نفسه: ١٥٦- ١٥٧(خ ١٠٨).

([٩٨٥]) نفسه: ٩٣(قو٥٩).

([٩٨٦]) نهج البلاغة(الصالح): ١٩٣(ك١٣٥).

([٩٨٧]) ينظر: نفسه: ٥٧(خ١٦)، ٧٧(خ٣٣)، ٨٠(خ٣٦)، ٨٥(خ٤٤)، ٩٦(خ٦٥)، ٩٨(خ٦٨)، ٢٧٥(خ١٨٥)، ٢٩٢(خ١٩٢).

([٩٨٨]) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٧٩.

([٩٨٩]) ينظر: معاني القرآن: ١/ ١٢٠، شرح الرضي على الكافية: ٢/١٦٠، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٣٧، دراسات في الأدوات النحوية: د. مصطفى النحاس، شركة الربيعات للنشر والتوزيع، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م:١٠١، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٧١، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٧٨- ٢٧٩.

([٩٩٠]) الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية- دراسة تحليلية تطبيقية: د. أبو السعود حسنين الشاذلي، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٩٨٩م: ١٠١.

وقد أورد الإمام(عليه السلام) في خطبه(لا) النافية للجنس مرات متعددة، والغالب في تلك المرات أنّها تأتي لنفي دلالة الكلمة التي جاءت بعد(لا) نفياً مطلقاً في أن تكون لله تعالى، كنفي النِدّ[٩٩١] أو الغاية[٩٩٢] أو الآخر[٩٩٣] أو الكفء[٩٩٤] أو النظير[٩٩٥] أو الشريك[٩٩٦] أو غيرها، وقد يستعمل الإمام(لا) التبرئة لينفي بشكل مطلق ما قد يعلق بالإسلام من أوصاف[٩٩٧]، أو لينفي ما يُظن أنّه واقع يوم القيامة[٩٩٨]، وغيرها من الأمور التي تتطلب تخليصها من أية دلالة على الإيجاب.

٢. ما:

أعطى سيبويه(ما) الدلالة على النفي فقال: "وأما ما فهي نفي لقوله: هو يفعل، إذا كان في حال الفعل، فتقول: ما يفعل، وتكون بمنزلة ليس في المعنى"[٩٩٩]، فسيبويه يحدد دلالة(ما) على النفي من خلال جعلها بمنزلة(ليس) في المعنى، ويحدد كذلك أوان ذلك النفي، فـ(ما) عنده تفيد معنى النفي في الوقت الحاضر، ويتضح ذلك في موضع آخر من كتابه, إذ جاء في ذلك الموقع: "وإذا قال: هو يفعل، أي هو في حال فعل، فإنّ نفيه ما يفعل"[١٠٠٠]، ولم يخالف بعض اللغويين سيبويه في ما أعطاه من دلالة لـ(ما) على النفي في زمن محدد[١٠٠١]، غير أنّ بعضاً آخر منهم خالفه، ورأى أن في(ما) دلالة على النفي في أزمنة مختلفة[١٠٠٢]، والرأي الأخير هو الصواب، لأنّ (ما) جاءت عليه في خطب نهج البلاغة.

فقد استعمل الإمام(عليه السلام)(ما) في خطبه ليدل بها على النفي في الزمن الماضي، وذلك إذا تلا(ما) فعل على بناء(فعل)، ومن ذلك مثلاً قوله(عليه السلام) واصفاً موقعه من الكتائب التي كانت تخوض الحرب دفاعاً عن الإسلام: ((**أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا. مَا عَجَزْتُ وَلَا جَبُنْتُ**))[١٠٠٣]، وهذا هو الاستعمال الأكثر لـ(ما) في خطب النهج[١٠٠٤]. وقد يورد الإمام(عليه السلام) (ما) في سياق تكون فيه نافية للمستقبل من الزمان، كقوله: ((**وَاللَّهِ لَوِ انْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ انْمِيَاثاً، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ**))[١٠٠٥]، فـ(ما) وإن دخلت على بناء(فعل) غير أنها دلت على نفي مستقبلي. وتأتي (ما) أيضاً في خطب نهج البلاغة لتفيد(النفي) في الأزمنة المختلفة، كقول الإمام(عليه السلام) في وصف الله تعالى: ((**وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ**))[١٠٠٦]، فالموضع موضع بيان صفة الله تعالى ولا يصح معه أن تصرف(ما) فيه إلى زمان دون آخر، وإنّما هي للأزمنة كلها.

([٩٩١]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٢٦(خ٩١).
([٩٩٢]) ينظر: نفسه: ١٣٩(خ٩٤).
([٩٩٣]) ينظر: نفسه: ١٣٩(خ٩٤).
([٩٩٤]) ينظر: نفسه: ٢٧٥(خ١٨٦).
([٩٩٥]) ينظر: نفسه: ٢٧٥(خ١٨٦).
([٩٩٦]) ينظر: نفسه: ٤٦(خ٢)، ٧٩(خ٣٥)، ١١٥(خ٨٥).
([٩٩٧]) ينظر: نفسه: ٣١٤(خ١٩٨).
([٩٩٨]) ينظر: نفسه: ٨٤(خ٤٢).
([٩٩٩]) كتاب سيبويه: ٢٢١/٤.
([١٠٠٠]) نفسه: ١١٧/٣.
([١٠٠١]) ينظر: المقتضب: ١٨٨/٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٥٣ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٠٣، شرح ابن عقيل: ١/ ٣٠٢، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٨.
([١٠٠٢]) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٨٥/٢، الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٢٩، الزمن في القرآن الكريم: ٢٩٨-٣٠١.
([١٠٠٣]) نهج البلاغة (الصالح): ٧٧(خ٣٣).
([١٠٠٤]) ينظر: نفسه: ٤٩(خ٣)، ٥١(خ٤)، ٧٠-٧١(خ٢٧) ، ٧٣(خ٢٩)،٩١(خ٥٤)، ٩٢(خ٥٦)، ١٩٤(خ١٣٦)، ٣٠٠(خ١٩٢).
([١٠٠٥]) نهج البلاغة(الصالح): ٩٠(خ٥٢).
([١٠٠٦]) نفسه: ١٣٥(خ٩١).

ومهما يكن الزمان الذي تفيده(ما) أو البناء الذي تدخل عليه في تحقق معنى(النفي) فإنّ لـ(ما) وظيفة واحدة هي نفي نسبة الفعل إلى الفاعل.[١٠٠٧]

وأما إذا دخلت(ما) على إسناد اسمي فإنها تنفي أن يكون المسند(الخبر) هو عين المسند إليه(المخبر عنه) أو صفة له إلا إذا انتقض نفي(ما) بـ(إلا)، إذ إنّ(ما) تعيد الخبر لأن يكون عين المخبر عنه أو صفة له، وإلى ذلك السبب أرجع الدكتور مهدي المخزومي نصب خبر(ما) ورفعه[١٠٠٨].

وقد جاءت(ما) في خطب نهج البلاغة لتدل على أنّ المسند هو ليس عين المسند إليه، ولا صفة له، وذلك في قول الإمام(عليه السلام): ((**وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ**))[١٠٠٩]، أي ليس كل صاحب قلب لبيباً، فالخبر ليس عيناً أو صفة للمخبر عنه، وقد أدخل الإمام حرف الجر الزائد(الباء) لتضيف إلى الجملة معنى آخر. وهو(التوكيد)، ذلك لأنّ تلك الباء من الأدوات التي تفيد تقوية(النفي) وتوكيده[١٠١٠]، وجاءت(ما) في خطب نهج البلاغة وقد انتقض نفيها بـ(إلا) التي أرجعت الجملة إلى ما قبل دخول أداة النفي عليها من حيث كون الخبر هو عين المخبر عنه أو صفة له، ومثال ذلك في خطب نهج البلاغة قول الإمام(عليه السلام): ((**وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ**))[١٠١١]، فالجليل واللطيف والثقيل...الخ في خلقها سواء، أو كما يعبر هي هي.

٣. لم:

ذكر سيبويه دلالة(لم) على(النفي) فقال: "لم نفي لقوله فَعَلَ"[١٠١٢]، وقال في موضع ثانٍ: "إذا قال: فعل فإنّ نفيه لم يفعل"[١٠١٣]، وفي موضع ثالث قال أيضاً: "لم أضرب نفي لضرب"[١٠١٤]، والذي يفهم من الكلام في المواضع السابقة أن سيبويه لم يحدد لـ(لم) دلالتها النحوية فحسب، وإنما حدد أيضاً زمان تلك الدلالة، وهو عنده الماضي لأنّه قرنه ببناء(فَعَلَ). وقد ذهب غير سيبويه إلى إعطاء(لم) ما أعطاه سيبويه لها من وظيفة نحوية وزمانية[١٠١٥]، ولكن ذلك لا يعني عدم وجود من خالف ما ذهبوا إليه، ورأى أنّ (لم) زمانياً لا تحدد باتجاه واحد وإنّما هي للنفي في أزمانٍ مختلفة[١٠١٦]. وهي كذلك، لأن ورودها في خطب النهج يؤيد ذلك.

فقد تكون(لم) في خطب نهج البلاغة دالةً على(النفي) في الزمن الماضي، وذلك الزمن قد تدل عليه قرينة حالية كما في قول الإمام (عليه السلام) واصفاً نفسه: ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ**

([١٠٠٧]) ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٨٠.
([١٠٠٨]) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٩-٢٥٠، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٨١.
([١٠٠٩]) نهج البلاغة(الصالح): ١٢١(خ٨٨).
([١٠١٠]) ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٩٤.
([١٠١١]) نهج البلاغة(الصالح): ٢١٧(خ١٨٥).
([١٠١٢]) كتاب سيبويه: ٢٢٠/٤.
([١٠١٣]) نفسه: ١١٧/١.
([١٠١٤]) نفسه: ١٣٦/١.
([١٠١٥]) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ١٦٤، المفصل في صنعة الإعراب: ٤٠٦، الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٦٧، الزمن في القرآن الكريم: ٢٨٠- ٢٨٢.
([١٠١٦]) ينظر: دراسات في الأدوات النحوية: ٤٦-٤٩، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٨٩، الزمن في القرآن الكريم: ٢٨٣- ٢٨٥، التطور النحوي للغة العربية: براجشتراسر، تر: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م: ١٧٣.

أَنَابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ – بِالصَّلَاةِ))[١٠١٧]، فالإمام(عليه السلام) ينفي أن يكون أحد قد سبقه إلى الصلاة غير رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك بطبيعة الحال أوان تشريع تلك الشعيرة في الإسلام، فالنفي متحقق- والحال كذلك- في زمن مضى. أو قد تكون القرينة الدالة على الزمن قرينة حالية ومقاليه في الوقت نفسه كقول الإمام في وصف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وموقعه(عليه السلام) منه: ((**وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله - وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا))**[١٠١٨]، فالإمام وإن كان يتحدث على حال ماضيه فإنّه أورد في سياق حديثه لفظة(يومئذٍ) لتؤكد الدلالة الزمانية لتلك الحال. أو قد تكون القرينة التي تصرف دلالة الجملة زمانياً إلى الماضي هي وجود بناء فعلي يدل على ذلك الزمان، إذ قد يُعطف البناء (فعل) على البناء (يفعل) الذي دخلت عليه(لم) ليصير بذلك السياق كله دالاً على ما يدل عليه البناء (فعل) من حيث الدلالة على الزمن الماضي، ومثال ذلك في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام): ((**أَ لَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ، وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ، وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي))**[١٠١٩]، فالأفعال(ركز) و(وقف) و(ألبس) و(فرش) و(أرى) لها دلالة على الماضي، وقد جاءت معطوفة على الفعلين(أعمل) و(أترك) اللذين أنصرف نفيهما أيضاً إلى ذلك الزمان وإلا لما جاز عطف تلك الأفعال عليهما.

وقد تدل(لم) في خطب نهج البلاغة على(النفي) في المستقبل من الزمان، ومثال ذلك قول الإمام(عليه السلام) في وصف أحوال أهل الجنة: ((**قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ))**[١٠٢٠]، فالحديث وإن كان عن الجنة وأحوال أهلها فيها- وذلك من المستقبل- فإنّه قد تضمن نفياً بـ(لم)، ولعل ما أفادته (لم) في هذا الموضع هو إثبات النفي وتوكيده، وذلك لأنّ "التعبير بالماضي المنفي عن المستقبل إنّما هو أسلوب من أساليب توكيد النفي في العربية"[١٠٢١]، أي أنّ في كلام الإمام ما يثبت تحقيق النفي, هذا من جهة, ومن جهة أخرى فإن تركيب(لم تزل) وإن كان ظاهره الدلالة على معنى (النفي) غير أنه يفيد(الإثبات), وذلك لأن (النفي) الذي تضمنه ذلك التركيب قد نفى(النفي) نفسه, أي نفى معنى كلمة (تزل) وفي ذلك معنى (الإثبات).

وتكون(لم) في أحيانٍ كثيرة- في خطب نهج البلاغة- دالة على النفي بشكل مطلق، والإمام(عليه السلام) يورد هذا النوع من(لم) في مواضع لا يصح معها صرف (النفي)

([١٠١٧]) نهج البلاغة(الصالح): ١٨٩(خ١٣١).
([١٠١٨]) نفسه: ٣٠٠-٣٠١(خ١٩٢).
([١٠١٩]) نهج البلاغة(الصالح): ١٢٠(خ٨٧).
([١٠٢٠]) نفسه: ٢٣٩(خ١٦٥).
([١٠٢١]) دراسات في الأدوات النحوية: ٤٨.

باتجاه معين، وخصائص تلك المواضع أنها تكون مواضع حديث عن الله تعالى[١٠٢٢]، أو عن صفات المؤمنين[١٠٢٣]، أو عن أشياء لها صفات الدوام[١٠٢٤].

٤. لن:

ذكرت المباحث النحوية القديمة والحديثة لـ(لن) دلالتها على معنى(النفي)، وذكرت تلك المباحث أيضاً إفادة (لن) (تأبيد النفي)[١٠٢٥]، ولكن الخلاف وقع في تلك الأداة عندما أُريد معرفة ما يدل عليه ذلك (التأبيد) أهو لتوكيد النفي أم لا، فذهب بعض اللغويين إلى إفادة(لن) توكيد النفي[١٠٢٦] ، في حين ذهب بعض آخر إلى عدم إفادتها ذلك المعنى[١٠٢٧]. والواقع أنّ (لن) تخضع لنوع النظم الذي ترد فيه، فالنظم لا يحدد دلالة (لن) على توكيد النفي فحسب، وإنّما يحدد أيضاً دلالتها على(التأبيد).

وقد جاءت (لن) في مواضع متعددة من خطب نهج البلاغة، ودلت على معانٍ مختلفة، فهي قد تدل على(النفي المؤبد) وذلك إذا جاءت في سياق الحديث عن الله تعالى، كقول الإمام(عليه السلام): ((**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**))[١٠٢٨]، أو جاءت في سياق الحديث عن القرآن الكريم، كقوله(عليه السلام): ((**ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ**))[١٠٢٩]، أو في سياق الحديث عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كقول الإمام (عليه السلام): ((**انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى**))[١٠٣٠]، أو في سياق الحديث عن أمر متحقق في كل زمان ومكان، كقوله(عليه السلام): ((**وَلَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ**))[١٠٣١]، فالسياقات السابقة التي وردت فيها(لن) أفادت توكيد معنى(النفي المؤبد)، ذلك لأنّ معاني تلك السياقات لا تحتمل غير أن يكون النفي بـ(لن) شاملاً الأحوال كلها، وهذا ما يجعل ذلك النفي مؤكداً.

(١٠٢٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٢١(خ٨٨)، ١٢٧(خ٩١).
(١٠٢٣) ينظر: نفسه: ١٣٠- ١٣١(خ٩١) ، ٣٠٥-٣٠٦(خ١٩٣).
(١٠٢٤) ينظر: نفسه: ١٢٣(خ٩٠)، ١٢٩(خ٩١)، ١٤٤(خ٩٩).
(١٠٢٥) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ١١٧، ٤/ ٢٢٠، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ١٦٥، المفصل في صنعة الإعراب: ٤٠٧، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١٨٤/١، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٨٣، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٨٤، ٢٨٥.
(١٠٢٦) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٤٠٧
(١٠٢٧) ينظر: مغني اللبيب في كتب الأعاريب: ٢٨٤/١، الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٧٠، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة- دراسة: حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م: ٩٧.
(١٠٢٨) نهج البلاغة(الصالح): ٢٦٦(خ١٨٣).
(١٠٢٩) نفسه: ٢٢٣(خ١٥٨).
(١٠٣٠) نفسه: ١٤٣(خ٩٧).
(١٠٣١) نفسه: ١٤١(خ٩٧).

وأما إذا كان(النفي) بـ(لن) غير شامل الأحوال كلها فإنّه يكون حينئذٍ غير مؤكد، وذلك يرجع إلى طبيعة السياق الذي ترد فيه(لن)، ومثال ذلك في خطب النهج قول الإمام(عليه السلام) لأصحابه: ((**أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ**))[١٠٣٢]، فالإمام في هذا الموضع ينفي أن يكون قتل ذلك الرجل من قبل أصحابه، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون قتله من قبل غير أصحابه، لذلك فإنّ (لن) وإن أفادت(النفي) في الموضع السابق غير أنّ ذلك (النفي) لم يكن مؤكداً، لأنّه لم يكن شاملاً الأحوال جميعها.

وإذا كان السياق قد حدد دلالة (النفي) في (لن) من حيث التأكيد وعدمه، فإنّ السياق يحدد أيضاً لـ(لن) دلالتها من حيث الزمان، إذ قد تأتي (لن) لتفيد (النفي) في "المستقبل المحدد بمدى زمني معين وغالباً ما يأتي هذا المعنى الزمني بفضل حتى التي ترد في التركيب"[١٠٣٣]، أي أنّ(النفي) مع(لن) يبقى مطلقاً حتى تأتي (حتى) لتقيد ذلك الإطلاق، ومثال ذلك في خطب النهج قول الإمام(عليه السلام): ((**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ**))[١٠٣٤]، فلم يقيد دلالة(لن) الزمانية المطلقة إلا وجود(حتى) في نظم الكلام, فـ(النفي) الذي دلت عليه (لن) في هذه الحالة ليس مؤكداً إذن, وذلك لأنه حُدَّ بـ(حتى) المقيدة.

٥. ليس:

اختلفت الأقوال في(ليس) بين القدماء والمحدثين من حيث النوع الذي تدرج تحته، فهي تارة فعل ماضٍ ناقص[١٠٣٥]، وهي حرف له دلالات مختلفة تارة ثانية[١٠٣٦]، وهي أيضاً أداة مهملة تفيد معنى(النفي) تارة ثالثة[١٠٣٧]، وليس البحث- هنا- بصدد ما تنضوي تحته (ليس) من نوع بقدر ما هو بصدد دلالة (ليس) على معنى (النفي) فهي- بلا شك- "عنصر نفي ليس غير"[١٠٣٨]، ذلك لأنّها تتصدر "الجملة فتهيمن عليها ويصبح النفي هو معناها العام لأنّها تتسلط على الإسناد"[١٠٣٩]، أي أنّ دخول(ليس) على التراكيب يحدد لذلك التركيب معناه النحوي, وذلك المعنى هو(النفي).

(١٠٣٢) نهج البلاغة(الصالح): ٩٢(ك٥٧).
(١٠٣٣) الزمن في القرآن الكريم: ٢٩١.
(١٠٣٤) نهج البلاغة(الصالح): ٢٠٥- ٢٠٦(خ١٤٧).
(١٠٣٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب: ١/ ٢٩٣.
(١٠٣٦) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١/ ٢٩٣- ٢٩٦، في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٥٨، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٨٧.
(١٠٣٧) ينظر: أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٥٨.
(١٠٣٨) أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٥٨.
(١٠٣٩) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٨٧.

وإذا كانت(ليس) بشكل عام تدخل على الإسناد الاسمي المكون من مخبر عنه (مبتدأ) وخبر لتنفي أن يكون الأخير هو عين الأوّل أو وصفاً له في المعنى[١٠٤٠]، فإنّها بصورة خاصة - في خطب نهج البلاغة- تأتي غالباً متصدرة ذلك الإسناد الذي يكون مسنده(خبره) إما ظرفاً وإما جاراً ومجروراً متقدماً على المسند إليه(المبتدأ)، ومثال ما تصدرت به(ليس) إسناداً متقدماً فيه المسند إليه على المسند قول الإمام (عليه السلام) في فئة من الناس: ((**كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ**))[١٠٤١]، فالإمام نفى أن يكون المسند (إمام) هو عين المسند إليه(الكتاب) أوصفةً له، بمعنى آخر أنَّ الإمام نفى أن يكون الكتاب قد أُسندت إليه صفة الإمامة عند تلك الفئة، أو نفى أن يكون المسند هو المسند اليه، أو-كما يعبر- نفى أن يكون هو هو[١٠٤٢]، فالنفي إذن متسلط على الكتاب- وهو المسند إليه- في أن يكون إماماً لتلك الفئة من الناس. وأما مثال ما تصدرت فيه (ليس) إسناداً اسمياً تقدم فيه المسند على المسند إليه- وهذا هو الغالب في خطب النهج- فإنّه يختلف بين أن يكون المسند إليه معرفة كقول الإمام (عليه السلام): ((**إِنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ**))[١٠٤٣]، وبين أن يكون المسند إليه نكرة كقول الإمام(عليه السلام): ((**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ**))[١٠٤٤]، والمهم في نص الإمام هو أن (ليس) قد تسلط نفيها على ما بعدها مباشرة، فسيطر معناها على معنى الجملة كلها.

ودخلت (ليس) في خطب نهج البلاغة على مركب فعلي فعله إما أن يكون على بناء (فَعَلَ) كقول الإمام (عليه السلام) مخاطباً النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي: أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ**))[١٠٤٥]، أو على بناء (يفعل) كقوله (عليه السلام) في ذكر الموت: ((**وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ**))[١٠٤٦]، أو على بناء (فاعل) كقوله (عليه السلام) في توحيد الله تعالى: ((**لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ**))[١٠٤٧]. ويلاحظ في المواضع السابقة أن (النفي) قد بقي متسلطاً على الذي يلي (ليس) مباشرة، ويلاحظ أيضاً أنّ تلك المواضع قد تضمنت دلالة زمانية، وتلك الدلالة لم تستجلبها (ليس) في التركيب وإنّما استجلبتها الأبنية الفعلية التي باشرتها (ليس).

(١٠٤٠) ينظر: نفسه: ٢٨٨.
(١٠٤١) نهج البلاغة (الصالح): ٢٠٥(خ١٤٧).
(١٠٤٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٧٩، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٨٨.
(١٠٤٣) نهج البلاغة(الصالح): ٢٥١(خ١٧٦).
(١٠٤٤) نفسه: ٢٦٧(خ١٨٣).
(١٠٤٥) نفسه:٢٢٠(ك١٥٦).
(١٠٤٦) نفسه: ٢٧٨(خ١٨٨).
(١٠٤٧) نفسه: ٢٧٤(خ١٨٦).

وقد يعمد الإمام في خطبه إلى تقوية النفي بـ(ليس) وتوكيده وذلك بإدخال الأداتين (الباء) و(مِن) على الخبر المنفي[١٠٤٨]، أو بإدخال(مِن) على المخبر عنه المتأخر النكرة[١٠٤٩].

ب- جمل الشرط:

(الشرط) أسلوب من أساليب اللغة يقصد منشئه من خلاله إظهار معنى من المعاني النحوية التي يتوخى إيصالها إلى الآخرين، ويعتمد(الشرط) أساساً على فكرة التعليق، ولذلك يوصف بأنّه "أحد أساليب نظم الجملة، يقوم على تعليق عبارتين غالباً ما تكون الأولى سبباً للثانية، أو مرتبطة بها على معنى من المعاني"[١٠٥٠]، فجملة الشرط إذن قائمة على ركنين أساسيين يتعلق أحدهما بالآخر، فالأول منهما ركن معلق عليه، والآخر منهما ركن معلق على الأول. وقد اختلف النحاة القدامى في تسمية ركني جملة الشرط[١٠٥١]، ومن ثم اختلف المحدثون أيضاً في تسمية ذينك الركنين[١٠٥٢]، والذي يُطمأن إليه من ذلك كله هو ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني الذي عنده أن (الشرط) هو مجموع ركنيه، لذلك قال: "الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدةٍ منهما على الإنفراد ولا في واحدة منهما دون الأخرى"[١٠٥٣]، وما تابع به الدكتور مهدي المخزومي الجرجانيَّ، إذ عدَّ المخزومي (الشرط) مجموع عبارتين(الشرط) و(الجزاء) لأنّهما- في رأيه- "يعبران معاً عن فكرة واحدة"[١٠٥٤]، وذلك هو ما يحتاجه التركيب حتى يكون جملةً. ولا يتحقق التعليق بين عبارتي(الشرط) إلا بوجود أداة تقوم بتلك الوظيفة، فللشرط إذن ثلاثة أركان، هي الأداة (أداة الشرط) و(عبارة الشرط) و(عبارة الجواب أو الجزاء)[١٠٥٥]، و"أما النظم المعبر عن فكرة التعليق بتمامها فهو ما نصطلح عليه بـ(الجملة الشرطية)"[١٠٥٦]، والأدوات التي جاءت في(خطب نهج البلاغة) لتعبر عن(الجملة الشرطية) هي:

١. إنْ:

نسب سيبويه إلى الخليل بن أحمد أن الأخير قد زعم "أنّ إنْ هي أُمُّ حروف الجزاء"[١٠٥٧]، فـ(إنْ) لها الصدارة -عند الخليل- من بين حروف الجزاء الأخرى في الدلالة على الجزاء(الشرط)، وعدّ المبرد في مقتضبه (إنْ) أصل الجزاء[١٠٥٨]، ولا يختلف الحال

(١٠٤٨) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٧٠(خ١١٤)، ٢٧٥(خ١٨٥)، ٣٠٦(خ١٩٣)، ٢٢٠(ك١٥٦).
(١٠٤٩) ينظر: نفسه: ٣٥٢(خ١٧٦).
(١٠٥٠) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٥١.
(١٠٥١) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٣/٣، معاني القرآن: ٦١/٣، المقتضب: ٦٦/٢، المقرب: ٣٠١، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٢٢/١، شرح ابن عقيل: ٣٧٠/٢، الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٦٤- ٣٦٥.
(١٠٥٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٨٥، الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية: ٨٤، معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٩١م: ٤/ ٤٣٤، التطور النحوي للغة العربية: ١٩٦، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٥١-٣٥٢.
(١٠٥٣) دلائل الإعجاز: ٢٤٦.
(١٠٥٤) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٨٦.
(١٠٥٥) ينظر: نفسه: ٢٨٤، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٥٣.
(١٠٥٦) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٥٣.
(١٠٥٧) كتاب سيبويه: ٦٣/٣، وينظر: ١٣٤/١.
(١٠٥٨) ينظر: المقتضب: ٤٩/٢.

عند غير من ذكروا في إعطاء ذلك الحرف تلك الدلالة[١٠٥٩]. وقد قيدت دلالة (إن) على معنى (الشرط) عند قسم من اللغويين بنوع معين من ذلك المعنى، وذلك هو الشرط غير المقطوع بوقوعه، أو الشرط المقطوع بوقوعه، لكنها في الحالة الأخيرة تخرج لأغراض يقتضيها المقام[١٠٦٠]، وذلك هو الصواب لأن عليه جاءت (إن) في خطب نهج البلاغة، فورد نوعاها فيها.

أما ما جاءت فيه (إنْ) من المواضع لتدل على شرط غير مقطوع بوقوعه فهو قول الإمام(عليه السلام): ((**فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ، إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ**))[١٠٦١]، فعبارتا جملة الشرط (أسررتم) و(أعلنتم) غير مقطوع بتحقق معناهما، ذلك لأنّ الله تعالى عالم بالحال في الإسرار والإعلان، وليس أدل على عدم القطع بتحقق الفعلين(أسر) و(أعلن) من عطف أحدهما على الأخر، وهما فعلان متقابلان دلالياً.

وأما ما جاء في خطب النهج من(إنْ) دالة على شرط مقطوع بوقوعه ولكنه خارجٌ لغرضٍ، وذلك الغرض هو إنزال المخاطب منزلة الجاهل بأمرٍ ما، فهو قول الإمام(عليه السلام) للخليفة عمر بن الخطاب: ((**إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ**))[١٠٦٢]، فنظر الأعاجم إلى عمر مقطوع بوقوعه، ولكن الإمام قصد إنزال عمر منزلة الجاهل بذلك الأمر، لذلك أنزل الشرط معه منزلة غير المقطوع بوقوعه. وقد يكون الشرط مع(إنْ) مقطوعاً بوقوعه غير أنّه خرج لغرض التوبيخ على الشرط[١٠٦٣]، ومن ذلك مثلاً قول الإمام(عليه السلام): ((**عِبَادَ اللَّهِ أُوصِيكُمْ بِالزَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا**))[١٠٦٤]، فعدم حب ترك الدنيا، وحب تجديدها مقطوع بوقوعهما، ولكن الإمام لمّا قصد توبيخ مخاطبيه أنزل ذينك الأمرين منزلة غير المقطوع بوقعهما، أي أوقعهما في سياق(عبارة الشرط) التي هي في الحقيقية ما يعلق عليه معنى جملة(الشرط).

وذهب بعض اللغويين إلى حصر دلالة(إنْ) من حيث الزمان على المستقبل، وبالأخص عندما تدخل على الأفعال الماضية[١٠٦٥]، وهذا ما يخالف واقع(إنْ) في تلك الدلالة، ذلك لأنّ

(١٠٥٩) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٤٣٩، شرح الرضي على الكافية: ٨٥/٤، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب: ٢٢/١، شرح ابن عقيل: ٢/ ٣٦٤- ٣٦٥، في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٩٠، دراسات في الأدوات النحوية: ١٦٣، الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية: ٨٤، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٥٥.

(١٠٦٠) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني ، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م: ١٧٨/١، ١٨٠- ١٨٢.

(١٠٦١) نهج البلاغة(الصالح): ٢٦٦(خ١٨٣).

(١٠٦٢) نهج البلاغة(الصالح): ٢٠٣(ك١٤٦).

(١٠٦٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٨٠/١.

(١٠٦٤) نهج البلاغة(الصالح): ١٤٤(خ٩٩).

(١٠٦٥) ينظر: مشكل إعراب القرآن: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، دراسة وتحقيق: حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الأعلام في الجمهورية العراقية، ١٩٧٥م: ١/ ١٠٧- ١٠٨.

دلالة(إنْ) الزمانية يحددها السياق الذي ترد فيه، فهي قد تدل على الزمن الحاضر كما في قول الإمام(عليه السلام): ((**وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ**))[١٠٦٦]، فالظرف (اليوم) دل على زمن ما دخلت عليه (إنْ) وهو الحاضر. أو قد تدل(إنْ) على الزمن المطلق الذي لا تحده مرحلة بعينها، ومثال ذلك في خطب النهج قول الإمام(عليه السلام): ((**فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَ عَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ**))[١٠٦٧]، فدلالة التركيبين(إن كان... مضى) و(إن كان... وقف) زمانياً دلالة عامة، لأنّها وردت في سياق يصلح لكل زمان وأوان.

٢. إذا:

يسعى المتكلم أحياناً إلى إدخال الأداة(إذا) في كلامه لإحداث نوع من الربط بين (عبارة الشرط) و (عبارة الجواب)، ذلك لأنّ(إذا) "أداة تدل على الشرط غير منظور إليها ظرفاً خافضاً لشرطه منصوباً بجوابه، فذلك ما لا يتطلبه الكلام، وكل ما يريد المتكلم إلى التعبير عنه بإذا أن يعلق شيئاً على شيء"[١٠٦٨]، أما نوع الشرط الذي تدل عليه(إذا) فقد حدده الخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ) بقوله: "والأصل في(إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه"[١٠٦٩]. وهي كذلك في دلالتها على ذلك النوع من الشرط في خطب نهج البلاغة.

فقد جاءت(إذا) في مواضع كثيرة من خطب النهج ، وكل تلك المواضع تدل على شرط مقطوع وقوعه، أي أنّ(عبارة الجواب) في جملة الشرط متحقق وقوعها إذا تحقق وقوع(عبارة الشرط)، ولعل في ذلك ما يفسر مجيء الفعل في(عبارة الشرط) في خطب النهج على البناء(فعل) ليعني تحقق المعنى النحوي المراد من الجملة، ومثال ذلك في تلك الخطب قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ**))[١٠٧٠]، فالشبه واقعة لوقوع إقبال الفتن، والتنبيه واقع أيضاً لوقوع إدبار تلك الفتن.

وأما دلالة(إذا) الزمانية فإنّها في الأغلب في خطب النهج- كما في غيرها- أن تكون للمستقبل من الزمان، غير أنّها قد تأتي في سياق دال على الزمن الماضي فتكون حينئذٍ دالة على تحقق ركنيها في ذلك الزمن، ومثال ذلك قول الإمام (عليه السلام): ((**لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ... إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ**))[١٠٧١]، فالموضع يصف حالاً سابقةً، لذلك جاءت (إذا) لتدل على معناها في ذلك الزمان. وقد تأتي(إذا) في سياق يدل على زمان عام، فتكون دلالتها حينئذٍ منصرفة إلى الزمان المطلق، ومما جاء في خطب النهج على هذا النمط من (إذا) قول الإمام(عليه السلام) في وصف الله تعالى: ((**هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا**

(١٠٦٦) نهج البلاغة(الصالح): ٢٠٣(ك١٤٦).
(١٠٦٧) نهج البلاغة(الصالح): ٢١٦(خ١٥٤).
(١٠٦٨) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢١٩.
(١٠٦٩) الإيضاح في علو البلاغة:١٧٨/١، وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٦٧، الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية: ٦٩.
(١٠٧٠) نهج البلاغة(الصالح): ١٣٧(خ٩٣).
(١٠٧١) نهج البلاغة(الصالح): ١٤٣(خ٩٧).

ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ... رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ))[١٠٧٢]، فلا يمكن- في هذا الموضع- أن تحدد دلالة(إذا) بزمن دون آخر، وإنّما هي تصلح للأزمنة جميعاً، لأن السياق يحتم ذلك.

٣. لو:

قال سيبويه في الأداة (لو): "وأمّا (لو) فَلِمَا كان سيقع لوقوع غيره"[١٠٧٣]، وقال أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك(ت٦٧٢) - في ما نُسب إليه- في الأداة نفسها: بأنها "حرف يدل على انتفاء تالٍ، ويلزم لثبوته ثبوت تاليه"[١٠٧٤]، وقد اختار ابن هشام في مغنيه القولين السابقين، وعدّهما كليهما عبارة جيدة، لكنه استدرك بعد ذلك فوجد في قول ابن مالك نقصاً، وأن (أجود العبارات) عنده هو أن (لو) "حرف يقتضي في الماضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه"[١٠٧٥]، والقول الأخير عند تأمله يتضح أنه مستوحى من قول سيبويه، إذ لا فرق بين الاثنين في ما تفيده (لو) من معنى، وهذا هو الراجح في دلالتها لا ما ذهب إليه بعض اللغويين في أنها حرف امتناع لامتناع[١٠٧٦]، ولذا فإن (لو) "أداة شرط فيما لا يتوقع حدوثه، وفيما يمتنع تحققه، أو فيما هو محال، أو من قبيل المحال"[١٠٧٧]. وذُهِبَ إلى القول بأن الأداة (لو) - حسب ما تدل عليه من معنى- على نوعين: امتناعية وغير امتناعية، أما الأولى منهما فتقتضي الشرطية، وتقيد شرطيتها بالزمن الماضي والامتناع، في حين لا تقتضي الأخرى التقيد بالزمن الماضي، وكذلك لا تقتضي امتناع شرطها[١٠٧٨]. وهذا وإن كان صحيحاً في بعض وجوهه غير أن تتبع (لو) في خطب نهج البلاغة يثبت غيره في الوجوه الأخرى.

فـ(لو) وإن جاءت (امتناعية) في خطب النهج كما في قول الإمام (عليه السلام): ((**انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ**))[١٠٧٩]، و(غير امتناعية) في قوله (عليه السلام): ((**أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ بِانْقِضَاءٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا... فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمُقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ**))[١٠٨٠]، فإن ذلك لا يعني عدم مجيء (لو) في تلك الخطب على غير ما ذُكر لها. فقد تكون (لو) (امتناعية) لكنها لا تتقيد بالماضي من الزمان، وإنّما قد تكون ذات دلالة مطلقة إذا وردت في سياق يدل على ذلك، ومثال هذا النوع من (لو) قول الإمام (عليه السلام) في وصف الله تعالى: ((**وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ، وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ، مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ**))[١٠٨١]، أو قد تكون(لو) ذات دلالة على المستقبل من الزمان، وذلك إذا جاءت في سياق دالٍ على ذلك، ومثالها في خطب النهج قول الإمام(عليه السلام): ((**وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَحَمِيَ الضِّرَابُ، قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا**))[١٠٨٢], فالحديث في هذا الموضع حديث على المستقبل من الزمان، لذا فمن الطبيعي أن تصرف دلالة (لو) على معناها إلى ذلك الزمان. فالسياق وحده هو الذي حدد لـ(لو) دلالتها النحوية (التركيبية), أو على الأقل حدد الزمان الذي تحقق فيه(لو) تلك الدلالة.

(١٠٧٢) نفسه: ١٢٥(خ٩١).
(١٠٧٣) كتاب سيبويه: ٢٢٤/٤.
(١٠٧٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٥٩/١.
(١٠٧٥) نفسه:٢٥٩/١.
(١٠٧٦) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٧٥/١، ١٣٠/٢, ٤٤٤/٤، ٤٥١، الإيضاح في علوم البلاغة: ١٨٥/١-١٨٦، شرح ابن عقيل: ٣٨٥/٢، معاني النحو: ٤٦٨/٤.
(١٠٧٧) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٩١.
(١٠٧٨) ينظر: النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م: ٤٩٥/٤، الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية: ١١٤.
(١٠٧٩) نهج البلاغة(الصالح): ٥٢(خ٥).
(١٠٨٠) نفسه: ٨٩(خ٥).
(١٠٨١) نفسه: ١٢٤(خ٩١).
(١٠٨٢) نهج البلاغة(الصالح): ١٤٢(خ٩٧).

٤. لولا:

تدخل(لا) على(لو) فتغير ما تدل عليه الأخيرة من معنى، ذلك لأنّ "لولا إنّما هي(لو) و(لا)، جعلتا شيئاً واحداً"[١٠٨٣]، فالأداتان إذن أداة واحدة لها معنىً تدل عليه وهو امتناع الشيء لوجود غيره، "أي: يمتنع جوابها لوجود شرطها"[١٠٨٤]، وإذا كان ذلك هو المعنى الذي تدل عليه (لولا) فإنّ وظيفتها في (جملة الشرط) وظيفة محددة "لأنّها تستعمل في حالات ثبوت عبارة الشرط والقطع بتحققها"[١٠٨٥].

وجاءت(لولا) في مواضع متعددة من خطب نهج البلاغة لتفيد معنى امتناع عبارة الجواب لوجود عبارة الشرط، ومثال ذلك قول الإمام (عليه السلام): ((**لَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ**))[١٠٨٦]، فالإمام لم يكن من أدهى الناس، وذلك لوجود كراهية الغدر عنده.

وما يجدر ذكره أنّ (لولا) لم ينظر إليها من حيث الدلالة الزمنية، ذلك لأنّها تأتي في سياقات تصلح فيها لأزمنة مختلفة، ومن ذلك يعرف مجيؤها في سياقات عامة تعرض لمفاهيم أكثر شمولاً من غيرها، ودليل ذلك ما جاءت فيه(لولا) في النص السابق من كلام الإمام، أو في المواضع الأخرى التي جاءت فيها(لولا) من خطب نهج البلاغة[١٠٨٧].

٥. ما:

إذا كانت الأحرف الأربعة السابقة أدوات دلت على معنى(الشرط) أصالة، فإنّ للشرط أدوات أخرى تدل عليه، ولكن دلالتها عليه ليست بالأصالة، وإنّما هي كنايات تعبر عن معناه. وتختلف تلك الكنايات تبعاً للمعنى الذي تعبر عنه، ومن بين ما تعبر عنه من معانٍ الدلالة على غير العاقل، والأداة التي تفيد تلك الدلالة هي (ما) لذلك فإن (ما) هي "كناية عن غير العاقل، وترد في الجملة الشرطية لتؤدي وظيفة الربط والتعليق"[١٠٨٨]، فوظيفة(ما) هي أن تجعل الجملة الشرطية دالة على معنى نحوي, وذلك المعنى هو(الشرط).

ولم يستعمل الإمام(عليه السلام)(ما) الشرطية في مواضع كثيرة من خطبه، بل إنّه لم يدخلها إلا نوع واحد من الأفعال، وهي التي جاءت على بناء(فعل)، ومثال ذلك قوله(عليه السلام): ((**مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ**))[١٠٨٩]، والملاحظ أنّ الزمان في قول الإمام قد دلت عليه قرائن مقالية زمانية، وهذا ما يحدد دلالة(الشرط) الزمانية في الجملتين بتلك القرائن. أما دلالة(الشرط) في الموضعين الآخرين اللذين أورد فيهما الإمام الأداة (ما) فقد كانت ماضية لأنها وردت في سياقين يدلان على ذلك[١٠٩٠].

٦. مَن:

تؤدي الأداة (مَن) وظيفة الربط والتعليق في الجملة الشرطية، وهي- والحال كذلك- كناية عن العاقل، أي أنّها تدل على ذي العقل من الأشياء[١٠٩١]. ولا يتقيد الزمان الذي ترد فيه(مَن) بمرحلة زمانية معينة لتدل فيها على ذلك المعنى، وإنّما يحدد تلك المرحلة النظم الذي تأتي(مَن) في سياقه.

(١٠٨٣) المقتضب: ٧٦/٣.
(١٠٨٤) الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية: ١١٩.
(١٠٨٥) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٥٩.
(١٠٨٦) نهج البلاغة(الصالح): ٣١٨(ك٢٠٠).
(١٠٨٧) ينظر: نفسه: ٥٠(خ٣)، ١٨٧(ك١١٩)، ٢٦١(خ١٨٢)، ٣٥٥(ك٢٣٥).
(١٠٨٨) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٥٩.
(١٠٨٩) نهج البلاغة(الصالح): ١٧١(خ١١٤).
(١٠٩٠) ينظر: نفسه: ٣١٠(خ١٩٦).
(١٠٩١) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٩٢، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٦١.

فقد تأتي(مَن) في خطب نهج البلاغة دالة على معنى(الشرط) في الزمان العام، وهذا هو الأكثر في ورودها، سواء أدخلت على بناء (فعل) كقول الإمام (عليه السلام): ((**مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ**))[١٠٩٢]، أم على بناء(يفعل) كقوله (عليه السلام): ((**مَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ... وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ**))[١٠٩٣]، وهذا النمط من الشرط هو الذي تطرح من خلاله قضايا ثابتة ومفاهيم عامة تصلح للتداول في كل زمان، وهذا ما يفسر شيوعه - من بين أنواع الشرط- في اللغة عامة، وفي خطب نهج البلاغة خاصة.

وقد تأتي(مَنْ) في سياق يدل على تحقق معناها في الزمن المستقبل، وهذه الدلالة قد تدل عليها قرينة مقالية ترد في السياق كقول الإمام (عليه السلام): ((**وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ**))[١٠٩٤]، فـ(يوم القيامة) قرينة مستقبلية أفادت تحقق(الشرط) في ظرفها. أو قد تدل على تلك الدلالة قرينة حالية تفهم من السياق كقول الإمام (عليه السلام) في فتن آخر الزمان: ((**مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ**))[١٠٩٥]، فالحال الذي يصفه الإمام حال زمان آتٍ، لذلك فإنّ معنى (الشرط) متحقق فيه.

٧. أيّ:

الأداة (أيّ) وإن كانت في بعض أوجهها إحدى أدوات(الشرط)[١٠٩٦] غير أنّها تنماز عن الأدوات الباقية بأنّها:

١- تلازم الإضافة معنىً.

٢- لا تملك في نفسها معنىً محدداً، وإنّما يتأتى معناها مما تضاف إليه، أي أنّ دلالتها مكتسبة من المضاف إليه[١٠٩٧]، فقد تضاف إلى عاقل أو غيره، أو زمان أو مكان لتدل على كل واحدٍ من تلك المعاني، وأمّا الغرض الذي تفيده(أيّ) في دلالتها على معنى الشرط فهو(الترجيح)[١٠٩٨].

ولم ترد(أيّ) في خطب نهج البلاغة مؤديةً وظيفةَ الربط والتعليق، وكناية عما أضيفت إليه إلا في موضعين فقط، موضع كانت فيه(أيّ) كناية عن العاقل، وذلك في قول الإمام (عليه السلام) لأصحابه: ((**وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ... فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ**))[١٠٩٩]، وموضع كانت فيه(أيّ) كناية عن غير العاقل، ذلك في قوله (عليه السلام) واصفاً حال أهل القبور: ((**أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً**))[١١٠٠]، فـ(أي) كنَّت عن عاقل في الموضع الأوّل، وعن غير العاقل في الموضع الآخر، والغرض منها في الموضعين هو(الترجيح).

٨. أينما:

(١٠٩٢) نهج البلاغة(الصالح): ٥٨(خ١٦).
(١٠٩٣) نفسه: ٦٥(خ٢٣).
(١٠٩٤) نفسه: ٣٥٢(خ١٧٦).
(١٠٩٥) نفسه: ٢١٠(خ١٥١).
(١٠٩٦) ينظر: كتاب سيبويه: ٣٦/١، ٣، ٥٦، المقتضب: ٢١٧/٤، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٧٧/١، شرح ابن عقيل: ٦٥/٢، في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٩٣، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٦٢.
(١٠٩٧) ينظر: معاني النحو: ٤/ ٤٦١، الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية: ٩٢، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٦٢.
(١٠٩٨) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ١٤١- ١٤٢.
(١٠٩٩) نهج البلاغة(الصالح): ١٧٩(ك١٢٣).
(١١٠٠) نفسه: ٣٣٨(ك٢٢١).

لم يذكر بعض النحاة القدماء(أينما) على هذه الصورة دالةً على معنى(الشرط)، وإنّما ذكروها بصورة منفردة عن (ما) وأعطوها الدلالة نفسها، وإن كان تمثيلهم لها على الصورتين كلتيهما[١١٠١]، ولكن ذلك لا يعني أنّ بعضاً آخر من النحاة لم يذكروا (أينما) على هذه الصورة تنظيراً وتمثيلاً[١١٠٢]، والواقع أنّ الأصل في(أينما) هو(أين) أضيفت إليها (ما) لغرض إحداث تغيير في معناها، وذلك التغيير يطرأ عليها من جانبين معنويين- بالإضافة إلى جانب الشكل- والجانبان هما:

١- جعلها "خالصة للشرط ومتضمنة الدلالة على التعميم المكاني"[١١٠٣].

٢- زيادة ما تدل عليه (أين) من إبهام وعموم[١١٠٤].

فـ(أينما) إذن كناية عن مكان يكتنفه العموم والشمول لذلك كان مبهماً.

ولم ترد(أينما) إلا في موضع واحد من خطب نهج البلاغة، والموضع هو قول الإمام (عليه السلام) في وصف حال أصحابه ومشايعيه من بعده: ((**افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ**))[١١٠٥]، فالمقام يتطلب عكس حالتي التفرق والتشتت على غير هدى، فكانت(أينما)-بدلالتها- أكثر تعبيراً عن ذلك المعنى لما تتضمنه تلك الدلالة من شمول وإبهام يجعلان ما تدل عليه تلك الأداة من مكان مبهماً.

٩. حيثما:

نفى سيبويه أن يكون حكم (حيثما) قبل أن تدخل (ما) عليها جائزاً لها بعد دخولها عليها، فـ(حيثما) عنده بمنزلة (إنْ) الشرطية وما أشبهها[١١٠٦]، ولا يختلف الحال عند المبرد في لزوم دخول (ما) على (حيث) حتى تدل على معنى(الشرط)[١١٠٧]، ولم يذهب الرضي في شرحه على الكافية إلى ما ذهب إليه سابقاه من شرط دخول(ما) على (حيث) للدلالة على (الشرط)، فعند الرضي أن (حيثما) دالة على ذلك المعنى سواء أكسعت بـ(ما) أم لم تكسع[١١٠٨]، والصواب الأول، وهو ما اختاره بعده ابن هشام في(مغني اللبيب)، وبهاء الدين عبد الله بن عقيل(ت٧٦٩) في (شرح ألفية ابن مالك)[١١٠٩]، وقد أفادت(حيثما) ذلك المعنى لأنّها تؤدي "وظيفة الربط والتعليق في الجملة الشرطية، وتتضمن غالباً دلالة مكانية مبهمة أو تعميماً مكانياً"[١١١٠]، أي أنّها تقوم بما يتطلبه(الشرط)، وتكون في الأكثر كناية عن مكان، وفي الأقل كناية عن زمان.

ولم تأت(حيثما) في خطب نهج البلاغة على الأقل من استعمالها، وإنّما جاءت على الأكثر منه، فقد كُنِّي بها في خطب النهج عن المكان، وذلك في موضعين، والموضعان هما قول الإمام (عليه السلام) في صنف من الناس: ((**قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ... فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ إِلَيْهَا**))[١١١١]، وأما الدلالة الزمنية التي أفادتها جملتا(حيثما) في هذين الموضعين فهي المستقبل.

١٠. كلّما:

(١١٠١) ينظر: كتاب سيبويه: ٥٦/٣، ٥٨، المقتضب: ٤٥/٢، ٤٦-٤٧.
(١١٠٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : ١٤٢، شرح ابن عقيل: ٣٦٧/٢.
(١١٠٣) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٦٣.
(١١٠٤) ينظر: معاني النحو: ٣٦٢/٤.
(١١٠٥) نهج البلاغة(الصالح): ٢٤٠-٢٤١(خ١٦٦).
(١١٠٦) ينظر: كتاب سيبويه: ٥٨/٣-٥٩.
(١١٠٧) ينظر: المقتضب: ٤٧/٢.
(١١٠٨) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤٦١/١، ٣/ ١٩٧-١٩٨.
(١١٠٩) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١٣٣/١، شرح ابن عقيل: ٣٦٨/٢.
(١١١٠) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النحو: ٣٦٣.
(١١١١) نهج البلاغة الصالح: ١٦٠(خ١٠٩).

أَلْحَقَ الرضي الاستراباذي الأداة (كلّما) بأدوات الشرط الأُخر، وذكر مُشابَهَتَها لها من حيث الدلالة على معنى العموم والاستغراق، ومن حيث إفادتها الزمن الذي يقتضيه المقام، ومن حيث نوع الشرط الذي تستعمل فيه، فـ(كلّما) عند الرضي أما أن تكون في الشرط المقطوع بوقوعه، أو في الشرط غير المقطوع بحصوله[١١١٢]، فـ(كلّما) إذن تأتي مع نوعين من الشرط، وكل ما قاله الرضي في دلالة تلك الأداة صحيح، غير أن ما ينقصه هو الإشارة إلى ما تتضمنه (كلما) من دلالة على معنى(التكرار)، وهذا ما أشير إليه حديثاً[١١١٣].

وقد أورد الإمام في خطبه الأداة (كلّما) في مواضع متعددة، وقد كان لها دلالات مختلفة تبعاً لنوع الشرط الذي ترد فيه، فقد تكون دالة على شرط مقطوع بوقوعه دالٍ على زمان عام، ومثال ذلك قول الإمام (عليه السلام): ((**كُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ**))[١١١٤]، أو قد تدل(كلّما) على شرط غير مقطوع بوقوعه، دالٍ زماناً على المستقبل، ومن ذلك مثلاً قول الإمام (عليه السلام) في ذمِّ أصحابه: ((**كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ**))[١١١٥], فالشرط- بعبارتيه- محتمل الحدوث في هذا الموضع، ذلك لأنه قد يقع وقد لا يقع. أو قد تدل (كلّما) على شرط غير منظور فيه إلى نوعه من حيث القطع بوقوعه أو عدمه، وإنّما كان التعويل فيه على معنى (التكرار) الذي تفيده الأداة (كلّما)، ومما جاء من ذلك في خطب النهج قول الإمام لمن أنبأه بهلاك الخوارج بأجمعهم، فأجابه (عليه السلام): ((**كَلَّا وَاللَّهِ: إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ**))[١١١٦]، وأما الزمان الذي أفاده الشرط بـ(كلّما) في هذا الموضع فهو الاستقبال. وقد تكون(كلّما) في خطب نهج البلاغة دالةً على ذلك المعنى غير أن الزمان الذي تفيده جملتها (جملة الشرط) هو الزمان العام[١١١٧].

١١. بينما:

قد لا يكون مصرحاً بشكل مباشر بدلالة (بينما) على معنى(الشرط) غير أن ذلك لا يعني عدم وجود تلميح إلى ذلك في كتب النحو، فقد أشار الزمخشري في مفصله إلى تلك الدلالة في أثناء عرضه لموضوع حذف (إذ) و(إذا) الفجائيتين من جواب(بينا) و(بينما)[١١١٨]، وزاد ابن يعيش في (شرح المفصل) من توضيح مراد صاحب (المفصل) فذكر أنّه "قد تغني (إذا) إذا كانت للمفاجأة عن الفاء في جواب الشرط"[١١١٩]، فـ(إذا) –عنده- قد تأتي في جواب الشرط، أي في جواب(بينما) أو(بينا) اللتين للشرط. ولم يكتف ابن يعيش بالتلميح إلى دلالة(بينما) على(الشرط) وإنّما أشار إلى نوع(الشرط) الذي تدل عليه تلك الأداة، فهو يعدها مما له دلالة على الزمان[١١٢٠]. وقارب الرضي الاستراباذي ابنَ يعيش في الإشارة إلى دلالة(بينما) وزمانيتها[١١٢١]، لذلك فإن (بينما) أداة من الأدوات التي تؤدي وظيفة الربط والتعليق في الجملة الشرطية، وتكون كناية عن الزمان، وقد يتفرع من(بينما) الأداة (بينا) لتؤدي الدلالة نفسها.

وجاءت(بينما) في موضعين فقط من خطب نهج البلاغة، منهما قول الإمام (عليه السلام) واصفاً صنفاً من الناس: ((**فَبَيْنَمَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ**))[١١٢٢]، وجاءت(بينا) في موضع واحد من خطب النهج، وهو قول الإمام(عليه السلام) ذاكراً الخلافة والخلفاء: ((**فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ! إِذْ صَيَّرَهَا لِآخَرَ**

([١١١٢]) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٩٧/٣.
([١١١٣]) ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النحو:٣٦٥.
([١١١٤]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٩٢(خ١٩٢).
([١١١٥]) نفسه: ٩٩(ك٦٨).
([١١١٦]) نفسه: ٩٣(قو٦٠).
([١١١٧]) ينظر: نفسه: ٧٨(خ٣٤).
([١١١٨]) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٢١٤.
([١١١٩]) شرح المفصل: ٩٩/٤.
([١١٢٠]) ينظر: شرح المفصل: ٤/ ٩٩.
([١١٢١]) ينظر: شرح الرضي على الشافية: ٣/ ١٩٥- ١٩٦.
([١١٢٢]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٤١(ك١٢١).

بَعْدَ وَفَاتِهِ))[١١٢٣]، وأما الزمن الذي حققت فيه(بينما) و(بينا) دلالتهما النحوية فقد كان عاماً في الموضع الأوّل، وماضياً في الموضع الآخر.

١٢. متى:

يُجمع اللغويون على أنّ (متى) تحقق- في بعض استعمالاتها- معنى(الشرط)[١١٢٤]، غير أنهم يتفاوتون في ذكر خصائص دلالية تنماز بها (متى) عن غيرها من أدوات الشرط، فـ(متى) تكون للوقت المبهم[١١٢٥]، وكذلك تكون لنوع من (الشرط) يحتمل الوقوع وعدمه[١١٢٦]، أي أنّ (الشرط) بـ(متى) غير مقطوع بوقوعه، وتكون(متى) أيضاً دالة على معنى(الشرط) سواء أضيفت إليها (ما) أم لم تضف[١١٢٧]. والواقع أنّ (متى) وإن كانت تمتلك تلك الخصائص غير أنّ زمنها ليس مبهماً بشكل مطلق، وإنّما هي للمستقبل المبهم على وجه التحديد، وتلك الدلالة قد استمدتها (متى) من طبيعة(الجملة الشرطية) التي تجئ (متى) في سياقها، لذلك كله فإنّ (متى) كناية عن زمان مستقبلي مبهم، "وتؤدي في الجملة الشرطية وظيفة الربط والتعليق فضلاً عن دلالتها الزمانية"[١١٢٨]، ونوع(الشرط) الذي تفيده (متى) هو شرط مترجَّح الوقوع.

ولم ترد(متى) الشرطية إلا في موضع واحد من خطب نهج البلاغة، وهو قول الإمام(عليه السلام) لعمر بن الخطاب لما شاوره في الخروج إلى غزو الروم فرد الإمام: ((**إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتُلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ، لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ**))[١١٢٩]، فالزمن الذي أفادته(متى) هو المستقبل الذي قد يكون قريباً، وقد يكون بعيداً، لذلك هو مبهم، و(الشرط) قد يحقق، وقد لا يتحقق لذلك هو مترجح الوقوع، و(متى) قد جاءت دون(ما) ودلت على معنى تركيبي(نحوي), وذلك المعنى هو(الشرط).

ج- جمل التوكيد:

([١١٢٣]) نفسه: ٤٨(خ٣).
([١١٢٤]) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٥٦، ٧٨- ٧٩، المقتضب: ٢/ ٤٨، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ١٧٤، في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٩٣، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة: ٨٤، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٦٤.
([١١٢٥]) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٢١٦.
([١١٢٦]) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٨٦/٣، معاني النحو: ٢٦٥/٤.
([١١٢٧]) ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٦٤.
([١١٢٨]) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٦٤.
([١١٢٩]) نهج البلاغة(الصالح): ١٩٣(ك١٣٤).

لم يُحد (أسلوب التوكيد) لدى النحاة العرب القدماء بتعريف جامع مانع يبين مفهومه ويحدد معالمه، غير أن ما ورد عنهم في ما يخصّ غرض(التوكيد) يمكن أن يكشف عن فهمهم وتصورهم لذلك الأسلوب التعبيري، فقد ذكر الزمخشري في(المفصل) أنّ "جدوى التأكيد أنك إذا كررت فقد كررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه وأمطت شبهة ربما خالجته أو توهمت غفلة وذهاباً عما أنت بصدده فأزلته"[١١٣٠]، فالزمخشري قد وقف – في كلامه السابق- عند نوع واحد من أنواع (التوكيد)، وهو (التوكيد) بالتكرار، وعرض من خلاله الغرض من ذلك الأسلوب بشكل عام، ولا يخفى أنّ ذلك العرض قد أعطى بعضاً من سمات (التوكيد) بوصفه أسلوباً يحقق غرضاً يتوخى منشئه إيصاله إلى الآخرين، ومعنىً يسعى صاحبه إلى الدلالة عليه. ولا يختلف الحال عن غير الزمخشري في عرضه لـ(أسلوب التوكيد)[١١٣١]، لذلك فإنّ (التوكيد) يمكن تعريفه من خلال ما عُرض بأنّه "تثبيت الشيء في النفس، وتقوية أمره. والغرض منه إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك، وإماطة ما خالجه من شبهات"[١١٣٢]، فـ(التوكيد) هو أحد الأساليب العربية التي يُعبر من خلالها عن معنى نحوي(تركيبي) تدل عليه طرائق مختلفة، وطرائق الدلالة على ذلك المعنى في خطب نهج البلاغة هي:

١- التوكيد بالأدوات:

الأدوات التي أفادت (التوكيد) في خطب نهج البلاغة هي:

أ. إنَّ:

الأغلب في(إنَّ) أن تكون دالة على(التوكيد)، لذلك فهي "أداة وضعت لتؤدي معنى التوكيد، وتهيمن بمعناها هذا على الفكرة التي تبنى على الإسناد"[١١٣٣]. وقد استخدمت (إنَّ) في خطب نهج البلاغة استخدامات مختلفة، وكان (التوكيد) الذي دلت عليه مفيداً أغراضاً متعددة.

فقد تكون (إنَّ) التوكيدية في خطب النهج لوصل الكلام السابق لها بالكلام اللاحق، فتكون حينئذٍ أداة للربط، ومثال ذلك قول الإمام(عليه السلام): ((**أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ... مَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ! هَيْهَاتَ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ**))[١١٣٤]، فـ(إنَّ) قد وصلت بين قدرة الله تعالى وعجز المخلوق عن وصف تلك القدرة، ولو حذفت(إنَّ) لكان هناك انقطاع بين الاثنين. وقد تكون(إنَّ) لتوكيد أمر اعتقد الناس خلافه، ومثال ذلك في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ**))[١١٣٥]، إذ إنّ في الغالب أن يعتقد الناس خلاف ذلك، ويظنوا أنّ المنهيّ عنه والمحرم أوسع وأكثر من سواهما، ودليل إرادة ذلك المعنى أنّ الإمام (عليه السلام) قد أمر مخاطبيه بعد ذلك المقطع من خطبته بقوله: ((**فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ**))[١١٣٦].

(١١٣٠) المفصل في صنعة الإعراب: ١٤٦.
(١١٣١) ينظر: شرح المفصل: ٣/ ٤٠-٤١، المقرب: ٢٦١، شرح ابن عقيل: ٢٠٦/٢.
(١١٣٢) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٣٤، وينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٩٣.
(١١٣٣) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٤٠٩.
(١١٣٤) نهج البلاغة(الصالح): ٢٣٣-٢٣٤(خ١٦٣).
(١١٣٥) نفسه: ١٧٠- ١٧١(خ١١٤).
(١١٣٦) نفسه: ١٧١(خ١١٤).

ب. النون:

تأتي(النون) لتؤكد حدث الفعل الذي تدخل عليه، لذلك فإنّ تلك الأداة هي مما يختص بالأفعال[١١٣٧]، و(نون) التوكيد على نوعين: خفيفة وثقيلة، أو خفيفة ومشددة، وكل نوع منهما له دلالة على نوع من(التوكيد)، وقد بين الخليل الفرق بين الاثنتين، وذلك في ما نَسب إليه سيبويه من كلام إذ قال: "وزعم الخليل أنهما[نونا التوكيد] توكيد كما التي تكونُ فصلاً فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكد، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدُّ توكيداً"[١١٣٨]، وعلل ابن يعيش ذلك الفرق إذ أرجعه إلى تكرير(النون) في الثقيلة منهما، ذلك لأنّ عنده أنّ "تكرير النون بمنزلة تكرير التوكيد"[١١٣٩]، أي أنّ زيادة مبنى(النون) قد زاد من معناها، وأما ما تحدثه(النون) من دلالة زمانية فهو- عند ابن يعيش أيضاً- إخلاص الفعل للمستقبل[١١٤٠]. فـ(النون) أداة تفيد توكيد حدث الفعل في المستقبل.

ولم ترد في خطب نهج البلاغة من(النون) المؤكدة غير الثقيلة(المشددة) منهما، غير أن ورودها كان ضمن سياقات مختلفة.

فقد تكون(النون) في خطب النهج واقعة في سياق فعل واقع جواباً لقسمٍ مصرح به، وفي هذه الحالة يكون الفعل مصحوباً بـ(اللام) التي هي للتوكيد أيضاً، وبذلك تجتمع ثلاثة مؤكدات في هذا النوع من النظم، وهي(القسم) و(اللام) و(النون)، لذلك عُدّ أقوى أنواع التوكيد[١١٤١]، وهذا النمط من(التوكيد) هو الأكثر شيوعاً في خطب نهج البلاغة من بين الأنماط الأخرى التي تأتي(النون) في سياقها، ومثال ذلك قول الإمام (عليه السلام): ((**وَايْمُ اللَّهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ**))[١١٤٢]. وقد تكون(النون) واقعة في سياق غير القسم، ومثالها في هذه الحال قول الإمام (عليه السلام) ذاكراً فتن آخر الزمان: ((**ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ**))[١١٤٣]، أو قد تكون(النون) ورادة للتأكيد في سياق أسلوب طلبي وذلك الأسلوب هو(النهي) كما في قول الإمام (عليه السلام): ((**لَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**))[١١٤٤]، وما يجدر ذكره أنّ الإمام(عليه السلام) لم يورد في خطبه من أساليب الطلب مؤكَّداً بـ(النون)غير أسلوب(النهي)[١١٤٥].

ج. اللام:

(١١٣٧) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٣٨.
(١١٣٨) كتاب سيبويه: ٣/ ٥٠٩.
(١١٣٩) شرح المفصل: ٣٧/٩.
(١١٤٠) ينظر: نفسه: ٣٧/٩.
(١١٤١) ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٤١٦.
(١١٤٢) نهج البلاغة(الصالح): ١٥٠(خ١٠٤).
(١١٤٣) نفسه: ٢٠٨(خ١٥٠).
(١١٤٤) نفسه: ٣٥٢(خ٢٣٠).
(١١٤٥) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٧١(خ١١٤)، ١٩٠(خ١٣١)، ١٩٨(ك١٤٢)، ٣١٧(ك١٩٩).

يكون الغرض- في بعض الأحيان- من إدخال (اللام) في سياق الكلام هو تقوية ذلك الكلام وتثبيته في ذهن متلقيه، وقد سمى سيبويه (اللام) التي تؤدي ذلك الغرض بـ(لام التوكيد)[١١٤٦]. وتختلف المواقع التي تجيء تلك الأداة في سياقها فتختلف لذلك تسمياتها، فهي تارة(لام ابتداء)، وتارة(لام مزحلقة)[١١٤٧]، وتارة(لام جحود أو إنكار أو نفي)[١١٤٨]، وتسميات(اللام) وإن اختلفت فإنّها تعبر عن حقيقة واحدة وهي حقيقة الأداة الدالة على معنى(التوكيد).

ولم يأت في خطب نهج البلاغة إلا نوعان من(اللام) المؤكدة، الأولى- وهي الأكثر- هي(اللام المزحلقة)، ومن ذلك مثلاً قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ**))[١١٤٩]، والجملة وإن كانت مؤكدة بـ(إن) غير أن(اللام) قد زادت من توكيدها. والأخرى هي(لام الجحود أو الإنكار أو النفي) كما في قول الإمام (عليه السلام): ((**أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي**))[١١٥٠]، فإذا كان هناك من أمر قد أكدته (اللام) فهو(النفي) الذي هو المعنى النحوي للجملة المؤكَّدة.

د. الباء:

سمى سيبويه(الباء)التي تضاف لغرض(التوكيد) بـ(باء الإضافة)[١١٥١]، وتسمية (باء التوكيد) أولى بها، ذلك لئلا تلتبس بغيرها من الباءات التي هي تضاف أيضاً. قال سيبويه: "قولك: ما زيد بمنطلقٍ، ولستُ بذاهب، أراد أن يكون مؤكِّداً حيث نفي الانطلاق والذهاب"[١١٥٢]. و(الباء) بأنواع مختلفة من التوكيد, ومنها ما ورد في خطب النهج, وذلك هو توكيد(النفي), أي أنّها تدخل على الخبر المنفي لتؤكد نفيه[١١٥٣].

ومن المواضع التي جاءت فيها (الباء) في خطب نهج البلاغة لتؤكد معنى الجملة (النفي) قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ**

([١١٤٦]) ينظر: كتاب سيبويه: ٢٣٣/٤.
([١١٤٧]) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٣٠/١.
([١١٤٨]) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٠/٤، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:٢١١/١، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٤١٧.
([١١٤٩]) نهج البلاغة(الصالح): ٧٩(ك١٢٢).
([١١٥٠]) نهج البلاغة(الصالح): ١٣٧(خ٩٢).
([١١٥١]) ينظر: كتاب سيبويه: ٢٢٥/٤.
([١١٥٢]) نفسه: ٤/ ٢٢٥، وينظر: ٣١٥/٢، ٣١٦.
([١١٥٣]) ينظر: كتاب سيبويه: ٣١٥/٢(في هامش٣)، في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٠- ٢٤١، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٤١٨.

بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ))[١١٥٤]، فإذا كانت الجملة منفية بـ(ليس) فإنّ نفيها قد تأكد بـ(الباء).

هـ. مِنْ:

عدَّ سيبويه(مِنْ) حرفاً من حروف الزيادة التي تضاف لغرض (التوكيد)، لذلك فهي- عنده-(حرف إضافة) أيضاً[١١٥٥]، في حين عَدّ المبرد تلك الأداة حرفاً زائداً[١١٥٦]، ومن الممكن التوفيق بين الرأيين فتعد(مِنْ) حرفاً زِيد للتوكيد.

وإذا كانت هناك من خصوصية تنماز بها (مِن) المؤكدة فهي دخولها على الكلام المثبت[١١٥٧] لتؤكد إثباته، وعلى الكلام المنفي لتؤكد نفيه[١١٥٨]، وعلى الاستفهام[١١٥٩] لتفيد العموم والاستغراق، وفي ذلك توكيد لمعنى(الاستفهام)، وعلى الجملة الشرطية فتؤكد ما بعدها[١١٦٠]، أي أن (مِن) تؤكد من جملة الشرط عبارة الشرط .

ومما جاء في خطب نهج البلاغة من (مِنْ) المؤكدة قول الإمام (عليه السلام) في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ((**إِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ**))[١١٦١]، فـ(مِن) دخلت في سياق نفي لتوكيده.

و. قد:

إذا كانت (قد) تدل في بعض معانيها على (التحقيق والتقريب)[١١٦٢] لدى عدد من النحاة، فإنّها تدل لدى غيرهم على (التحقيق والتأكيد)[١١٦٣]، أو على (التأكيد) وحده، وذلك لأنّ (قد) إذا سبقت بناء على زنة (فعل) "في نظم يدل على حدث وقع في الماضي فإنّها لتأكيد حدوث الحدث"[١١٦٤]، أي أنّ (قد) قد تفيد معنى(التحقيق المؤكد) الذي يعني(التأكيد) إذا وردت في سياق يدل على ذلك.

ومثال ما وردت فيه(قد) مؤكدة في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) لأصحابه في بعض أيام صفين: ((**وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ**))[١١٦٥]، فالإمام قد شهد مع أصحابه صفين لذلك جاءت (قد) في كلامه لتؤكد تلك الشهادة.

ز. أمّا والفاء :

([١١٥٤]) نهج البلاغة(الصالح): ١٦٩(خ١١٤).
([١١٥٥]) ينظر: كتاب سيبويه: ٢٢٥/٤.
([١١٥٦]) ينظر: المقتضب: ٤/ ٥٢، ١٣٦، ١٣٧، ٤٢٠.
([١١٥٧]) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢/ ١٠٨.
([١١٥٨]) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤١، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٤١٩.
([١١٥٩]) ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٤١٩.
([١١٦٠]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٤١٩.
([١١٦١]) نهج البلاغة(الصالح): ٢١٩(١٥٦).
([١١٦٢]) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٤٣٣، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:٢/ ٦٦٥، الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٥٤- ٢٥٥.
([١١٦٣]) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٨٦/٢.
([١١٦٤]) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٤٢٠.
([١١٦٥]) نهج البلاغة(الصالح): ١٥٥(ك١٠٧).

لما كان الغرض من التوكيد هو تقوية المعنى في نفس المتلقي وتمكينه منها فإنّه قد يُعمد في بعض الأحيان إلى أداتين لتحققا ذلك الغرض، والأداتان اللتان يفيد وجودهما الدلالة على (التوكيد) هما (أمّا) و(الفاء)، وقد التفت الزمخشري- في ما نقل عنه- إلى دلالة تلكما الأداتين على ذلك المعنى فقال: "فائدة أمّا في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول: زيد ذاهب، فإذا قصدت توكيد ذلك، وأنّه لا محالة ذاهب وأنّه بصدد الذهاب، وأنّه منه عزيمة قلت: أمّا زيد فذهب"[١١٦٦]، فالأداتان (أمّا) و(الفاء) قد جعلتا التركيب الذي احتواهما دالاً على معنى (التوكيد).

وقد وردت (أمّا) و(الفاء) مؤكدتين في مواضع كثيرة من خطب نهج البلاغة، منها قول الإمام (عليه السلام): ((**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ**))[١١٦٧]، فالإمام عمد إلى الأداتين (أمّا) و(الفاء) ليقرر ما يقتضيه المقام من تأكيد.

٢- التوكيد بالقصر:

القصر في اللغة معناه الحبس[١١٦٨]، وأمّا في البلاغة فهو "تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص"[١١٦٩]، ويبدو أنّ وجود التخصيص قي(القصر) هو الذي جعله صالحاً لأن يؤكد به، وللتوكيد بـ(القصر) طرائق تؤديه، والطرائق التي اعتمدها الإمام (عليه السلام) في خطب نهج البلاغة ليؤكد فيها بـ(القصر) هي:

أ. القصر بـ(لا و بل ولكن):

سمّى أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت٦٢٦) القصر بـ(لا وبل ولكن) قصراً بالعطف[١١٧٠]، وفي هذا النوع من القصر يسعى المنشئ إلى إثبات حكم يناقض أو يخالف فيه ما قبل تلك الأدوات ما بعدها، وفي ذلك الحكم معنى (التخصيص) الذي هو توكيد أيضاً.

ومما جاء من(القصر) بـ(لا) في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) في آل محمد(عليهم السلام): ((**عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ**))[١١٧١] فالإمام قصر الحكم الواقع قبل (لا) دون غيره على آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وفي ذلك دلالة على معنى نحوي, والمعنى النحوي الذي أفاده ذلك التركيب هو(التوكيد)، ومن القصر بـ(بل) قول الإمام (عليه السلام) في وصف الله تعالى: ((**لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا**

([١١٦٦]) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٥٧.
([١١٦٧]) نهج البلاغة(الصالح): ٨٣- ٨٤(خ٤٢).
([١١٦٨]) ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ١١٧، تاج العروس من جواهر القاموس: ٤٩٤/٣.
([١١٦٩]) البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني): د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م: ٣٥٧.
([١١٧٠]) ينظر: مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، ضبطه وشرحه: أ. نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م: ٢٨٨، البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧م: ٢٦٦.
([١١٧١]) نهج البلاغة (الصالح): ٣٥٨(خ٢٣٩).

))[١١٧٢]، ومن القصر بـ(لكن) قول الإمام (عليه السلام) مخاطباً أهل العراق: ((**مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَاراً، وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً**))[١١٧٣]، فالحكم في النصين السابقين مقصور على ما بعد (بل) و(لكن)، أي أنّ الإمام قد أكد بهذين الأداتين الكلام الواقع بعدهما، وذلك بمقابلة ذلك الكلام بالكلام الواقع قبلهما.

ب. القصر بـ(النفي وإلا):

القصر بـ(النفي وإلا) طريقة من طرائق التوكيد يراد بها قصر ما قبل(إلا) على ما بعدها، وقد حدد عبد القاهر الجرجاني المواضع التي يصلح فيها هذا النوع من القصر، فعنده أنّ القصر بـ(النفي وإلا) لا يقال إلا في المواضع التي يكون فيها المخاطب منكراً للشيء، أو منزلاً منزلة المنكر له أو أنّ الشيء نفسه هو مما يُشك فيه[١١٧٤]، وقد تابع المحدثون الجرجاني، وأعطوا ما أعطاه هو من خصوصية لهذا النوع من القصر[١١٧٥]. وتتبع(التوكيد) وتتبع(التوكيد) بـ(النفي وإلا) في خطب نهج البلاغة يؤيد ما ذهبوا إليه.

فمما ورد في خطب النهج من القصر بـ(النفي وإلا) ليدل على إثبات أمر قد نفاه المتلقي قول الإمام (عليه السلام): ((**مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا**))[١١٧٦]. وما ورد في خطب النهج من التوكيد بـ(النفي وإلا) ليدل على أنّ المخاطب منزلٌ منزلة المنكر للأمر قول الإمام (عليه السلام) مخاطباً العباد: ((**وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ**))[١١٧٧]، فالمخاطبون يعرفون أنّ مآلهم هو الموت غير أنّ الإمام أنزلهم منزلة المنكرين لذلك، الجاهلين به. وما ورد في الخطب من القصر بـ(النفي وإلا) ليفيد أن الأمر المؤكد هو مما يُشكُّ فيه قول الإمام (عليه السلام) واصفاً الدنيا: ((**لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى**))[١١٧٨]، فالإيمان يكون عادة بخلاف ما أكده الإمام (عليه السلام) لأنّ المؤكد مشكوك به دوماً.

ج. القصر بـ(إنّما):

([١١٧٢]) نفسه: ٢٦٩(خ١٨٥).
([١١٧٣]) نفسه: ١٠٠(خ٧١).
([١١٧٤]) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٢.
([١١٧٥]) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٣٧٥، علم المعاني: د. حسن طبل، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م: ١٥٤، وينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٤٠٥ .
([١١٧٦]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٠٥(خ١٧٥).
([١١٧٧]) نفسه: ٩٥(خ٦٤).
([١١٧٨]) نفسه: ٢٠٢(خ١٤٥).

نسب السكاكي في(مفتاح العلوم) إلى أحد أئمة النحو ببغداد[١١٧٩] قوله: "إن كلمة إن، لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية... ضاعف تأكيدها، فناسب أن يضمن معنى القصر"[١١٨٠]، فـ(إنّما) مركب من جزأين ائتلفا ليدلا دلالة على ما لم يدل عليه الجزآن منفردين، والدلالة التي صارا يدلان عليها هي (القصر)، أي أنّ (إنّما) "قد تغيرت دلالتها على التوكيد من كونه توكيداً عادياً إلى كونه توكيداً قاصراً، أو حاصراً، أو بعبارة أوضح: من كونه توكيداً مخففاً، إلى كونه توكيداً مشدداً"[١١٨١]، ولم تكتفِ (إنّما) بجعل(توكيد) الجملة توكيداً مشدداً، وإنّما هي تغيّرُ أيضاً من نظام ضغط الجملة صوتياً، إذ إنّ "أوّل كلمة في الجملة، هي على العموم المضغوطة في اللغة العربية... وقد يكون آخر الجملة أشد ضغطاً من أولها، ذلك إذا قدمت كلمة: (إنّما) فهي تغير نظام ضغط الجملة، وتنقل أقوى الضغط إلى آخرها"[١١٨٢]، وأما ما يترتب على تغيّر نظام ضغط الجملة مع(إنّما) من أثر دلالي فهو أن (القصر) في تلك الجملة يكون مسلطاً على ما تسلط عليه الضغط، أي على الكلمة الأخيرة من الجملة، بمعنى أنّ(إنّما) تفيد تشديد توكيد آخر الجملة. ولدلالة (إنّما) على (القصر) معان يكشف عنها تتبع ورودها في خطب نهج البلاغة.

فقد تكون(إنّما) دالة على تأكيد إخبار يعلمه المتلقي ولا ينكره بحالٍ من الأحوال[١١٨٣]،

ومثال ذلك في خطب النهج قول الإمام(عليه السلام) في أمر التحكيم: ((**إِنَّـا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ، هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ**))[١١٨٤], فالضغط قد تسلط على كلمتي(القرآن) و(خط) ليفيد بذلك(القصر) أو(تشديد التوكيد) في تلكما الكلمتين، وأما معنيا الجملتين فهما من الأمور المعروفة التي لا ينكرها المخاطب بحالٍ من الأحوال. أو قد تكون(إنّما) دالة على إخبار مُنزل منزلة الأمر المعلوم، وجيء بالإخبار على هذه الحال لغرض التعظيم، ومن ذلك مثلاً في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ**))[١١٨٥]، فالإمام جعل متلقيه بمنزلة العالمين بذلك, فقصر (بدء الفتن) على(الأهواء) لغرض تعظيم ذلك الأمر. وتأتي (إنما) أيضاً في سياق جملة يراد بها (التعريض) بالمتلقي[١١٨٦], ومما جاء على هذا النحو في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ**

(١١٧٩) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن الفرج الربعي، توفي سنة (٤٢٠هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م: ٣٩٢/١٧- ٣٩٣.

(١١٨٠) مفتاح العلوم: ٨٩١، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٧/١.

(١١٨١) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٣٨-٢٣٩.

(١١٨٢) التطور النحوي للغة العربية: ١٣٣.

(١١٨٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٠- ٣٣١.

(١١٨٤) نهج البلاغة (الصالح): ١٨٢(خ١٢٥).

(١١٨٥) نفسه: ٨٨(خ٥١).

(١١٨٦) ينظر: دلائل الاعجاز: ٣٥٤, البلاغة فنونها وأفنانها: ٣٧٧, قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٤٠٣.

وَاحِدٌ))[١١٨٧]، فلم يرد الإمام أن يُعلم الآخرين ما لم يعلموا, وإنما أراد (التعريض) بمن لم يعِ حقيقة ما ذكر.

د. القصر بالتقديم:

يصار أحياناً إلى الدلالة على (القصر) لإفادة معنى(التوكيد) بحذف الأداة التي تدل على ذلك المعنى, ويكون ذلك بإبدال مواقع الألفاظ في الجملة, فيقدم ماحقه التأخير, ويؤخر ما حقه التقديم, وليس ذلك إلا لغرض يقتضيه المقام, وإذا كان سيبويه قد أشار إلى مسألة تقديم بعض ألفاظ الجملة وتأخير بعضها الآخر فقال:" إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى"[١١٨٨]، فإن عبد القاهر الجرجاني قد فصَّل الحديث في تلك المسألة, وبين أثرها في إنشاء (القصر) الذي هو بالنتيجة (توكيد مشدد)[١١٨٩]. وتتماز بنية هذا النوع من (التوكيد) بأنها تقوم "على أساس الخروج بجزء الجملة عن مكانه المخصص له وتقديمه على الجزء الذي قبله"[١١٩٠]، أي على أساس تبادل المواقع بين أركان الجملة.

ومن المواضع التي جاء فيها تقديم ماحقه التأخير في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام): ((**الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ**))[١١٩١]، فالإمام في هذا الموضع قدم لفظ (الفرائض) الذي هو مفعول به- وهو مما حقه التأخير- وأخّر لفظ (أدُّوا) الذي هو فعل- وهو مما حقه التقديم- ليقصر التأدية (حدث الفعل) إلى الجنة على ما قدم (الفرائض), وفي ذلك تأكيد للمعنى نتيجة للتقديم والتأخير.

٣- التوكيد بالقسم:

لمّا كان الغرض من (التوكيد) هو إزالة ما في ذهن المتلقي من شك, وإبعاد ما قد يخالج نفسه من أوهام إزاء ما يتلقى من كلام, فإن المؤكد قد يسعى أحياناً إلى تحقيق ذلك الغرض, ونفي ما قد يذهب إليه المتلقي بوساطة (القسم)، ودلالة (القسم) على معنى(التوكيد) هو مما ألمح إليه سيبويه في كتابه حين قال: "ولو قال: وحقك وحقك على التوكيد جاز"[١١٩٢]. وإذا كان هناك من خصائص ينماز بها هذا النوع من (التوكيد) عن غيرها من المؤكدات فإن منها أنه يعد أفضل أنواع المؤكِّدات وأهمها وأقواها[١١٩٣], وما ذلك إلا لأن طبيعة (القسم) تقتضي في الغالب وجود (مقسم به)، وهذا الجزء من (القسم) يكون دائماً أمراً جليلاً أو مقدساً[١١٩٤], وإلا لما جاز (القسم) به.

([١١٨٧]) نهج البلاغة(الصالح): ٣١٩(ك٢٠١).
([١١٨٨]) كتاب سيبويه:٣٤/١.
([١١٨٩]) ينظر: دلائل الاعجاز: ١٢٨- ١٣٧.
([١١٩٠]) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٣.
([١١٩١]) نهج البلاغة (الصالح): ٢٤٢(خ١٦٧).
([١١٩٢]) كتاب سيبويه: ٥٠٢/٣.
([١١٩٣]) ينظر: التعبير الفني في القرآن الكريم: د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٩٤م: ٢٥٧, القَسَم في القرآن الكريم: د. حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م: ١١٨, قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم:٣٩٤.
([١١٩٤]) ينظر: التعبير الفني في القرآن الكريم: ٢٤٩, قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٩٥.

والإمام (عليه السلام) في خطب نهج البلاغة يورد(القسم) مؤكداً كلامه تارة بالله تعالى, وذلك في قوله (عليه السلام): ((**وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ**))[١١٩٥], وتارة ثانية يؤكد الإمام كلامه بعبارة (أيم الله)، و(أيم) جمع يمين، وهي تعني البركة[١١٩٦], ومثال هذا النوع من القسم في خطب النهج قوله(عليه السلام): ((**وَايْمُ اللَّهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ**))[١١٩٧]، وتارة ثالثة يؤكد الإمام كلامه بـ(لعمري) التي تعني القسم بالحياة أو بالدين[١١٩٨], ومثال ذلك قوله(عليه السلام): ((**لَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ**))[١١٩٩]، فالقسم في خطب نهج البلاغة لم تحدد صورته بنمط معين من الأقسام, وإنما هي تختلف تبعاً لنوع الموضوع (المقسم عليه) لذلك اختلفت أنواع (المقسم به) في النصوص السابقة.

٤- التوكيد بالتكرار:

قال يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧): "العرب لا تجمع اسمين قد كُنِي عنهما ليسَ بينهما شيء إلا أن ينووا التكرير وإفهام المُكلَّم"[١٢٠٠]، وقال في موضع آخر: "فخطأٌ أن تقول أظن أنك أنك نادم إلا أن تكرّر كالتوكيد"[١٢٠١]، فالتكرار مذهب من مذاهب العرب في كلامها, المقصد منه إفهام المتلقي, وتمكين المعنى من نفسه, أي توكيد الكلام أو (تشديد المعنى) على حد تعبير الفراء[١٢٠٢], فمما يدل على (التوكيد) في الكلام تكراره, غير أن ذلك التكرار قد لا يكون هو هو, وإنما قد يكون بألفاظ تؤدي معناه, لذلك كان (التوكيد بالتكرار) على أنواع, سيعرض لها البحث من خلال تتبعها في خطب نهج البلاغة.

فقد يكون(التوكيد) بتكرار اللفظ نفسه, وهذا النوع يسمى بـ(تكرير السابق بلفظه)[١٢٠٣] , ومما جاء منه في خطب النهج قول الإمام (عليه السلام): ((**فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ**))[١٢٠٤]، أو قد يكون(التوكيد) بألفاظ تحمل ظلاً من المعنى الذي تدل عليه اللفظة المؤكَّدة، وتلك الألفاظ المؤكِّدة هي ألفاظ التوكيد المعروفة كنفس، وعين، وكلا وكلتا، وكل وجميع[١٢٠٥]، و(التوكيد) بتلك الألفاظ هو ما يسمى بـ(التوكيد المعنوي)[١٢٠٦]، وإن كان اسم(توكيد المعنى) أولى به، لأنّ الأوّل هو ما يكون دون ذكر ألفاظ التوكيد- و هذا هو النوع الثالث من أنواع التوكيد بالتكرار- ومما جاء في خطب نهج البلاغة من(توكيد المعنى) قول الإمام

(١١٩٥) نهج البلاغة(الصالح): ٢٥٠(خ١٧٥).
(١١٩٦) ينظر: شرح المفصل: ٣٥/٨, القاموس المحيط: ٢٧٩/٤, تاج العروس من جواهر القاموس: ٣٧٢/٩, كتاب سيبويه: ٥٠٣/٣(في هامش٢).
(١١٩٧) نهج البلاغة (الصالح): ١٥٠(خ١٠٤).
(١١٩٨) ينظر: لسان العرب: ٦٠١/٤, تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٤٠/٣.
(١١٩٩) نهج البلاغة(الصالح): ٦٦(خ٢٤).
(١٢٠٠) معاني القرآن: ٤٥/٢.
(١٢٠١) نفسه: ٢٣٥/٢.
(١٢٠٢) ينظر: نفسه: ١٧٧/١, تأويل مشكل القرآن: ٢٣٦.
(١٢٠٣) ينظر: التكرار: د. حسين نصار، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م: ٢٧.
(١٢٠٤) نهج البلاغة(الصالح): ٢١٤(خ١٥٣).
(١٢٠٥) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٤.
(١٢٠٦) ينظر: التكرار: ٢٧.

(عليه السلام): ((**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ... وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا**))[١٢٠٧]، ولم يأتِ في خطب النهج من ألفاظ (توكيد المعنى) غير لفظة (كل) في الموضع الذي ذُكر. "ومن التوكيد بالتكرار ما كان قائماً على تكرار(المعنى دون اللفظ)"[١٢٠٨]، وهذا النوع هو الذي يجدر به أن يسمى بـ(التوكيد المعنوي) لأنّه قائم على أساس تكرار المعنى، وليس للفظ صلة بذلك، إذ إنّ سبب ذلك النوع من(التكرار) هو إشباع المعنى[١٢٠٩]، ومثال ما جاء من ذلك النوع من التوكيد في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) واصفاً النجوم: ((**لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ**))[١٢١٠]، فكل من(الضوء) و(النور) وكذلك(الإدلهمام) و(السجف) و(الليل) و(المظلم) و(الجلابيب) و(السواد) و(الحنادس), وأيضاً(التلألؤ) و(النور) و(القمر) له دلالة على معانٍ إن لم تكن متماثلة فهي متقاربة، وإنّما كررت مع بعضها لغرض(التوكيد).

د- جمل الاستفهام:

تدل صيغة الوزن (استفعل) في بعض الأحيان- كما مر- على معنى (الطلب)، و(استفهم) هي من الصيغ التي جاءت على ذلك الوزن, لذلك فإن معناها هو طلب الفهم. جاء في (لسان العرب) "واستفهمه: سأله أن يفهمه. وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً"[١٢١١]، فـ(الاستفهام) لغةً قد استمد بعضاً من معناه من صيغته, وهو لا يختلف كثيراً عن ذلك المعنى اصطلاحاً, ذلك لأنه قد يعرف بأنه "طلب الفهم"[١٢١٢]، أو بأنه "طلب حصول الشيء في الذهن"[١٢١٣]، فـ(الاستفهام) أسلوب طلبي غرضه الوصول إلى معناه وفهمه.

وقد عدّ السكاكي تضمن (الاستفهام) معنى (الطلب) مسوغاً لتصدر الأداة (أداة الاستفهام) الدالة على ما طُلِبَ فَهْمُهُ (المستفهم عنه) فقال: "وإذ قد عرفت أن هذه الكلمات[الأدوات] للاستفهام, وعرفت أن الاستفهام طلب, وليس يخفى أن الطلب إنما يكون لما يهمك ويعنيك شأنه, لا لما وجوده وعدمه عندك بمنزلة, وقد سبق أن كون الشيء مهماً لتقديمه في الكلام"[١٢١٤]، فالمعنى الذي يراد من جملة (الاستفهام) يجب أن تدل عليه أداة تتصدر تلك الجملة, وإلا فإن ذلك المعنى لم يبق على مسماه, لذلك يلزم "أن تكون لأدوات الاستفهام الصدارة في الكلام, لأجل أن تفيد فيه معنى الاستفهام. شأنها في ذلك شأن أدوات المعاني الأخرى, لأنها إذا تقدم عليها شيء من الجملة فقدت الدلالة على معنى

([١٢٠٧]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٤٢(خ١٦٧).
([١٢٠٨]) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٤٤، وينظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٤٠- ٢٤٣.
([١٢٠٩]) ينظر: التكرار: ٣٧.
([١٢١٠]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٦١(خ١٨٢).
([١٢١١]) لسان العرب: ٤٥٩/١٢(ف هـ م), وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١٦/٩.
([١٢١٢]) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ١٣/١.
([١٢١٣]) شروح التلخيص- مختصر سعد الدين التفتازاني، مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي، الإيضاح للقزويني، حاشية الدسوقي على شرح السعد، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت: ٢٤٦/٢.
([١٢١٤]) مفتاح العلوم: ٣١٧.

الاستفهام"[١٢١٥]، فأداة(الاستفهام) هي التي تخلص الجملة إلى ذلك معنى(الاستفهام) كما كانت غيرها من الأدوات مخلصة غيرها من الجمل إلى معانٍ أخر.

ويختلف (الاستفهام) تبعاً لنوع (المستفهم عنه) الذي يأتي بعد الأداة مباشرة، فقد يكون "الاستفهام عن النسبة: أي أن المستفهم عنه هو نسبة المسند إلى المسند إليه أو هو مضمون الجملة"[١٢١٦]، وهذا النوع من (الاستفهام) هو الذي يسميه البلاغيون بـ(الاستفهام التصديقي)[١٢١٧], وقد يكون "الاستفهام عن المفرد: وفيه تكون النسبة محققة الوقوع فيخص بالمفرد المتقدم"[١٢١٨]، وهذا النوع من (الاستفهام) هو الذي اصطلح البلاغيون على تسميته بـ(الاستفهام التصوري)[١٢١٩]. ومثلما تمَّ تقسيم (الاستفهام) على نوعين, انبنى كذلك تقسيم (أدوات الاستفهام) على أساس ذينك النوعين (التصديقي) و(التصوري)، فكانت الأدوات لذلك على ثلاثة أنواع, فمنها ما يستفهم به عن(التصديق) وعن(التصور)، ومنها ما يستفهم به عن(التصديق) دون(التصور)، ومنها ما يستفهم به عن(التصور) دون(التصديق). ونوعا الاستفهام - بأدواته الثلاث- واردان في خطب نهج البلاغة, وهما على ما يأتي:

١- ما يطلب به (التصديق) تارة و(التصور) تارة أخرى, والأداة التي تدل على ذلك هي (الهمزة).

ولما كانت دلالة (الهمزة) على معنى (الاستفهام) دلالة أصيلة فإن اللغويين- قدامى ومحدثين- قد عدوا تلك الأداة أم باب (الاستفهام)[١٢٢٠]، ويبدو أن أصالة الدلالة على ذلك المعنى في (الهمزة) هو الذي جعلها تصلح لأن يستفهم بها استفهاماً تصديقياً تارة, واستفهاماً تصورياً تارة أخرى. و(الهمزة) وإن جاءت في خطب نهج البلاغة لتدل على معنى (الاستفهام) بنوعيه, غير أن ذلك لا يعني عدم خروج الجمل المستفهمة بها عن ذلك المعنى, وتأديتها معاني أخر.

فقد تكون (الهمزة) واردة في سياق استفهام تصديقي, أي أن (المستفهم عنه) هو نسبة المسند إلى المسند إليه, أو مضمون الجملة, وفي هذه الحالة تكون معاني ذلك النوع من(الاستفهام) هي:

([١٢١٥]) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: د. قيس إسماعيل الأوسي، وزارة التعلم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٨م: ٣١٠.

([١٢١٦]) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٢٠.

([١٢١٧]) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٠٨, الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٢٨/١, ٢٣٠, قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٢٠.

([١٢١٨]) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٠٨, شروح التلخيص: ٢٤٧/٢, أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٣١٧.

([١٢١٩]) ينظر: نفسه: ٣٠٨، نفسه: ٢٤٧/٢، نفسه: ٣١٧.

([١٢٢٠]) ينظر: كتاب سيبويه:٩٩/١, المقتضب: ٢٨٩/٣, شرح المفصل: ١٥١/٨, الجنى الداني في حروف المعاني: ٣١, في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٦٥, نحو المعاني : د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م: ١٤٠, أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٣١٩, أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ١٢, قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٢١.

أ. التعجب:

قد يخرج (الاستفهام) عن معناه اللغوي والاصطلاحي ليفيد الدلالة على معنى (التعجب)، وقد أشير إلى تلك الدلالة قديماً وحديثاً[١٢٢١], ومن المواضع التي جاءت في خطب نهج البلاغة, وكان فيها (الاستفهام) بـ(الهمزة) دالاً على (التعجب) قول الإمام (عليه السلام) لمّا عوتب على التسوية في العطاء: ((**أَ تَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ!**))[١٢٢٢]، فالإمام في هذا الموضع(يستفهم) عن تحقق نسبة الأمر إلى من عاتبوه, أي أن (الاستفهام) متسلط على تلك النسبة, والنسبة هي مضمون الجملة المستفهم عنه, لكن ذلك (الاستفهام) لم يقصد لذاته وإنما قصد منه الدلالة على (التعجب).

ب. التنبيه:

ألمح أحمد بن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) إلى دلالة التركيب (أرأيت) على معنيي (الاستفهام) مرة و(التنبيه) مرة أخرى[١٢٢٣], فالتركيب مع همزة الاستفهام قد يدل على (التنبيه) وهذا ما ذهبت إليه بعض كتب اللغة[١٢٢٤], ومثال ما ما جاء في خطب نهج البلاغة من(الاستفهام) بالهمزة لإفادة معنى(التنبيه) قول الإمام (عليه السلام) لمبعوث أهل البصرة: ((**أَ رَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ.... فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعاً**))[١٢٢٥]، فالإمام قصد بذلك (الاستفهام) تنبيه المخاطب على ما هو مقدم عليه.

ج. التحذير:

([١٢٢١]) ينظر: كتاب سيبويه: ١٨١/٢, الخصائص: ٢٦٩/٢, الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٣, في النحو العربي نقد وتوجيه:٢٦٦, أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٢٣, البلاغة فنونها وأفنانها: ٤٢٣, معاني النحو: ٦٠٩/٤, أسلوبا النفي والاستفهام: ١٦.

([١٢٢٢]) نهج البلاغة(الصالح): ١٨٣(خ١٢٦).

([١٢٢٣]) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٤٥٦.

([١٢٢٤]) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٣, أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ١٧, أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٤٧, البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٠٠, معاني النحو: ٤/ ٤٠٩.

([١٢٢٥]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٤٤- ٢٤٥(خ١٧٠).

قد تدل الجملة المتصدرة بهمزة الاستفهام على معنى (التحذير)[١٢٢٦]، ومن ذلك مثلاً في خطب النهج قول الإمام (عليه السلام): ((**أَ عَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ**))[١٢٢٧]، فالإمام في هذا الموضع لم يسأل مستفهماً, وإنما سأل محذراً.

د. التذكير:

تأتي (الهمزة) في سياق استفهام الغرض منه الدلالة على (التذكير)[١٢٢٨]، ومما ورد من(الاستفهام) في خطب نهج البلاغة ليدل تلك الدلالة قول الإمام(عليه السلام): ((**أَ فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ**))[١٢٢٩]، فما ذكره الإمام معروف لدى الآخرين غير أنه قصد من (الاستفهام) عنه (التذكير) به.

هـ. التوبيخ:

أعطى ابن هشام (الهمزة) الدلالة على معانٍ غير الاستفهام الحقيقي, ومن بين تلك المعاني معنى (الإنكار التوبيخي)، فعنده أن (الهمزة) في هذا النوع من الاستفهام تقتضي "أن ما بعدها واقع, وأن فاعله ملوم"[١٢٣٠]، فـ(الهمزة) إذن قد يستفهم بها توبيخاً ولوماً, وقد ذُكر ذلك الغرض الذي يحققه(الاستفهام) قديماً وحديثاً[١٢٣١], ومما جاء في خطب النهج من ذلك مثلاً قول الإمام (عليه السلام) لأخيه عقيل عندما ضجَّ من الحديدة التي أحماها له الإمام: ((**ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ، أَ تَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ، أَ تَئِنُّ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظًى؟!**))[١٢٣٢]، فالحديدة المحمية أهون- عند الإمام- من لظىً, لذلك وبخ الإمام أخاه عقيلاً ولامه على أنينه من تلك الحديدة, والذي دل على ذلك (التوبيخ) بنية الاستفهام بالهمزة.

وقد تكون(الهمزة) واردة في سياق استفهام تصوري, أي أن المستفهم عنه ليس هو نسبة المسند إلى المسند إليه أو ما يسمى بـ(مضمون الجملة)، فذلك مما يكون متحققاً في الاستفهام التصوري, وإنما المستفهم عنه هو الاسم الواقع بعد (الهمزة)، أي أن المستفهِم يطلب تعيناً

([١٢٢٦]) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٤٧, البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٠٠, معاني النحو: ٤٠٩/٤.
([١٢٢٧]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٦٧(خ١٨٣).
([١٢٢٨]) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٤٨.
([١٢٢٩]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٦٧(خ١٨٣).
([١٢٣٠]) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١٧/١.
([١٢٣١]) ينظر: كتاب سيبويه: ٣٤٣/١, الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٢, في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٦٦, أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٢١, ٤٢٢, البلاغة فنونها وأفنانها: ١٩٦- ١٩٨, أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ١٦, قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٢٥.
([١٢٣٢]) نهج البلاغة(الصالح): ٣٤٧(خ٢٢٤).

لذلك المستفهم عنه. وما ورد في خطب نهج البلاغة من استفهام تصوري كان على نوعين: حقيقي ومجازي. أما النوع الأول فهو الذي سأل فيه الإمام, وطلب ممن سأل الإجابة, ومنه مثلاً قوله (عليه السلام) للخوارج لما خرج إلى معسكرهم: ((**أَ كُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟ فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ**))[١٢٣٣]، فـ(الاستفهام) في هذا الموضع حقيقي, ودليل ذلك وجود الإجابة عنه، وأما ما تسلط عليه (الاستفهام) في هذا الموضع فهو الاسم الواقع بعد (الهمزة)، والمطلوب هو تعيين ذلك المستفهم عنه, وليس النسبة فإنها متحققة, أي أن الشهادة واقعة منهم, وما طُلب هو تحديد أو تعيين من شهدها, لذلك بُين للإمام مَن شهد صفين ومَن لم يشهدها. وأما المجازي من (الاستفهام) بـ(الهمزة) فقد جاء منه قول الإمام(عليه السلام) في ذم أصحابه: ((أَ**كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ**))[١٢٣٤], فالإمام لم يتوخَ الإجابة عن استفهامه, وإنما قصد بالاستفهام معنى(التكثير), والذي ساعد في الدلالة على ذلك المعنى هو تسلط استفهام (الهمزة) على (كلّما) التي تفيد الدلالة على ذلك المعنى.

وقد دخلت (الهمزة) في خطب نهج البلاغة على أنماط مختلفة من الاستفهام التصوري, وأفادت تلك الأنماط أغراضاً متعددة[١٢٣٥]، وكل ما ينبغي ذكره من ذلك هو أن(الهمزة) لا تتسلط دلالتها إلا على الذي يليها مهما كان نوعه, أي أنها (الهمزة) بمعنى آخر أداة تفيد (الاستفهام) عن الذي بعدها مباشرة, هذا شيء, والشيء الآخر هو أن الأغراض التي يفيدها (الاستفهام) بـ(الهمزة) وإن خضعت للسياق الذي وردت فيه, فإنها تخضع كذلك لذوق المتلقي في بعض الأحيان, فما يكون من الأغراض عند شخص تحت مسمى معين قد يكون تحت مسمى آخر عند غيره.

٢- ما يطلب به(التصديق) دون(التصور), والأداة التي وضعت للدلالة على ذلك النوع من (الاستفهام) هي (هل).

وقد اختلف اللغويون في دلالة (هل) على(الاستفهام)، فمنهم من عدّ دلالتها على ذلك المعنى دلالة أصيلة, وأنها قد تخرج لتدل دلالة أداة أخرى[١٢٣٦], ومنهم من رأى أن دلالتها على ذلك المعنى إنما جاءت لتضمن (هل) ما يدل على (الاستفهام)[١٢٣٧], والصواب من

([١٢٣٣]) نفسه: ١٧٨(ك ١٢٢).
([١٢٣٤]) نفسه: ٩٩(ك٦٨).
([١٢٣٥]) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة(رسالة ماجستير): عدوية عبد الجبار كريم الشرع، كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م: ١٠٧-١٠٩.
([١٢٣٦]) ينظر: المقتضب: ١٨١/١- ١٨٢, ٣/ ٢٨٩, تأويل مشكل القرآن: ٥٣٨- ٥٣٩, الخصائص: ٤٦٢/٢- ٤٦٥, شرح المفصل: ١٥٢/٨, مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٥٣/٢- ٢٥٤, أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٢٦.
([١٢٣٧]) ينظر: كتاب سيبويه: ١٨٩/٣, المفصل في صنعة الإعراب: ٤٣٧, شرح المفصل: ١٥٣/٨, شرح الرضي على الكافية: ٤٤٦/٤-٤٤٧, الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٤٤- ٣٤٥.

الرأيين - وهو ما ذهب إليه ابن جني- هو أنّ (هل) دالة على الاستفهام غير أنها قد تخرج عن ذلك المعنى إلى معنى آخر كما خرجت (الهمزة) إلى ذلك المعنى[١٢٣٨], فـ(هل) أداة استفهام يقصد بها "طلب التصديق الإيجابي فيأتي لتحقيق الاستفهام عن النسبة سواء كان ذلك في جملة اسمية أم في جملة فعلية"[١٢٣٩]. ويشترط في الجمل التي تدخل عليها(هل) أن تكون الكلمات فيها واقعة في مواضعها المألوفة, "والمواضع المألوفة التي تقتضيها المعاني النحوية للكلمات في الجملة الفعلية هي: أن يتقدم الفعل يليه الفاعل يليه المفعول, والمواضع المألوفة التي تقتضيها المعاني النحوية للكلمات في الجملة الاسمية هي أن يتقدم المخبر عنه(المبتدأ) على الخبر"[١٢٤٠]، وسبب ذلك هو أن أي تغيير يطرأ على السياق المألوف للجملة يشعر بتحقق النسبة التي جيء بالاستفهام للسؤال عنها, وبذلك تنتفي حاجة الاستفهام في تلك الجملة، وهذا هو غير المطلوب من الجملة.

وجاءت(هل) في مواضع مختلفة من خطب نهج البلاغة, واستفهم بها عن النسبة(المضمون) في الجملة الفعلية, والنسبة (المضمون) في الجملة الاسمية.

أ. الاستفهام بـ(هل) عن النسبة في الإسناد الفعلي:

الأصل في (الاستفهام) بـ(هل) أن يكون في سياق فعلي[١٢٤١], وذلك لأن(هل) تطلب(التصديق), و(التصديق) "هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء, والنفي والإثبات إنما يتوجهان إلى المعاني والأحداث التي هي مدلولات الأفعال, لا إلى الذوات التي هي مدلولات الأسماء"[١٢٤٢]، أي أن(هل) تطلب الاستفهام عن المعاني والأحداث التي تتضمنها الأفعال, لذلك كان الأصل فيها دخولها على إسناد فعلي. وقد ورد ذلك النوع من التركيب في خطب نهج البلاغة ست مرات, ولم يدل في تلك المواضع إلا على معنى واحد وهو(النفي) ومن ذلك مثلاً قول الإمام(عليه السلام) ذاكراً مَلَكَ الموت: ((**هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا ؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً**))[١٢٤٣], أي لا تحسه ولا تراه. وكذا الحال في المواضع الأخرى من حيث دلالة (الاستفهام) فيها على (النفي)[١٢٤٤].

ب. الاستفهام بـ(هل) عن النسبة في الإسناد الاسمي:

([١٢٣٨]) ينظر: الخصائص: ٢/ ٤٦٣-٤٦٥.
([١٢٣٩]) أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٢٥.
([١٢٤٠]) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٢٦.
([١٢٤١]) ينظر: كتاب سيبويه: ١/٩٨-٩٩, المقتضب: ٢/٧٤-٧٥, مفتاح العلوم: ٣٠٩, شرح المفصل:١/٨١, ٨/١٥٠, أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٢٧.
([١٢٤٢]) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٣٦٩, وينظر: مفتاح العلوم: ٣٠٩, الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ٢٢٩.
([١٢٤٣]) نهج البلاغة (الصالح): ٢٧١(خ١٨٥).
([١٢٤٤]) ينظر: نفسه: ١١١(خ٨٣), ٢٤٣(ك١٦٨), ٢٧١(خ١٨٥).

إذا كان سيبويه قد رأى في دخول (هل) على إسناد اسمي ضرباً من التوسع[١٢٤٥], فإن هناك غيره قد رأى أن دخولها على ذلك الإسناد هو مما يعد من كلام البليغ[١٢٤٦], وكذلك هو مما يقصد منه تحقيق "غرض بلاغي ونكتة بيانية"[١٢٤٧]، والغرض البلاغي والنكتة البيانية هما اللذان جعلا تركيب (هل) مع(الجملة الاسمية) كلاماً بليغاً, وسبب ذلك هو أن هذا النوع من التركيب "يكون أدل على الطلب وعلى كمال العناية بحصوله من استعمالها مع الجملة الفعلية... وذلك لأن الجملة الاسمية تَدُلُّ على الثبوت, بعكس الجملة الفعلية التي تفيد الحدوثَ والتجدد. فيكون القصد من استعمال (هل) مع الجملة الاسمية في الدلالة على الطلب هو إبراز ما سيوجد في صورة الموجود الثابت"[١٢٤٨]، أي أن(هل) في دخولها على الإسناد الاسمي قد أخذت من ذلك الإسناد دلالته على الثبات, وفي الوقت نفسه, فإنها قد أخذت أيضاً مما هي في الأصل تدخل عليه- وهو الجملة الفعلية- أخذت منه الدلالة على التجدد والحدوث, وما ذلك إلا لزيادة العناية بتحقيق الطلب, وذلك بأن يجعل ذلك الطلب دالاً على الثبات المتجدد.

ولم يستعمل الإمام (عليه السلام) في خطبه(هل) مع إسناد اسمي إلا في موضع واحد فقط, وهو قوله في قريش عندما نسبت إليه عدم العلم بالحرب فردَّ الإمام: ((**لِلَّهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي**))[١٢٤٩]، فزيادة عناية الإمام بأن تتحقق الشدة والقدم في أحد من قريش هي التي جعلته يستفهم بهذا النوع التركيب, غير أن ذلك في الحقيقة غير متحقق بصورة متجددة الثبات, لذلك كان الغرض الذي خرج إليه الاستفهام في هذا الموضع هو(النفي), أي نفي ذلك الحال عن قريش.

وهناك نوع آخر من الاستفهام بـ(هل) في خطب نهج البلاغة, وهو الاستفهام الذي يكون خبره محذوفاً, وتكون(مِن) فيه زائدة في مبتدئه, وهذا النوع من الاستفهام يقتضي- عند النحاة- جواباً منفياً[١٢٥٠], و- عند البلاغيين- الدلالة على التمني المستلزم لنفي المتمنَّى[١٢٥١], وهذا الاستفهام وإن كان منفياً غير أنه يفيد إثبات ما يستفهم عنه, لذلك قد تقع (نعم) في جوابه لغرض إيجاب النفي, حاله في ذلك حال النفي المصاحب لأداة الاستفهام[١٢٥٢]. ومثال ما دلّ من الاستفهام على (تمنٍ مستلزم نفيَ المتمنَّى) في خطب النهج

(١٢٤٥) ينظر: كتاب سيبويه: ٨٩/١-٩٩.
(١٢٤٦) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٠٩, الإيضاح في علوم البلاغة:٢٢٩/١.
(١٢٤٧) البلاغة فنونها وأفنانها: ١٨٤.
(١٢٤٨) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٣٦٩- ٣٧٠, وينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١٨٥.
(١٢٤٩) نهج البلاغة (الصالح): ٧١(خ٢٧).
(١٢٥٠) ينظر: كتاب سيبويه: ٢٧٥,٢٧٦/٢, ٣١٧, الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ١٧٣, شرح ابن عقيل:٣٥١/١-٣٥٢, التطور النحوي للغة العربية: ١٦٦.
(١٢٥١) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٣٧٧.
(١٢٥٢) ينظر: المقرب: ٣٢٢, مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ١١٣/١- ١١٤, ٣٤٥/٢, ٣٤٨.

قول الإمام(عليه السلام): ((**أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ**))[١٢٥٣]، فإذا كان هناك من جواب للاستفهام الوارد في نص الإمام فإنه سيكون (نعم, لامناص ولاخلاص, ولا معاذ ولا... ولا...)، فالجواب كان بـ(نعم) لأن الاستفهام كان لإيجاب النفي, وكذلك فإن الجواب كان منفياً لان الاستفهام قد تضمن(من) التي هي خاصة بالسلب, وهي أيضاً مما لا تزاد في استفهام غير منقول إلى النفي, وأما الغرض الذي أفاده الاستفهام في ذلك الموضع فهو(التمني المستلزم نفي المُتمنَّى).

٣- ما يطلب به(التصور) دون (التصديق)، والأدوات التي تدل على ذلك النوع من (الاستفهام) هي التي تسمى بـ(كنايات الاستفهام)[١٢٥٤]، وهذه الكنايات تؤدي دورها " في كونها أدوات استفهام, يستفهم بها عن المفرد, وهي مختلفة باختلاف المفرد المسؤول عنه, عاقلاً أم غير عاقل, مكاناً أم زماناً أم حالاً أم غير ذلك, فلكل حالة من هذه الحالات كناية خاصة وضعت للسؤال عنها"[١٢٥٥]. وقد اختلفت كنايات (الاستفهام) في خطب نهج البلاغة تبعاً لاختلاف المستفهم عنه, فكانت على الآتي:

١- مَن:

ذهب اللغويون إلى القول في(مَن) بأنها تكون للسؤال عن الناس أو تكون للسؤال عن كل ما يعقل[١٢٥٦], أو "أنها للسؤال عن الجنس من ذوي العلم"[١٢٥٧]، وتحدد معناها عن بعض اللغويين فرأى أن الأظهر فيها أن تكون "للسؤال عن العارض المشخِّص لذي

([١٢٥٣]) نهج البلاغة(الصالح): ١١٤(خ٨٣).
([١٢٥٤]) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٠٧, أساليب الطلب في نهج البلاغة: ١٢٢, قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٢٨.
([١٢٥٥]) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٢٨.
([١٢٥٦]) ينظر: كتاب سيبويه: ٢٢٨/٤, ٢٣٣, المقتضب: ٤٩/٢, ٦٣/٣, ٢١٧/٤, الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ١٧٣.
([١٢٥٧]) مفتاح العلوم: ٣١١.

العلم"[١٢٥٨]، فـ(مَن) كناية عن العاقل, وهي "تدخل على الجملة التحويلية القائمة على عنصر الحذف لتنقلها إلى معنى جديد هو معنى الاستفهام"[١٢٥٩]، والحذف الذي تضمنته جملة الاستفهام هو المحل الإعرابي الشاغر للمستفهم عنه, وذلك المكان يكون شاغراً لان صاحبه مجهول, لذلك أنشئ الاستفهام, وكل ما تفعله(مَنْ) في الجملة الاستفهامية هو أن توحي بذلك المستفهم عنه[١٢٦٠].

وقد جاءت (مَنْ) للاستفهام في مواضع مختلفة من خطب نهج البلاغة, وكان مما دلت عليها جملها المعاني الآتية:

أ. التنبيه:

وقد مضى بيانه[١٢٦١], وجاء منه بالاستفهام بـ(من) قول الإمام(عليه السلام): ((**أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ... ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا. فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ**))[١٢٦٢]، فالإمام في هذا الموضع لم يسأل لغرض الاستفهام, وإنما كان الغرض من سؤاله هو"التنبيه على وجود الخالق"[١٢٦٣].

ب. الإنكار:

(الإنكار) من المعاني التي تفيدها أحياناً بعض بُنَى الاستفهام, وإذا كان القدماء قد أشاروا إلى تلك الدلالة[١٢٦٤], فإن من المحدثين من عرف (الإنكار) الذي يخرج إليه (الاستفهام) قائلاً: بأنه "يكون فيما بعدها [أداة الاستفهام] إفادة بأنه غير واقع وأن مدعيه كاذب"[١٢٦٥]، ومثال ما جاء في خطب النهج من الاستفهام بـ(من) ليدل على (الإنكار) قول الإمام (عليه السلام): ((**فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ... عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ**))[١٢٦٦]، فالإمام ينكر على ما يدعي أن أحداً يسلم إذا عصى اللهَ مثل معصية إبليس.

ج. التبكيت:

([١٢٥٨]) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٣٢/١.
([١٢٥٩]) أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٣٦-٣٧.
([١٢٦٠]) ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٢٨.
([١٢٦١]) ينظر: ١٩٨من هذا البحث.
([١٢٦٢]) نهج البلاغة (الصالح): ٢٣٣(خ١٦٣).
([١٢٦٣]) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٦/١٠.
([١٢٦٤]) ينظر: كتاب سيبويه: ٣٣٨/١, المقتضب: ٢٢٨/٣, المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ١٩٤/٢, الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٣.
([١٢٦٥]) أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ١٥.
([١٢٦٦]) نهج البلاغة (الصالح): ٢٨٧(خ١٩٢).

قد ترد في سياقات خطب نهج البلاغة الدلالة على (الاستفهام) بـ(من ذا)، و(من ذا) وإن اختُلف قديماً في الأصل الذي تتكون منه[١٢٦٧], فإنها بالنتيجة أداة يراد بها (الاستفهام) عما بعدها[١٢٦٨]. أما دلالة (من ذا) على (التبكيت) فهي مما أشار إليه الخطيب الاسكافي[١٢٦٩](ت٤٢٠هـ) في كتابه(درة التنزيل وغرة التأويل)، وذلك فيما نقله عنه الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابه(معاني النحو) في معرض الموازنة بين(ما) و(ماذا) وما تدلان عليه من استفهام, إذ إن في (ماذا)- عند الاسكافي- دلالة على (التبكيت)[١٢٧٠], ولما كانت (ماذا) نظيرة(من ذا) من حيث فرقها عن(من) فإن في (من ذا) دلالة على ذلك المعنى.

ولم يورد الإمام (عليه السلام) الاستفهام بـ(من ذا) إلا في موضعين فقط من خطبه, منهما قوله بعد تعداد مواقفه مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً**))[١٢٧١]، فالإمام قصد باستفهامه (تبكيت) المخاطبين, ودليل ذلك ما جاء بعد ذلك الاستفهام من كلام يؤيد ذلك المعنى[١٢٧٢].

٢- ما:

قرن سيبويه (ما) بـ(من) من حيث الدلالة على (الاستفهام)[١٢٧٣]، غير أنه أعطى- في موضع آخر-(ما) خصوصية, وذلك بأن جعلها "مبهمة تقع على كل شيء"[١٢٧٤], وحدد المبرد ذلك الإبهام الذي في (ما) فكانت (ما) عنده "لذوات غير الآدميين ولصفات الآدميين"[١٢٧٥]، أو هي سؤال عن جنس الآدميين إذا دخلت على الأجناس, والإبهام الذي في (ما) هو الذي جعلها للاستفهام عن الجنس[١٢٧٦]. ومعنى(ما) في الاستفهام هو(أي شيء)[١٢٧٧].

وقد جاءت(ما) الاستفهامية في مواضع مختلفة من خطب نهج البلاغة, ولم تكن في تلك المواضع كلها دالة على معان مجازية أخرى غير(الاستفهام الحقيقي)، بل ربما كانت في

(١٢٦٧) ينظر: كتاب سيبويه: ٢/ ٤١٦, مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣٢٧/١, شرح الرضي على الكافية: ٢٣/٣- ٢٤.
(١٢٦٨) ينظر: أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٣٦.
(١٢٦٩) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي, عالم بالأدب واللغة, من أهل أصفهان, ينظر: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين): خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، د.ت: ٢٢٧/٦- ٢٢٨.
(١٢٧٠) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الاسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م: ٣٣٠-٣٣١، نقلاً عن: معاني النحو: ٦٣٩/٤.
(١٢٧١) نهج البلاغة(الصالح): ٣١١(ك١٩٧).
(١٢٧٢) ينظر: نفسه: ٣١١- ٣١٢(ك١٩٧).
(١٢٧٣) ينظر: كتاب سيبويه: ١٢٧/١.
(١٢٧٤) كتاب سيبويه: ٢٢٨/٤.
(١٢٧٥) المقتضب: ٥١/٢.
(١٢٧٦) ينظر: نفسه: ١٨٠/١.
(١٢٧٧) ينظر: نفسه: ٦٠/٢, الأزهية في علم الحروف: علي بن محمد الهروي، تح: عبد المعين الملّوحي, مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٧١م: ٧١, في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٧٠.

بعض المواضع دالة على استفهام حقيقي, أي أن الإمام قد يستفهم بـ(ما) ويريد جواباً لما استفهم عنه, ومثال ذلك في خطب النهج ما قاله الإمام (عليه السلام) للرسول بعدما سمع رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟**))[١٢٧٨]، والدليل على أن الاستفهام في هذا الموضع كان حقيقياً هو إجابة الرسول الإمام عما سأله إياه.

وأما ما جاء في خطب نهج البلاغة من (الاستفهام) بـ(ما) وخرج مجازاً إلى غير ذلك المعنى, فقد دلّ على معان, كان منها:

أ. الاستبطاء:

جاء في (مفتاح العلوم) للسكاكي "وكم دعوتك؟ للاستبطاء"[١٢٧٩]، فـ(الاستبطاء) معنى قد يدل عليه تركيب (الاستفهام)، وقد ذكرت المباحث التي تناولت معاني الاستفهام تلك الدلالة ضمن غيرها من الدلالات[١٢٨٠].

ومما جاء في خطب نهج البلاغة من الاستفهام بـ(ما) ليدل على (الاستبطاء) قول الإمام (عليه السلام): ((**مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ**))[١٢٨١]، فالإمام يستبطئ نصر من يخاطبهم وقد بلغهم أن جيش الشام قد أغار على إحدى مناطق العراق[١٢٨٢].

ب. التعجب:

وقد مضى بيانه[١٢٨٣], ومما ورد منه بـ(ما) قول الإمام(عليه السلام): ((**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ... وَمَا أَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟**))[١٢٨٤]، فالإمام في هذا الموضع يتعجب من التجرؤ على الذنب, والأُنس بهلكة النفس.

ج. الحَيرة:

لم يُشر إلى خروج الاستفهام للدلالة على (الحَيرة) ضمن ما يخرج للدلالة عليه من معان, وقد ورد في خطب النهج من الاستفهام بـ(ما) ما يمكن حمل دلالته على ذلك المعنى, فقد جاء في قول الإمام (عليه السلام) لعثمان بن عفان ما نصه: ((**إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ**))[١٢٨٥]، ودليل الدلالة على (الحيرة)

(١٢٧٨) نهج البلاغة(الصالح): ٣٠١(خ١٩٢).
(١٢٧٩) مفتاح العلوم: ٣١٤, وينظر: ٣١٥.
(١٢٨٠) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٥٩, البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٠١, معاني النحو: ٤٠٩/٤, أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ١٦, قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٦١.
(١٢٨١) نهج البلاغة(الصالح): ٨٢(خ٣٩).
(١٢٨٢) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح):٩٩/٢.
(١٢٨٣) ينظر: ١٩٥ من هذا البحث.
(١٢٨٤) نهج البلاغة (الصالح): ٣٤٤(ك٢٢٣).
(١٢٨٥) نهج البلاغة(الصالح): ٣٣٤(ك١٦٤).

ما أردف به الإمام بعد ذلك الاستفهام من كلام وهو قوله (عليه السلام): ((**مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ**))[١٢٨٦]، فـ(الحَيرة) قد وقعت بين هذين الأمرين.

د. الاستغراب:

(الاستغراب) معناه وجود الشيء ذا غرابة, ولم يذكر(الاستغراب) ضمن المعاني التي قد يخرج الاستفهام للدلالة عليها, وقد جاء في خطب نهج البلاغة من الاستفهام بـ(ما) ما يفيد ذلك المعنى, وذلك في قول الإمام (عليه السلام): ((**فَيَا عَجَباً! وَمَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا**))[١٢٨٧]، فالإمام -هنا- يستغرب من عدم عجبه مع رؤيته ما رأى من خطأ الفرق.

وهناك معان أخر قد خرجت إليها الجملة المستفهمة بـ(ما) في نهج البلاغة عامة, وفي خطب النهج خاصة[١٢٨٨].

وجاء في سياقات خطب النهج نوع آخر من (ما) الاستفهامية, وتلك هي (ما) المركبة مع حرف الجر, إذ ذكر النحاة أن (ما) قد يدخل عليها حرف الجر, فتحذف حينئذ ألفها وتبقى الفتحة للدلالة عليها, المهم في ذلك المركب هو أنه صار"ككلمة واحدة موضوعة للاستفهام"[١٢٨٩]، ولم تحذف ألف (ما) إلا لغرض التخفيف, أو للدلالة على التركيب[١٢٩٠], أو للفرق بين الاستفهامية والموصولية[١٢٩١]، ففي(مَ) تنصيص على الاستفهام, أي أنها لا تدل على معنى غيره. وقد وُصِلت حروف الجر(في, والى, واللام) بـ(ما) في خمسة مواضع من خطب نهج البلاغة, وكان لجملها معان مختلفة[١٢٩٢].

٣- ماذا:

لم تتفق كلمات النحاة في الأصل الذي تتكون منه (ماذا)، فهي تارة عنصر ذو مكونين هما(ما) الاستفهامية, و(ذا)الموصولة[١٢٩٣], وتارة ثانية هي مكونة من (ما) الاستفهامية أو الزائدة و(ذا) الإشارة أو الزائدة[١٢٩٤]، وتارة ثالثة أن (ماذا) هي كلها استفهام على التركيب, أو اسم جنس بمعنى (شيء)[١٢٩٥]، وتارة رابعة أن (ماذا) "عنصر استفهام ليس

([١٢٨٦]) نفسه: ٣٣٤(ك١٦٤).
([١٢٨٧]) نفسه: ١٢١(خ٨٨).
([١٢٨٨]) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: ١٢٣-١٢٦.
([١٢٨٩]) شرح الرضي على الكافية: ٥٤/٢.
([١٢٩٠]) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري, تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، ط٤، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م: ٢٩٨/١-٢٩٩, ٥٧٢/٢.
([١٢٩١]) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٤٤٩/٢, مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٩٨/١-٢٩٩.
([١٢٩٢]) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: ١٣١-١٣٢.
([١٢٩٣]) ينظر: كتاب سيبويه:٤١٧/٢, معاني القرآن: ١٣٨/١, شرح المفصل: ١٤٩/٣, شرح الرضي على الكافية: ٦٤/٣-٦٥, مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣٠٠/١.
([١٢٩٤]) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣٠٠/١, ٣٠٢.
([١٢٩٥]) ينظر: كتاب سيبويه: ٤١٦/٢-٤١٨, مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣٠١/١.

بمختص"[١٢٩٦]، والراجح من بين ما ذكر أن(ماذا) لا يحددها التنظير, وإنما يحددها السياق الذي ترد فيه, والتنغيم الذي تُقرأ به- في النص المقروء- وكذلك وجود علامات الترقيم- في النص المكتوب- وإذا ما عرف ما للسياق من أثر في تحديد الدلالة, فإن للتنغيم أثراً أيضاً في تحديد الدلالة, وذلك لتأدية "نظام التنغيم في اللغات وظيفة نحوية مهمة, فهو الوسيلة المثالية التي تخدم علم اللغة الوصفي, ويظهر أثره بوضوح في مجال دراسة التراكيب"[١٢٩٧]، فنمط التعبير النغمي عن الجملة الاستفهامية- اعتماداً على التحليل الذي استُعمل فيه جهاز(الاسبكتروجراف)[١٢٩٨] – يكون "على المقطع الأول الذي يتلقى درجة صوتية عالية. ويكون هذا المقطع أعلى نسبياً من أية قمم أخرى توجد في التعبير وبعد ذلك يحدث نزول تدريجي حتى نهاية التعبير"[١٢٩٩], فالجملة الاستفهامية تنماز تنغيمياً بأنها تتدرج من العلو إلى الدنو, أي أن الضغط يتسلط على أداة الاستفهام لتحديد دلالة الجملة على ذلك المعنى. وأما علامات الترقيم فإنها لا تقف "عند حد تقسيم الكلام وتنظيم وقفاته وسكناته فحسب, ولكنها تمتد لتشمل الدلالة النصية السيميائية, ولعل العلوم المعاصرة قامت بالدرجة الأولى على هذه العلامات التي تشكل وظيفة دلالية في بنية النص. ومن ثم أصبحت أداة تعبيرية عن الرؤية التي يبغي الكاتب طرحها"[١٣٠٠]، فلا يمكن الحكم على (ماذا) إلا من خلال تلك القرائن كلها (السياق) و(التنغيم) و(علامة الترقيم).

و(ماذا) في خطب نهج البلاغة- اعتماداً على القرائن- لم تكن في كل ما وردت فيه من المواضع للاستفهام[١٣٠١], وإنما قد تكون دالة على معنى غيره, فمما وردت فيه (ماذا) من المواضع في خطب النهج, وكانت للاستفهام, والاستفهام بها كان حقيقياً قول الإمام (عليه السلام): ((**مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا ذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَ اللَّدَدِ؟ فَقَالَ: ادْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَ أَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي**))[١٣٠٢]، فسياق الكلام، وتنغيمه، ووجود علامة الترقيم كلها قرائن تدل على أن(ماذا) للاستفهام, وأما ما دل على أن ذلك الاستفهام كان حقيقياً فهو وجود الإجابة عما استفهم عنه, ولم يرد ذلك النوع من الاستفهام إلا في موضعين فقط من خطب نهج البلاغة[١٣٠٣]. وأما ما وردت فيه(ماذا) من المواضع في خطب النهج و كان الاستفهام بها استفهاماً مجازياً فهو قول الإمام (عليه السلام): ((**أَنَّى تُؤْفَكُونَ! أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ؟ أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ؟**))[١٣٠٤]، فالقرائن أيضاً حددت دلالة (ماذا) على أنّها للاستفهام

([١٢٩٦]) أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٣٢.
([١٢٩٧]) التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: سمير إبراهيم وحيد العزاوي، دار الضياء للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٠م: ١٤٣.
([١٢٩٨]) هو جهاز يستعمل في تحليل اللغة, ودراسة شدة صوت الكلام, ودراسة النبر, ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية- فونولوجيا العربية: د. سلمان حسن العاني، تر: د. ياسر الملاح، مراجعة: د. محمد محمود غالي، النادي الثقافي الأدبي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م: ٣١.
([١٢٩٩]) التشكيل الصوتي في اللغة العربية: ١٤٤.
([١٣٠٠]) فن التعبير: د. محمد نجيب التلاوي ود. مراد عبد الرحمن مبروك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت: ٥١.
([١٣٠١]) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: ١٢٧-١٢٨.
([١٣٠٢]) نهج البلاغة(الصالح): ٩٩(قو٧٠).
([١٣٠٣]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٩٨(ك٦٧).
([١٣٠٤]) نهج البلاغة(عبده): ١٤٦/١.

الذي خرج في هذا الموضع لغرض الإنكار والتعجب[١٣٠٥]، وهذا هو الموضع الوحيد الذي جاءت فيه (ماذا) على هذا النحو من خطب النهج. أما المواضع الأخرى التي جاءت فيها (ماذا) من تلك الخطب فإنّ القرائن لا تفيد أنها كانت للاستفهام، بل إنّها كانت إلى معنى الاسم الموصول(الذي) أقرب، ومثال ذلك قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ، لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ**))[١٣٠٦]، فالقرائن كلها (السياق) و(التنغيم) و(علامة الترقيم) لا تعين على أن تكون(ماذا) الواردة مرتين في نص الإمام للاستفهام، وإنّما هي بمعنى(الذي). وقد جاءت(ماذا) على تلك الشاكلة في موضعين آخرين من خطب نهج البلاغة[١٣٠٧].

٤ـ كيف:

معنى(كيف) عند النحاة هو(على أي حال)[١٣٠٨]، وأما استعمالها فهي للسؤال عن الحال[١٣٠٩]، لذلك قال السكاكي: "إذا قيل: كيف زيد؟ فجوابه: صحيحٌ أو سيقيمٌ أو مشغولٌ أو فارغٌ أو شبح أو جذلان، ينتظم الأحوال كلها"[١٣١٠]. وقد اختلفت الأقوال في(كيف) من حيث الإعراب بين كونها ظرفاً، فيكون موضعها النصب دائماً, وكونها اسماً, ويكون موضعها الرفع مع المبتدأ, والنصب مع غيره[١٣١١], والصحيح هو أن ليس لـ(كيف) ولا لغيرها من أدوات الاستفهام موقع إعرابي, لأن تلك الأدوات ما هي إلا كنايات توحي بنوع المستفهم عنه, وتشير إلى المعنى النحوي الذي يطلب في الجواب, أي أن "في جملة الاستفهام بالكناية موقعاً إعرابياً شاغراً لأن صاحبه مجهول, والاستفهام عنه, ولذلك نشأ الاستفهام"[١٣١٢]، فإذا استفهم بـ(كيف) مثلاً عن الخبر, فيقال: كيف حالك؟ أو كيف زيد؟ والجملة ـهناـ تفتقر إلى الخبر, فإن الجواب عندما يأتي: سعيد أو سقيم تكون كل من الكلمتين خبراً[١٣١٣], و"أما إذا دخلت(كيف) على إسناد ذُكر طرفاه(الفعل والفاعل) فالاستفهام سيكون عن الحال, نحو: كيف جئت: الجواب(ماشياً) ولا غرابة في كونها يستفهم بها عن الخبر وعن الحال, لأن الحال إنما هو خبر في المعنى ولكنه يأتي بعد تمام الإسناد"[١٣١٤]، فالذي يستفهم عنه بجملة (كيف) هو إما الخبر وإما الحال.

وقد جاءت (كيف) في خطب نهج البلاغة مستفهماً بها عن كلا الأمرين (الخبر والحال), وخارجةً جملها عن الاستفهام لتدل على معانٍ, كان منها:

(١٣٠٥) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: ١٢٧.
(١٣٠٦) نهج البلاغة(الصالح): ٢٥٣(خ١٧٥).
(١٣٠٧) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٤٣(ك١٦٨)، ١٥٠(خ١٧٥).
(١٣٠٨) ينظر: كتاب سيبويه: ٢٣٣/٤، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ١٥٩، المفصل في صنعة الإعراب: ٢١٧، شرح المفصل: ١٠٩/٤، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٠٥.
(١٣٠٩) ينظر: المقتضب: ٦٢/٣، ٩٣، ٣٣٣/٤، مفتاح العلوم: ٣١٣، ٣١٤، الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٣٣/١.
(١٣١٠) مفتاح العلوم: ٣١٣.
(١٣١١) ينظر: شرح المفصل: ١٠٩/٤, مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٠٦/١.
(١٣١٢) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٢٨.
(١٣١٣) ينظر: نفسه: ٣٣٢.
(١٣١٤) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٣٢.

أ. الاستبعاد:

إذا كان بعض اللغويين قد ذكر دلالة(الاستفهام) على(الاستبعاد) بشكل عام[١٣١٥]، فإن هناك بعضاً آخر قد نص على إفادة جملة (كيف) معنى (الاستبعاد)[١٣١٦]. ومما جاء من الاستفهام بـ(كيف) في خطب نهج البلاغة ليدل على ذلك المعنى قول الإمام (عليه السلام) واصفاً الله تعالى: ((**لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ**))[١٣١٧]، فالإمام يستبعد أن يكون السكون والحركة جاريين على الله تعالى.

ب. التعظيم:

أشار ابن قتيبة في كتابه (تفسير غريب القرآن) إلى خروج الاستفهام إلى معنى التعظيم, وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ (المرسلات/١٢) إذ قال: "استفهام على التعظيم لليوم, كما يقال: ليومٍ أي يوم"[١٣١٨]، وقد حدد الدكتور فاضل السامرائي تلك الدلالة بأن جعل ذلك المعنى أحد المعاني التي يخرج إليها الاستفهام بـ(كيف)[١٣١٩]. ومثال ما جاءت عليه تلك الدلالة في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) في صفة الله تعالى: ((**فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ وَكَيْفَ... وَكَيْفَ... رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً**))[١٣٢٠]، وليس أدل على إرادة (التعظيم) في هذا الموضع من تكرار(كيف) مرات متعددة. وهناك معان أُخَر خرجت إليها الجمل المستفهمة بـ(كيف) في خطب نهج البلاغة[١٣٢١].

٥- أين:

معنى(أين) هو (في أي مكان)[١٣٢٢]، وقد حدها ابن يعيش بقوله: "وأما أين فاسم من أسماء الأمكنة مبهم يقع على الجهات الست وكل مكان يستفهم بها عنه فيقال أين بيتك أين زيد"[١٣٢٣], والصحيح أن(أين) الاستفهامية ليست اسماً يقتضي محلاً إعرابياً, وإنما هي كناية توحي بنوع ما يستفهم عنه, وما قيل في (كيف) سابقاً يقال أيضاً في(أين). أما (أين)

([١٣١٥]) ينظر: مفتاح العلوم: ٣١٥, الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٤٠/١, أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٦٠, البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٠٠.
([١٣١٦]) ينظر: معاني النحو: ٤/ ٦٣٣.
([١٣١٧]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٧٣(خ١٨١).
([١٣١٨]) تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة، تح: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م: ٥٠٦.
([١٣١٩]) ينظر: معاني النحو: ٦٣٣/٤.
([١٣٢٠]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٢٥(خ١٥٩).
([١٣٢١]) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: ١٣٦- ١٣٨.
([١٣٢٢]) ينظر: كتاب سيبويه: ١٢٨/٢, ٢٣٣/٤.
([١٣٢٣]) شرح المفصل: ٤٥/٧.

من حيث الوظيفة فهي "للسؤال عن المكان, إذ قيل أين زيد؟ فجوابه: في الدار, أو في المسجد, أو في السوق, ينتظم الأماكن كلها"[١٣٢٤].

وقد جاءت(أين) في مواضع متعددة من خطب نهج البلاغة, وخرج للاستفهام بها للدلالة على معان مختلفة, كان أكثرها الدلالة على(التحزن) و(التحسر) و(التوجع)، وكذلك فقد دل الاستفهام على (التحذير) و(التمني) و(النفي) و(التذكير) و(الاسترشاد) و(الإنكار) و(التعجب)[١٣٢٥]، ولم ترد(أين) في خطب نهج البلاغة مستفهماً بها استفهاماً حقيقياً.

٦- متى:

(متى) أداة بمعنى(أي حين؟) أو (في أي زمان)[١٣٢٦]، لذلك كان لها استخدام محدد في الاستفهام, وهو السؤال عن الزمان, وهذا ما اتفق عليه النحاة والبلاغيون[١٣٢٧], فـ(متى) إذن "كناية عن الزمان"[١٣٢٨], وظيفتها الإشارة إلى ما يستفهم عنه بها.

ولم ترد (متى) للاستفهام إلا في موضع واحد فقط من خطب نهج البلاغة, وهو قول الإمام(عليه السلام): ((**فَيَا لِلَّهِ وَلِلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ!**))[١٣٢٩]، والاستفهام الوارد في هذا الموضع يدل على الإنكار والتعجب.

٧- أيّ:

لم يعين لـ(أيّ) معنى محدد, وإنما هي تبع لما تضاف إليه, لذلك قال المبرد: "اعلم أنَّ (أيّاً) تقع على شيء هي بعضه, لا تكون إلا على ذلك في الاستفهام"[١٣٣٠]، بمعنى آخر أن (أيّ) تكتسب معناها مما تضاف إليه, ولما كان ما تضاف إليه (أيّ) مختلف المعنى, لذلك اختلف ما تدل هي عليه من معان, وبذلك تنماز(أيّ) عن غيرها من كنايات الاستفهام التي توحي كل واحدة منها بنوع ما تدل عليه. وقد حدد السكاكي ما تقوم به (أيّ) من وظيفة داخل الجملة فقال: "وأما أي فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما, يقول القائل: عندي ثياب, فتقول: أي الثياب هي؟ فتطلب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية"[١٣٣١]، فالغرض من الاستفهام بـ(أي) هو تمييز المستفهم عنه عما اشترك فيه مع غيره.

(١٣٢٤) مفتاح العلوم: ٣١٣, وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٣٤/١.
(١٣٢٥) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: ١٣٢-١٣٤.
(١٣٢٦) ينظر: كتاب سيبويه: ٢٣٣/٤, ٢٣٥.
(١٣٢٧) كتاب سيبويه: ٢١٧/١, المقتضب: ٢٨٩/٣, شرح المفصل: ١٠٤/٤, ٤٥/٧, شرح الرضي على الكافية: ٣٠٤/٣, مفتاح العلوم: ٣١٣, الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٣٤/١.
(١٣٢٨) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٧٤, وينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٣٣٣.
(١٣٢٩) نهج البلاغة (الصالح): ٤٩(خ٣).
(١٣٣٠) المقتضب: ٢٩٣/٢.
(١٣٣١) مفتاح العلوم: ٣١٢, الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٣٢/١.

وأورد الإمام(عليه السلام) في خطب نهج البلاغة (أيّ) مستفهماً بها استفهاماً حقيقياً كما في قوله (عليه السلام) لمّا قال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ**)) فسأله الإمام: ((**فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ**))[١٣٣٢]، والدليل على أن الاستفهام بـ(أي) كان حقيقياً هو جواب النبي إذ قال: ((**بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ**))[١٣٣٣]. وأما ما أورده الإمام (عليه السلام) من استفهام بـ(أي) خارج عن معناه فقد جاء ليدل على معان منها:

أ. النفي:

قد يخرج الاستفهام بـ(أي) عن معناه ليكون متضمناً معنى(النفي)، وقد أشار إلى ذلك الفراء وهو يُخرّج معنى بيت أحد الشعراء, فعد الاستفهام الوارد بـ(أي) في البيت بمعنى (النفي)[١٣٣٤]، ومما جاء الاستفهام فيه على ذلك النحو من خطب نهج البلاغة ما كلّم به الإمام (عليه السلام) طلحة والزبير قائلاً: ((**أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ**))[١٣٣٥], أي لم أدفع لكما حقاً, ولم استأثر به عليكما, ولم أضعف عن حق رفعه إلي أحد المسلمين.

ب. التيئييس:

يخرج الاستفهام أحياناً للدلالة على(التيئييس)، ويسمى ذلك المعنى أحياناً (إياساً)[١٣٣٦]، والاسم الأول أولى به. ومما جاء في خطب النهج للدلالة على ذلك المعنى قول الإمام (عليه السلام): ((**أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ**))[١٣٣٧]، فالإمام يُيئس مخاطبيه بأن لا دار بعد دارهم يمنعون, ولا إمام بعده يقاتلون معه.

ج. التعجب:

وقد مضى بيان دلالة الاستفهام على معنى(التعجب)، ومما دلَّ على ذلك المعنى من الاستفهام بـ(أي) في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) في عمرو بن العاص: ((**إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ... فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ**))[١٣٣٨] فالإمام يعجب من كون عمرو زاجراً وآمراً عند الحرب.

(١٣٣٢) نهج البلاغة(الصالح): ٢٢٠(خ١٥٦).
(١٣٣٣) نفسه: ٢٢٠(خ١٥٦).
(١٣٣٤) ينظر: معاني القرآن: ١/١٦٤, ٤٢٣, ٣٢٤.
(١٣٣٥) نهج البلاغة(الصالح): ٣٢١- ٣٢٢(ك٢٠٥).
(١٣٣٦) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٤٨.
(١٣٣٧) نهج البلاغة(الصالح): ٧٣(خ٢٩).
(١٣٣٨) نفسه: ١١٥(خ٨٤).

وإذا كان الإمام(عليه السلام) لم يستفهم بالأداة (أيان) في نهج البلاغة على العموم[١٣٣٩], فإنه لم يستفهم أيضاً بالأداة (أنّى) في خطب نهج البلاغة على وجه الخصوص.

الفصل الثالث

العلاقات الدلالية في خطب نهج البلاغة

لم يقف الدرس اللغوي قديماً وحديثاً عند حدود الجملة بعدِّها الغاية التي تلتقي عندها مستويات اللغة جميعها, ولم يكتفِ أيضا برصد ما تحتويه تلك الجملة من علاقات تجعل هذه الجملة أو تلك تحت هذا الصنف أو ذاك, وإنما توسع النظر لأبعد من ذلك, وصار يشمل اللغة كلها, وذلك من خلال تلمس العلاقات داخل كيان اللغة أجمعها, وبيان وجود تلك العلاقات. وليس غريباً أن تبوب علاقات اللغة على أسس شكلية أو لفظية, وإنما اللافت أن تقوم تلك العلاقات على أسس دلالية أو معنوية, ويصير لكل علاقة صنف تندرج تحته, فإذا كانت العلاقة قائمة على المعنى وضده فهي من (التضاد), أو إذا كانت العلاقة قائمة على المعنى وغيره فهي من (الاشتراك), وأما إذا كانت العلاقة قائمة على أساس التشابه في المعنى فهي من (الترادف), وقد يكون تجوّزاً أن يدخل تحت هذا التصنيف نوع آخر من العلاقة يتجاوز المعنى ليشمل اللفظ كذلك، والنوع الأخير من العلاقة هو ما يعرف بـ(التقابل).

وقبل الشروع في تفاصيل كل ظاهرة من الظواهر السابقة, وبيان النماذج التي كانت قد تضمنتها خطب نهج البلاغة, ينبغي الوقوف عند مسألة هي من الأهمية بمكان, وذلك لأنها تُجنِّب البحث- على الأقل- ما دار حول تلك الظواهر من أخذ ورد وقبول ورفض, وتلك المسألة تتعلق بضرورة التمييز بين تتبع تلك الظواهر الدلالية في اللغة عامةً, وبين تتبعها في نصوص معينة (وهي خطب نهج البلاغة مظان هذا البحث), فالتتبع الأول يستلزم منهجاً تأريخياً تتبعياً, أو كما يسميه علم اللغة الحديث(منهجاً دياكرونياً), وأما التتبع الآخر فيقتضي منهجاً وصفياً آنياً, وهو ما تسميه اللسانيات الحديثة بـ(المنهج السانكروني)[١٣٤٠], إذ إن الأخير لا يهتم إلا بما يمليه الواقع اللغوي دون النظر إلى الاعتبارات الأخرى, وهذا ما سيعتمده البحث وهو يدرس (العلاقات الدلالية في خطب نهج البلاغة), أي أن البحث سَيُسجِّل ما سُجِّل فعلاً من تلك الظواهر في (خطب نهج البلاغة).

(١٣٣٩) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: ١٤٧.

(١) للاستزادة والاطلاع على المنهجين, ومعرفة جذورهما العربية والغربية, ينظر: اللسانيات والدلالة- الكلمة: ٧٧-٨٩.

أولاً: التَّضاد *Antithesis*:

أصل (التضاد) الفعل(ضدّ), والضدُّ في اللغة هو "كل شيء ضادَّ شيئاً ليغلبه, والسواد ضد البياض والموت ضد الحياة, تقول هذا ضده وضديده, والليل ضد النهار, إذا جاء هذا وذهب ذاك"[١٣٤١], فالأصل في الضد أن يخالف ضده تماماً في أغلب الوجوه, أما الوجوه الأُخَر فهي التي تجمع هذا بذاك, وتجعل أحدهما صالحاً لأن يحل محل الأخر.

أما مفهوم (التضاد) في الاصطلاح فقد تداخل تعريفه أول الأمر مع تعريف ظاهرة دلالية أخرى، وهي (المشترك اللفظي), بل ربما عُدَّت ظاهرة(التضاد) نوعاً من (المشترك اللفظي)[١٣٤٢], والصواب أنها غيره, وذلك لأن(التضاد) يقوم أصلاً على المنافاة في حين يقوم المشترك اللفظي-كما سيتضح- على الاختلاف، وبين تلك وهذا فرق، فـ(التضادُّ)- وإن كان من الاختلاف- غير أنه لا يعني كل اختلاف, "فالاختلاف أعمُّ من التضاد: إذ كل متضادين مختلفان, وليس كل مختلفين ضدين"[١٣٤٣], لذلك يمكن تعريف المفردات التي تنضوي تحت علاقة (التضاد) بأنها "الألفاظ التي يدل الواحد منها على معنيين متضادين"[١٣٤٤]. ولعلَّ أقدم تلميح ورد عند العرب إلى تلك الظاهرة هو ما جاء في كتاب العين عن الخليل بن أحمد وهو يعطي معنى مادة (شعب), إذ جاء تحت تلك المادة "هذا من عجائب الكلام ووسع اللغة أن يكون الشعب تفرقاً, ويكون اجتماعاً وقد نطق به الشعر"[١٣٤٥].

ومن اللغويين العرب القدامى من يضع شروطاً لتحقق ظاهرة (التضاد), ومن أولئك اللغويين أبو بكر بن الأنباري(ت٣٢٨هـ), الذي "يشترط أن يكون المعنيان المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين, وكل منها على وزن واحد, ولا يحكم بالتضاد فيما شذَّ عن

---

(١) كتاب العين: ٦/٧.
(٢) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٦م: ٣٨٧/١, المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً: د. توفيق محمد شاهين، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط١, ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م: ١٣١-١٣٣.
(٣) الأضداد في كلام العرب: أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، تح: د. عزة حسن، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م: المقدمة.
(٤) المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً: ١٤٣.
(٥) كتاب العين: ٢٦٣/١.

ذلك"[١٣٤٦], فابن الأنباري قد ينظر إلى شكل الألفاظ التي تنضوي عنده تحت مسمى(التضاد) , غير أنه لا يغفل الشروط التي يجب توافرها في المعاني التي تجعل هذه الألفاظ أو تلك من(التضاد). وسيُشار إلى قسم من تلك الشروط في أثناء تتبع مواضع تلك الظاهرة في (خطب نهج البلاغة).

ومثلما اشترط القدماء للتضاد شروطاً تحصر نطاقه, اشترط علماء اللغة المحدثون كذلك شروطاً للغرض نفسه, إذ إن (التضاد) عندهم هو ما "ينبغي أن يشير إلى تناقض وتضاد الدلالات، ولا يصدق ذلك إلا بشكل مشروط, لأنه يصعب أن يحدد بوجه عام من أي أساس مشترك يثبت تضاد الدلالات"[١٣٤٧], فـ(التضاد) له شروطه, وأهم شرط من تلك الشروط هو السياق الذي يمنح الكلمة معناها, ويحدد دلالتها, فتكون بذلك من (التضاد) أو من غيره[١٣٤٨]. وفي ضوء ما تقدم سيقف البحث عند بعضٍ من سياقات (خطب نهج البلاغة) لتلمس نماذج من الكلمات التي عُدتْ لدى الأضداديين ألفاظاً متضادّة.

١- التضاد في الأسماء:

أ. بلاء:

جاء في كتاب الأضداد لعبد الملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٦هـ) أنَّ "البلاء يَكُونُ نِعْمَةً وَمِحْنَةً وَيَكُونُ نِقْمَةً ومِحْنَةً"[١٣٤٩], فـ(البلاء) لفظة تحمل معنيين متضادين عند الأصمعي.

وقد جاءت كلمة (بلاء) في ثلاثة مواضع من خطب نهج البلاغة, وهي قول الإمام(عليه السلام): ((**سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً! بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ**))[١٣٥٠], وقوله أيضا: ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ**))[١٣٥١], وكذلك قوله: ((**أُوصِيكُمْ, أَيُّهَا النَّاسُ, بِتَقْوَى اللَّهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَيْكُمْ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ**))[١٣٥٢], والملاحظ أن الموضعين الأول والأخير يدلان على النعمة, والدليل على ذلك في الموضع الأول هو إضافة كلمة (حسن) إلى كلمة (بلاء) , وذلك لا يكون إلا في موضع الخير والنعمة[١٣٥٣], أما دليل الموضع الآخر(الأخير) فهو ورود كلمة (بلاء) في سياق ذكر آلاء الله ونعماته, وهذا ما يصرف معنى كلمة (بلاء) إلى تلك المعاني انسجاماً معها. في حين دلت كلمة (بلاء) في الموضع الثاني على معنىً يُضاد المعنى الأول, وهو المحنة, والدليل على ذلك أن الإمام (عليه السلام) جعل الحمد على آلاء الله تعالى في مقابل الحمد على بلائه سبحانه, وهذا ما صرف معنى (البلاء) إلى ما يناقض معنى (الآلاء) , وقد جعل أحد شراح النهج كلمة (بلاء) في

---

(١) الأضداد في اللغة (بحث): حسين محمد, مجلة اللسان العربي، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط، المغرب الأقصى، مج ٨، ع١، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م: ١٠٣.
(٢) المدخل إلى علم اللغة: كارل- ديتر بونتج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١- ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ٢٥٧.
(٣) ينظر: التضاد في القرآن الكريم: محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق، ط١, ١١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م: ٤٠-٤١.

(١) ثلاثة كتب في الأضداد- للأصمعي والسجستاني ولابن السكيت: نشرها: د. أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢م: ٥٩.
(٢) نهج البلاغة (الصالح): ١٥٩(خ١٠٩).
(٣) نفسه: ١٦٩(خ١١٤).
(٤) نفسه: ٢٧٨(خ١٨٨).
(٥) ينظر: نفسه: ٦١٥(في هامش١٤٥٨).

الموضع الثاني بمعنى المصائب[١٣٥٤], غير أن كلمة (بلاء) على وفق الشروط التي وضعها ابن الأنباري تخرج من دائرة الأضداد, ذلك لكونها(بلاء) لها معنىً واحد ترجع إليه وهو الاختبار[١٣٥٥], إذ إن ابن الأنباري قد "اشترط أن يكون للصيغة الواحدة معنيان متضادان لا يمكن ردهما إلى معنى واحد"[١٣٥٦], والبلاء الوارد في خطب نهج البلاغة معناه الاختبار, غير أن ذلك الاختبار قد يكون بالنعمة تارة, أو قد يكون بالمحنة تارة أخرى, فالتضاد في كلمة (بلاء) لم يكن في معناها, وإنما التضاد كان في أسلوب تحقق ذلك المعنى(الاختبار), فقد يكون ذلك الأسلوب حسناً, أو يكون سيئاً. وعليه تكون كلمة (بلاء) ليست من التضاد في خطب نهج البلاغة، لأن معناها واحد وإن كان حصول ذلك المعنى متضاداً, وحصول المعنى غير المعنى.

ب. السُّدَف:

قال أبو محمد عبد الله بن محمد التوزي (ت٢٣٣هـ) في كتابه (كتاب الأضداد): "والسَّدف: الظلمة والضوء... ويقال: أسدِفْ لي عن الباب أي أضىء لي. ويقال: أتانا بسَدف من الليل أي بظلمة"[١٣٥٧], والسُّدَف واحدتها سدفة, وقد حُملت هذه الكلمة على التضاد نظراً لاختلاف اللهجات, فهي" في لُغَةِ بَني تَميمٍ: الظُّلْمَةُ: وَفِي لُغَةِ قَيسٍ: الضَّوْءُ"[١٣٥٨]، ومهما كان السبب الذي يكمن وراء كلمة (السدفة) فإنها عدت لدى الأضداديين من الأضداد .

وقد جاءت كلمة (السدفة) في ثلاثة مواضع من خطب نهج البلاغة, اثنان منها على صيغة الجمع (سُدَف), والآخر على صيغة المفرد (سُدفة)، فمما جاء على صيغة الجمع قول الإمام (عليه السلام) في تنبيه الخلق: ((**عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً، وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً... قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ، وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرَّيْبِ**))[١٣٥٩], وفسر ابن أبي الحديد المعتزلي كلمة (سُدَف) في هذا المحل قائلاً: "والسُّدف: جمع سُدفة: هي القطعة من الليل المظلم"[١٣٦٠], فـ(سُدَف) بحسب السياق السابق تعني الظُّلَم, ولا يختلف هذا المعنى عن معنى (سُدف) التي وردت موضع آخر من خطب النهج, حيث قال الإمام (عليه السلام) في صفات الله تعالى: ((**هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ... رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ**))[١٣٦١], وقد أعاد ابن أبي الحديد كلامه السابق وهو يشرح معنى (سُدَف) في هذا الموضع[١٣٦٢]. وعليه فأن كلمة (سُدَف) لم تكن من الأضداد في خطب نهج البلاغة وإن وردت في أكثر من موضع من تلك الخطب.

أما الموضع الآخر الذي استعمل فيه الإمام كلمة (سُدفة) بصيغة الإفراد فهو في خطبته التي يذكر فيها قدرة الله تعالى, ومنها ((**عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ...وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ، وحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، وَ مَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ، أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ**))[١٣٦٣], فـ(السدفة) في هذا الموضع هي الظلمة[١٣٦٤] أيضاً وإن اختلفت صيغتها عن سابقتيها, ولا أدل على دلالة (سدفة) على الظلمة من إضافتها إلى كلمة (ليل). فـ(السُدف) إذن في خطب نهج البلاغة- وإن اختلفت الهيأة التي جاءت عليها- فإنها لم تأت إلا بمعنى واحد, وهذا ما يخرجها عن الأضداد في خطب النهج.

---

(٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٣١٤/٣.
(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، انتشارات ذوي القربى، شريعت قم، ط٢، ١٤٢٣هـ. ق: ١٤٥- ١٤٦.
(٢) الأضداد في اللغة (بحث): ١٠٣.
(٣) كتاب الأضداد: أبو محمد عبد الله بن محمد التوزي(بحث), تح: محمد حسين آل ياسين، مجلة المورد، دار الحرية للطباعة، بغداد، مج٨، ع٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م: ١٦٥-١٦٦.
(٤) كتاب الأضداد: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، تح: د. محمد عودة سلامة أبو جري، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت: ١٠٩.
(١) نهج البلاغة (الصالح): ١٠٩(خ٨٣).
(٢) شرح نهج البلاغة:٢٥٣/٦.
(٣) نهج البلاغة (الصالح): ١٢٥(خ٩١).
(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٤٠٩/٦.
(٥) نهج البلاغة (الصالح): ١٣٤-١٣٥(خ٩١).
(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢٩/٧.

ج. وراء:

ذُكرت كلمة (وراء) في كتب الأضداد بمعنيين متضادين, فهي عند الأصمعي بمعنى خلف, وبمعنى قُدّام[١٣٦٥], وكذلك عندما ذكرها التوزي في أضداده قال: "وزعم أبو عبيدة أن وراء: خلف وأمام"[١٣٦٦], وهي بهذين المعنيين عند أبي يوسف يعقوب ابن إسحاق (ابن السكيت) (ت٢٤٤هـ)[١٣٦٧], وعند ابن الأنباري[١٣٦٨], وعند محمد بن بدر الدين الرومي الآقحصاري الشهير بـ(المنشي)(ت١٠٠١هـ)[١٣٦٩].

وقد جاءت كلمة (وراء) في خطب نهج البلاغة في خمسة مواضع، منها قول الإمام (عليه السلام) للخليفة عثمان بن عفان: ((**إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي و قَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ**))[١٣٧٠] وهذا الموضع لا تحتمل فيه(وراء) غير الدلالة على الخلف, وذلك لأن الموقف حسّيّ, ويمكن مشاهدته, و"أن المدركات بالعين لا يصح (الوراء) معها بمعنى (الأمام)"[١٣٧١], وتلك الدلالة دلالة حقيقية تعكس واقعية المشهد الذي عبرت عنه (وراء) في النص السابق.

أما عندما تكون (وراء) ذات دلالة مجازية, ويكون ما تدل عليه معنوياً غير منظور, فإنها تحمل معنى أمام, ومعنى خلف في الوقت نفسه, إذ إن غياب ما تدل عليه (وراء) عن الحسّ والمشاهدة يصرف معناها إلى أكثر من اتجاه, وقد أشار ابن قتيبة إلى ذلك في كتابه (تأويل مشكل القرآن) إذ قال: "كل ما غاب عن عينك فهو وراء, كان قدامك أو خلفك"[١٣٧٢], وقد جاءت (وراء) حاملة المعنيين معاً في قول الإمام(عليه السلام): ((**أَيُّهَا النَّاسُ, إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ- وإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ- عَنْ عِتْرَتِهِ, وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وأَلْسِنَتِهِمْ وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ, وأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ**))[١٣٧٣], فالحيطة ليست بالضرورة أن تكون من الخلف فحسب, وإنما قد تكون من أكثر من مكان, وهذا ما أفادته(وراء) سواء في هذا الموضع, أو في موضع آخر وردت فيه من خطب نهج البلاغة[١٣٧٤]. وأضاف الفراء الدلالة الزمانية إلى الدلالة المجازية لـ(وراء) في جعلها ذات معنيين متناقضين في آنٍ واحدٍ فقال: "ولا يجوز أن تقول لرجل وراءك هو بين يديك, ولا لرجل هو بين يديك: هو وراءك, إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والليالي والدهر أن تقول وراءك برد شديد: وبين يديك برد شديد؛ لأنك أنت وراءه فجاز لأنه شيء يأتي, فكأنه إذا لحقلك صار من ورائك, وكأنك إذا بلغته صار بين يديك. فلذلك جاز الوجهان"[١٣٧٥], فالدلالة الزمانية التي يشترطها الفراء- كما يظهر من كلامه- هي الدلالة على المستقل. وقد وردت (وراء) على تلك الدلالات في موضعين فقط من خطب نهج البلاغة, وهما قول الإمام(عليه السلام): ((**فَاسْتَتِرُوا فِي بُيُوتِكُمْ ،وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلَا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ**))[١٣٧٦], وقوله أيضاً: ((**أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ**))[١٣٧٧], فالتوبة والأجل هما مما يكونان مستقبلاً لذلك جاءت معهما(وراء) لتصدق في دلالتها على معنى (أمام) ومعنى (خلف).

وبناء على ما تقدم يظهر أن لكلمة(وراء) في خطب نهج البلاغة معنيين, أحدهما حقيقي، والآخر مجازي, وقد كشف السياق عن كلا المعنيين, وهذا ما يُخرج (وراء) من الأضداد, ذلك لأن مما اشترطه الأضداديون في ألفاظ التضاد هو "ألا يكون المعنى

---

(١) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد: ٢٠.
(٢) كتاب الأضداد(التوزي): ١٧٢.
(٣) ينظر: كتاب الأضداد (ابن السكيت): ٨١.
(٤) ينظر: الأضداد: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م: ٦٨.
(٥) ينظر: رسالة الأضداد: محمد بن بدر الدين المنشي، تح: محمد حسين آل ياسين، مكتبة الفكر للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ١٩٨٥م: ٥١.
(٦) نهج البلاغة (الصالح): ٢٣٤(ك١٦٤).
(٧) التضاد في القرآن الكريم: ٢١٥.
(٨) تأويل مشكل القرآن: ١٨٩.
(١) نهج البلاغة (الصالح): ٦٥(خ٢٣).
(٢) ينظر: نفسه: ٢٢٤(خ١٥٩).
(٣) معاني القرآن: ١٥٧/٢.
(٤) نهج البلاغة (الصالح): ٥٨(ك١٦).
(٥) نفسه: ٧١(خ٢٨).

الثاني مجازياً"[١٣٧٨], وذلك النوع من الألفاظ وإن كان قد ألمح إليه ابن الأنباري تلميحاً, فكان يذكر في صدر المادة منه أحياناً عبارة (ومما يشبه الأضداد) أو (ما يجري مجرى الأضداد) مشيراً إلى أنه يجد فيه شيئاً ما فإن "أبا الطيب [اللغوي(ت٣٥١هـ)] كان صارماً تجاه هذه الفئة من الأضداد, فلم يدرجها في مواضعها من كتابه, وإنما أفرد لها فصلاً في آخر الكتاب أطلق عليه (باب ما جاء مسمى باسم غيره لما كان من سببه, فأدخله من كان قبلنا في الأضداد"[١٣٧٩], فكأن أبا الطيب يعترض على من يدخل صنفاً معيناً من الكلمات تحت باب الأضداد, ويضعها هو تحت بابٍ غيره, وليست كلمة(وراء) في خطب النهج بمنأى عن تلك الكلمات كما اتضح.

٢- التضاد في الأفعال:

أ. رجا:

جاء في كتاب الأضداد لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت٢٤٨هـ) في لفظة (رجا) ما نصه "والرجاء يكون طمعاً ويكون خوفاً"[١٣٨٠], وذهب غير السجستاني من اللغويين أيضاً إلى القول بضدية(رجا)[١٣٨١].

وقد جاء الفعل (رجا) في خطب نهج البلاغة في ستة عشر موضعاً, ثلاثة منها على بناء (فَعَلَ), والأُخَر على بناء (يفعل), فأما الذي على بناء (فعل) فقد جاء منه في قول الإمام (عليه السلام) في صنف من الناس: ((**وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا، مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ، عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ، عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ, ... فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ: لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ**))[١٣٨٢], ولا تحتمل كلمة(رجا) في هذا الموضع غير معنى (طمع) لسببين:

أولهما: مقابلتها لكلمة(خاف) السابقة لها.

وثانيهما: إنَّ الطمع لا يكون إلا فيما يصيبه الإنسان نفسه.

والسببان السابقان يجعلان معنى(رجا) في ذلك الموضع محصوراً في الدلالة على الطمع, ولا يختلف ذلك المعنى للفعل(رجا) عنه في الموضع الثاني حيث يقول الإمام(عليه السلام): ((**شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ، سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى**))[١٣٨٣]، فالسياق يدلُّ على أن (رجا) في هذا الموضع تعني(طمع), وقد دلت على ذلك المعنى كلمة (طالب) من النص نفسه, إذ إن الإنسان عادة يطلب ما يطمع فيه, وقد ألمح أحد شراح النهج إلى ذلك المعنى عندما وقف عند كلمة(رجا) من الموضع الأخير فقال: "رجا أي رجا الثواب والجنان"[١٣٨٤], والثواب والجنان هما مما يُطمع في الحصول عليه. وقد جاءت (رجا) في الموضع الثالث بمعنى (طمع) أيضاً, وذلك لأنَّ الإمام (عليه السلام) قد جعل الرجاء في ذلك الموضع مقابلاً للخوف[١٣٨٥].

وأما المواضع الأخرى التي ورد فيها الفعل (رجا), وكان على بناء (يفعل) - وهي ثلاثة عشر موضعاً- فلم يلمح في أحدها معنى الخوف أبداً, بل إن بعضاً منها كان معناه إلى الطمع أقرب, ومن الممكن أن يجمع معاني بناء (يفعل) من (رجا) في خطب نهج البلاغة معنى واحد وهو الطلب, وطبيعيٌّ أن يكون ما يُطلب هو مما يُطمع فيه, وقد أكد الفراء هذه الفكرة عندما أشار إلى ضدها

---

(٦) الأضداد في اللغة (بحث): ١٠٤.
(١) الأضداد في اللغة: محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م: ٢١١, وينظر: الأضداد في كلام العرب: ٧١١/٢-٧١٩.
(٢) ثلاثة كتب في الأضداد: ٨٠.
(٣) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد: ٢٣-٢٤, ١٨٠، ٢٣٠, الأضداد(ابن الأنباري): ١٨, كتاب الأضداد(التوزي): ١٦٤.
(٤) نهج البلاغة (الصالح): ٥٩(ك١٧).
(١) نهج البلاغة (الصالح): ٥٨(ك١٦).
(٢) توضيح نهج البلاغة: ١٠٥/١.
(٣) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٢٥(خ١٦٠).

فقال: "ولا يجوز رجوتك وأنت تريد خفتك"[١٣٨٦]. ومثال ذلك في خطب نهج البلاغة قول الإمام (عليه السلام) في رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ((**فَأَعْرَضَ عَنْ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ, وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ, وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ, لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً, وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً, وَلَا يَرْجُوَ فِيْهَا مُقَامَاً**))[١٣٨٧], أي لا يطلب فيها, ولا يطمع في ذلك، وقوله كذلك عن نفسه (عليه السلام): ((**فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوَلِّهِ الْعِجَالِ, وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ... وَخَرَجْتُمْ إلى اللهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عَنْدَهُ... لَكَانَ قَلِيلاً فِيْمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ, وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ**))[١٣٨٨], أي أن الإمام يطلب ثواب الله تعالى طمعاً فيه, وقد أيد تلك الدلالة المقابلة التي عقدها الإمام بين الفعلين(أخاف) و(أرجو)، إذ إنّ الفعلين متقابلان دلالياً. والأمثلة الأخرى كلها تجري على ذلك النمط من الدلالة[١٣٨٩].

وعليه فإن كلمة (رجا) وإن أجمع مصنفو كتب الأضداد على ضديتها, وأوردوا على ذلك الشواهد غير أن الإمام (عليه السلام) في خطبه لم يستعملها إلا بمعنى واحد هو (الطمع), أو بمعنى آخر ليس ضداً للأول وإنما هو مخالف له, بل ربما جاء المعنى المخالف متضمناً المعنى الأول, لذلك فإن (رجا) على البنائين(فَعَلَ) و(يَفْعَل) لم تكن من الأضداد في خطب نهج البلاغة.

ب. ظنَّ:

يُذكر للفعل(ظنَّ) معنيان يُجمع الأضداديون على ضديتهما, فقد ذكر الأصمعي في أضداده أنَّ "الظنّ اليقين, والظنّ الشّكّ "[١٣٩٠], وقد تابع الأصمعي عددٌ من اللغويين في إعطاء معنيين متضادين لـ(ظن)[١٣٩١]. ويبدو أن الذي دعا إلى تأكيد ضدية(ظن) هو تفسير ما جاء في القرآن الكريم منها على كلا المعنيين (المتضادين), فقد أورد أبو حاتم السجستاني في كتاب الأضداد ما نصه" الظنُّ في القرآن شكٌ والظنُّ يقين, فالشكُّ قوله: ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[١٣٩٢], وقوله تعالى: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[١٣٩٣], أي توهموا ذلك, ومن اليقين ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾[١٣٩٤], ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَه ﴾[١٣٩٥], وقوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴾[١٣٩٦]"[١٣٩٧]. فـ(ظنّ) عند أهل الأضداد ذات معنيين (يقين) و(شك).

(١٣٨٦) معاني القرآن: ٢٨٦/١.
(١٣٨٧) نهج البلاغة(الصالح): ٢٢٨(خ١٦٠).
(١٣٨٨) نهج البلاغة(الصالح): ٨٩(خ٥٢).
(١٣٨٩) ينظر: نفسه: ١٦٣(خ١٠٩)، ١٦٦(خ١١١), ١٧١(خ١١٤), ١٧٥(ك١١٨)، ١٩٩(خ١٣٤), ٢٠٦(ك١٤٨), ٢٢٥-٢٢٦(خ١٥٩), ٣١٧(خ١٩٩).
(١٣٩٠) ثلاثة كتب في الأضداد: ٣٤.
(١٣٩١) ينظر: كتاب الأضداد(التوزي): ١٦٤, الأضداد في اللغة(ابن السكيت): ١٠٨-١٠٩, تأويل مشكل القرآن: ١٨٧.
(١٣٩٢) الجاثية/٣٢.
(١٣٩٣) الحشر/٢.
(١٣٩٤) البقرة/٤٦.
(١٣٩٥) الحاقة/٢٠.
(١٣٩٦) القيامة/٢٨.
(١٣٩٧) ثلاثة كتب في الأضداد: ٣٤-٣٥.

وقد جاءت لفظة (الظن) على صيغة الفعل في خطب نهج البلاغة في سبعة مواضع, ثلاثة منها على صيغة البناء (فَعَلَ), والأربعة الأخرى على صيغة البناء (يَفعَلُ), فمن المواضع التي استعمل فيها الإمام (ظنّ) على بناء (فعل) قوله (عليه السلام) في وصف أصحابه في صفين: ((**فَتَدَاكَّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا, وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا, وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا, حَتّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ, أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ**))[١٣٩٨], فالظَّنُّ الذي أورده الإمام ظنٌّ فيه مقدار من اليقين, أو هو يقين مظنون به, وقد اكتسب ذلك الظنُّ يقينه من كثرة الدلائل التي أشارت إليها طبيعة الموقف الذي ذكره الإمام في كلامه, وذلك الموقف هو تداكُّ الأصحاب عليه, وهذا ما أوحى إلى أن القتل متحقق لا محالة, وأنَّ الظن يقين, وأما اليقين الذي شابَهُ الظن فقد تأتّى من عدم مشاهدة القتل عياناً, أو عدم تحققه أصلاً, فالظن في قول الإمام لم يخلص إلى إثبات الشك, ولم يخلص إلى إثبات اليقين, وإنما هو مرتبة تراوحت بين الاثنين, أو هو كما عبر أحد المحدثين "درجة من الدرجات الواقعة بين يقينين متضادين, هما يقين إثبات ويقين نفي, فإذا كثرت دلائل الإثبات صار الشك ظناً واقترب من اليقين"[١٣٩٩], وكذلك اليقين إذا تعذر حصوله واقعاً, وانعدمت مشاهدته عياناً فإنه يصير ظناً, فالظن الذي ذكره الإمام لم يرقَ إلى مرتبة الشك التي تُضاد فيها مرتبة اليقين.

وقد تضمنت خطب النهج مواضع أُخر تحمل تلك المرتبة من الظن ومنها قول الإمام (عليه السلام) في صفة المتقين: ((**فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيْهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً, وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً, وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِم. وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ, وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ**))[١٤٠٠], فالظن قد ورد في موضعين من النص السابق, وكلاهما بمعنى الظن المتقين منه لكثرة الدلائل عليه من القرآن الكريم والسنة النبوية, مما جعل أولئك المتقين الذين وصفهم الإمام(عليه السلام) يبلغون بظنهم تلك المرتبة من الظن التي تقترب من اليقين, ولكنها ليست بيقين, لأن المتقين لم يتنعموا حقيقةً فيتشوقوا إلى ذلك التنعيم طمعاً, كما أن زفير جهنم وشهيقها لم يكونا في أصول آذانهم واقعاً فيخافوا منهما, ولعلّ تلك المرتبة من (الظن المتيقن) هي التي جعلت ابن أبي الحديد يفسر الظن في هذا الموضع بقوله: "والظن ها هنا يمكن أن يكون على حقيقته, ويمكن أن يكون بمعنى العلم, كقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾[١٤٠١]"[١٤٠٢], بل أن أحد شراح النهج قد استبعد دلالة الظن على ظاهره, وصرف معناه في الموضعين من النص إلى دلالتين مختلفتين عن ظاهر الظن, فكان الفعل(ظنوا) الأول عنده بمعنى (أيقنوا), و(ظنوا) الآخر بمعنى(علموا)[١٤٠٣], والواقع أن الظن في الموضعين كليهما غير ما فُسِّر به.

وعلى المعنى الذي جاء عليه (الظن) الذي على بناء (فَعَلَ) جاء كذلك على بناء (يَفعَل) في موضع واحد فقط من خطب نهج البلاغة، وهو قول الإمام (عليه السلام) في وصف أيام بني أمية: ((**حَتّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ, تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا, وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا..كَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ. بِلْ هَيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونها بُرْهَةً, ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً**))[١٤٠٤], فلو كان الظن شكاً ثابتاً لما توهم الظان ما توهمه من منح الدنيا بني أمية دَرَّها, وإيرادهم صَفْوَها, وفي الوقت نفسه لو كان اليقين ثابتاً لَلُمِسَ واقع ذلك الحال, ولعاشه الظان نفسه, وأيضاً لما كذَّب الإمام ذلك الظانَّ فيما أردف من كلامه (عليه السلام).

والملاحظ في ما سبق أن الإمام يورد النوع السابق من (الظن) مع نمط خاص من الناس, فهو يستعمله تارة مع نفسه (الموضع الأوّل), أو مع المتقين (الموضعان الثاني والثالث), وهو(عليه السلام) والمتقون ممن بلغ مرتبة يمكن أن تسمى مرتبة (الظن اليقيني)- إذا جاز التعبير- وبالمقابل يستعمل ذلك(الظن) مع من يخالف ذلك (الموضع الرابع), أو بالأحرى مع من بلغ مرتبة (اليقين الظني).

ولا تكاد تحمل المواضع الأخرى التي جاء فيها (الظن) على بناء (يفعل) غير معنى (الظن) نفسه, أي الشك, وخصوصية تلك المواضع أن الإمام(عليه السلام) قصد بها الناس عامة, ولم يحدد صنفاً محدداً, ومن ذلك مثلاً قوله (عليه السلام): ((**وَلَا تَظُنُّوا بِي**

([١٣٩٨]) نهج البلاغة(الصالح): ٩٠-٩١(خ٥٤).
([١٣٩٩]) التضاد في القرآن الكريم: ١٦٨.
([١٤٠٠]) نهج البلاغة(الصالح): ٣٠٤(خ١٩٣).
(٢) المطففين/٤.
([١٤٠٢]) شرح نهج البلاغة:١٤٣/١٠.
([١٤٠٣]) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٢٦/١٢.
([١٤٠٤]) نهج البلاغة(الصالح): ١٢٠(خ٨٧).

اسْتِثْقَالاً فِي حَقّ قِيلَ لِي, وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي, فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَثْقَلَ الحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ))[١٤٠٥], أي لا تشكوا. وكذلك أتى(الظن) على هذا المعنى في الموضعين الآخرين من خطب النهج[١٤٠٦].

والنتيجة التي ينتهي إليها البحث في الكشف عن ضدية (ظنّ) في خطب نهج البلاغة, هي أن(ظنّ) على البنائين (فعل) و(يفعل) وإن جاءت في مواضع متعددة فإنها لم تتضمن غير معنى(الظن) نفسه, غير أن ذلك (الظَّنّ) قد تختلف مراتبه بحسب الظان والمظنون به، لذلك لم يخلص(الظن) ولو في موضع واحد- في الأقل- إلى معنى اليقين الذي يكسب(ظن) ضديتها, وبذا تخرج (ظن) في خطب نهج البلاغة من الأضداد.

ج. عَفَا:

جاء في أضداد ابن السكيت, "ويُقَالُ: قد عَفَا الشَّيءُ: إذَا دَرَسَ, يَعْفُو عَفَاءً, وَعَفَا يَعْفُو عُفُوّاً إذَا كَثُرَ. قال الله عزَّ وجلَّ(حَتَّىٰ عَفَواْ)[١٤٠٧] مَعْنَاه كَثُرُوا"[١٤٠٨]. وذهب إلى ضدية (عفا) عدد من مصنفي كتب الأضداد[١٤٠٩], وقد استبعد أحد الباحثين المحدثين الفعل (عفا) عن أن يكون متضمناً معنى الضد التام, لذلك ذهب إلى القول: بـ "أنه لا تضاد بين الكثرة والاندراس, لأن ضد الكثرة القلة, وضد الاندراس البقاء, ولكنا إذا تساهلنا قليلاً وقلنا إن بينهما شبه تضاد, فإننا نرد ذلك إلى معنى عام يجمع المعنيين, هو الإهمال والإعراض"[١٤١٠], فالباحث وإن كان مصيباً فيما ذهب إليه من وجود معنى عام يجمع معنيي الكثرة والاندراس, غير أنه قد جانب الدقة عند ما أقرّ بوجود (شبه تضاد) في الفعل(عفا), وهو نفسه صرح بأن ضد(القلة) (الكثرة), وضد(الاندراس) (البقاء), فإن كان هناك من علاقة بين (الكثرة) (والاندراس) فهي علاقة اختلاف لا غير, وليست علاقة تضاد, إذ إن من المعروف-كما مرَّ- أن "ضد كل شيء ما نافاه, نحو البياض والسواد, وليس كل ما خالف الشيء ضداً له: ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين؟"[١٤١١]، وليس أثبت من تتبع (عفا) في خطب نهج البلاغة في بيان حقيقتها.

فقد جاء الفعل(عفا) في خمسة مواضع من خطب نهج البلاغة, وقد تنوعت دلالة معناه لأكثر من المعنيين اللذين ذكرهما الباحث, فقد ورد الفعل(عفا) على بناء(فعل), وكان بمعنى اندرس[١٤١٢] كما في قول الإمام (عليه السلام): ((**إِنْ تَثْبُتْ الوَطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ, وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ, وَمَهابِّ رِيَاحٍ, وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ, اضْمَحَلَّ فِي الجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا, وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخَطُّهَا**))[١٤١٣], وكذلك بمعنى أزال كما في قوله(عليه السلام): ((**اسْتَعْمَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعةِ رَسَولِهِ, وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ**))[١٤١٤], أي أزال الله تعالى الذنب عنا وعنكم, إذ إن مفعول (عفا) يحذف عندما تأتي بهذا المعنى, وقد صرّح بذلك الحسين بن محمد بن الفضل (الراغب الأصفهاني) (ت٤٢٥هـ) في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) عندما قال: "وعفوت عنه: قصدتُ إزالة ذنبه صارفاً عنه, فالمفعول في الحقيقة متروك, وعن متعلق بِمُضْمَرٍ"[١٤١٥]. وكذلك أتى الفعل (عفا) بمعنى أعرض كما

(١٤٠٥) نهج البلاغة(الصالح): ٣٣٥(خ٢١٦).
(١٤٠٦) ينظر: نفسه: ٣٠٥(خ١٩٣), ٣٣٥(خ٢١٦).
(١) الأعراف/٩٥.
(١٤٠٨) كتاب الأضداد (ابن السكيت): ٦٣.
(١٤٠٩) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد: ٨, ٩٢, ٢٣٩, كتاب الأضداد(التوزي): ١٦٨-١٦٩, رسالة الأضداد: ٥٠.
(١٤١٠) التضاد في القرآن الكريم: ١٨١.
(١٤١١) الأضداد في كلام العرب: المقدمة.
(١٤١٢) ينظر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي الشوشتري، دار أمير كبير للنشر، طهران، ط١، ١٣٧٦: ٤١/١١, نهج البلاغة(الصالح): ٦٢٧ (في هامش١٨٢٨).
(١٤١٣) نهج البلاغة(الصالح): ٢٠٧(ك ١٤٩).
(١٤١٤) نفسه: ٢٨٢(خ١٠٩).
(١٤١٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٧٤.

في قوله (عليه السلام): ((**وَلَو أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ!**))[١٤١٦]. وقد دلَّ البناء (يفعل) من (عفا) على المعنى الذي دل عليه البناء (فعل) في معناه الأخير, وهو الإعراض, وذلك في الموضعين الباقيين اللذين جاء فيهما الفعل (عفا) من خطب نهج البلاغة[١٤١٧].

فعلى الرغم من عدِّ الفعل (عفا) ضمن كلمات الأضداد لدى الاضداديين القدامى, وقبول ضديتها- بنسبةٍ ما- لدى أحد المحدثين, فإنه (عفا) لم يكن كذلك حقيقة, وإن ما تضمنه من معنى- وإن اختلف- فإنه لا يرقى إلى درجة التضاد, وقد أيد ذلك مجيؤه على تلك المعاني التي ذكرت في خطب نهج البلاغة.

٣- التضاد في الصفات:

أ. بصير:

ذكر أبو حاتم السجستاني في أضداده كلمة (بصير) فقال: "وَقَدْ قالُوا بصيرٌ لِلْبصِيرِ والأعمى... وقالَ لي رَجُلٌ مِنْ شِقّ الأَحْسَاءِ لي أُمٌّ بَصِيرَةٌ يُرِيدُ عَمْيَاءَ"[١٤١٨], وقد تحكم دافعان في عدّ كلمة (بصير) من الأضداد، والدافعان هما: دافعٌ اجتماعي غرضه اجتناب ذكر ما يكره, ودافع بلاغي المقصد منه إضفاء لمحة فنية على تعابير اللغة [١٤١٩], والمهم من ذلك كله أن كلمة (بصير) في عرف القائلين بالأضداد تعدُّ من الأضداد.

وقد وردت كلمة(بصير) في خطب نهج البلاغة في ثماني مواضع, ثلاثة منها صفات لله تعالى, ومنها قول الإمام (عليه السلام): ((**كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالجَفَاءِ, بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ**))[١٤٢٠], والمراد من(بصير) في هذا الموضع- وكذلك في المواضع الباقية- هو معناها الظاهر، ولا يصحُّ المعنى الآخر في تلك المواضع مطلقاً, وأما المواضع الأخرى- غير الثلاثة المتقدمة- فقد استعار فيها الإمام لفظة (بصير) للعارف العالم ذي البصيرة, ومن تلك المواضع مثلاً قوله (عليه السلام): ((**إنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهى بَصَرِ الْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً, وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُها بَصَرَهُ, وَيَعْلَمُ أنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا, فَالبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ, والأعْمَى إلَيْهَا شَاخِصٌ, وَالْبَصِيرُ مِنْها مُتَزَوِّدٌ, وَالْأَعْمَى لَها مُتَزَوَّدٌ**))[١٤٢١], فكلمة (بصير) في خطب نهج البلاغة خرجت من الأضداد لسببين:

أولهما: مجيؤها على الحقيقة في مواضع, وعلى المجاز في مواضع أخرى. **وثانيهما**: إنها لم تأتِ دالة على الأعمى لتكون بذلك ضداً لـ(بصير).

ب. سليم:

تُشبه كلمة (سليم) كلمة (بصير) من حيث أن وراءها دافعاً دعا إلى القول بضديتها، غير أنَّها تختلف عنها من حيث نوع ذلك الدافع، فإذا كان الدافعان (الاجتماعي) و(البلاغي) هما اللذين جعلا كلمة (بصير) من مفردات الأضداد، فإن الدافع النفسي هو الذي دعا إلى عدِّ تلك الكلمة من ذلك النوع من المفردات، إذ يذكر أنَّ التفاؤل هو الذي جعل كلمة (سليم) تطلق على اللديغ أيضاً, ومن ثم جعل لكلمة (سليم) مكاناً بين كلمات الأضداد, فقد ذكر أبو حاتم السجستاني في أضداده المفردة (سليم) قائلاً: "وقالوا السَّلِيمُ السَّالِمُ والسَّلِيمُ الْمَلْدُوغُ, وَهُوَ عِنْدِي عَلَى التَّفَؤُّلِ"[١٤٢٢], فـ(سليم) (أي صحيح) و (ملدوغ) (أي سقيم) لفظتان متضادتان عند أبي حاتم.

(١٤١٦) نهج البلاغة (الصالح): ٢٥٧(خ١٧٨).
(١٤١٧) ينظر: نفسه: ٢٢٤(خ١٦٠), ٣٠٥(خ١٩٣).
(١٤١٨) ثلاثة كتب في الأضداد: ١٣٨-١٣٩.
(١٤١٩) ينظر: التضاد في ضوء اللغات السامية: د. ربحي كمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م: ١١, المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد(أطروحة دكتوراه): هادي عبد علي هويدي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ٢٨٢.
(١٤٢٠) نهج البلاغة (الصالح): ٢٥٨ك(١٧٩), وينظر: ٤٠(خ١), ٢١٢(خ١٥٢).
(١٤٢١) نفسه: ١٩١-١٩٢(خ١٣٣), وينظر: ٩٦(خ٦٥), ٢١٣(خ١٥٣).
(١٤٢٢) ثلاثة كتب في الأضداد: ١١٤, وينظر: ٢٣٣, كتاب الأضداد (التوزي): ١٨٦.

وقد أورد الإمام (عليه السلام) كلمة(سليم) ثلاث مرات في خطب نهج البلاغة, اثنان منها جاءت مع جارحتي القلب واللسان السالمتين, فأما التي مع القلب فقد جاءت في قول الإمام(عليه السلام): ((**فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ, وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ**))[١٤٢٣], وأما التي مع اللسان فقد جاءت في قوله (عليه السلام): ((**مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللهَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوالِهِمْ, سَلِيمُ اللِّسانِ مِنْ أَعْراضِهِمِ فَلْيَفْعَلْ**))[١٤٢٤], ولم يحمل مَنْ شرح معنى (سليم) في كلا الموضعين على غير معنى السلامة والصحة[١٤٢٥], أما الموضع الآخر الذي استعمل فيه الإمام كلمة(سليم) فهو ما جاء به من وصف للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم), فقد قال(عليه السلام) في إحدى خطبه: ((**إِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً- صلى الله عليه وآله- عَلَماً لِلسَّاعَةِ, وَمُبَشِراً بِالجَنَّةِ, وَمُنْذِراً بِالعُقُوبَةِ, خَرَجَ مِنَ الدُّنْيا خَمِيصاً, وَوَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً**))[١٤٢٦], ومن غير الممكن أن تكون (سليماً) في هذا الموضع دالة على غير معنى سالم أو صحيح .

وعليه فإن كلمة (سليم) وإن جاءت في مواضع مختلفة من خطب نهج البلاغة, واستُعملت للإنسان وغيره, فإن معناها بقي واحداً, وهذا ما يخرجها عن الأضداد في خطب النهج.

ج. غابر:

تُدرج كلمة (غابر) عادة تحت الكلمات التي حملت معنيين متضادين, فعند الأصمعي مثلاً أن "الْغَابِر الْبَاقي وَالْغَابِر الماضِي"[١٤٢٧], وهي على ذينك المعنيين عند غيره أيضاً[١٤٢٨], غير أن أبا حاتم السجستاني أضاف إلى ذكر المعنيين المتضادين بيانَ الأكثر شيوعاً منهما فقال: "والأكثر على الباقي"[١٤٢٩]. فـ(غابر) من الأضداد عند الأضداديين، والغالب في معناها هو الباقي.

ولم تأتِ كلمة (غابر) في خطب نهج البلاغة إلا في موضعين منها, وقد جاءت على الأكثر من معنييها, وهذا ما يزيل ضديتها في خطب النهج, لكونها اقتصرت على معنى واحد لا غير. والموضعان هما قول الإمام (عليه السلام): ((**لَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ, أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ, أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ, أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ: رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ, وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ, أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ**))[١٤٣٠], وقوله(عليه السلام): ((**إِنَّ التَّقْوَى فِي اليَوْمِ الحِرْزُ والجُنَّةُ, وَفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلى الْجَنَّةِ, مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ وَسَالِكُها رَابِحٌ, وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ, لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الأُمَمِ المَاضِينَ والْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِم إِلَيْهَا**))[١٤٣١], وليس أدل على أن مراد الإمام في كلا الموضعين هو غير الماضي من مقابلته (عليه السلام) لما يفيد ذلك المعنى, وهو (من سابق) في الموضع الأول, و(الماضين) في الموضع الآخر, يضاف إلى ذلك أن (غابراً) في الموضعين هي إلى معنى (متأخر) أقرب منها إلى معنى(باقي), ذلك لأن دلالة(متأخر) تشمل من بقي ومن لم يبق, وهذا المعنى يخرج (غابراً) أصلاً من المعنيين اللذين ذكرتهما كتب الأضداد، لذلك فـ(غابر) إذن ليست من الأضداد في خطب نهج البلاغة.

(١٤٢٣) نهج البلاغة (الصالح): ٣٣١(خ٢١٤).
(١٤٢٤) نفسه: ٢٥٤(خ١٧٦).
(١٤٢٥) ينظر: شرح نهج البلاغة:٢٩/١٠, ٨٣/١١, شرح نهج البلاغة (المصباح): ٣٦٥/٣, ٣٥/٤, توضيح نهج البلاغة: ٦٧/٣, ٣٢٦/٣.
(١٤٢٦) نهج البلاغة (الصالح): ٢٢٩(خ١٥٩).
(١٤٢٧) ثلاثة كتب في الأضداد: ٥٨.
(١٤٢٨) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد: ١٥٣, ٢٤٠, رسالة الأضداد: ٤١, المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً: ٣٧٠.
(١٤٢٩) ثلاثة كتب في الأضداد: ١٥٣.
(١٤٣٠) نهج البلاغة (الصالح): ٤٣-٤٤(خ١).
(١٤٣١) نفسه: ٢٨٤(خ١٩١).

ثانياً: المشترك اللفظي *Homonymy* :

أصل لفظة (المشترك) من الفعل (شرك), والشركة- عند الخليل- هي "مخالطة الشريكين. واشتركنا بمعنى تشاركنا... والطريق مشترك, أي الناس فيه شركاء, وكل شيء كان فيه القوم سواء فهو مشترك"[١٤٣٢], فالشركة ينظر إليها من طرفين, الأول هو المُشترِك, والآخر هو المشترَك فيه الذي يجعل من اجتمع فيه مع غيره مشتركاً مع الآخر, فالطريق- في كلام الخليل- كان مشتركاً لأن الناس قد اشتركوا أو تشاركوا فيه, فكانوا بذلك مشتركين في ذلك الطريق. وقد استفاد ابن منظور من ذلك المعنى وأجراه على الاسم, فقال: "واسم مشترك: تشترك فيه معان كثيرة كالعين ونحوها فإنه يجمع معاني كثيرة"[١٤٣٣], وتابع الزبيدي في معجمه (تاج العروس من جواهر القاموس) ذلك المعنى من حيث انطباقه على الاسم[١٤٣٤].

ولا يبعد ذلك المعنى اللغوي للمشترك عن معناه عندما يخصص بكلمة(اللفظي) ويكون معناه في الاصطلاح هو "كون اللفظ موضوعاً لمعنيين معاً على البدل من غير ترجيح, ويسمى اشتراكاً لفظياً, وذلك اللفظ يسمى مشتركاً لفظياً"[١٤٣٥], فكما توافر طرفان في معنى (المشترك) لغةً, كذلك يتوافر طرفان عندما يكون ذلك (المشترك) منحصراً في اللفظ اصطلاحاً, وطرفا (المشترك اللفظي) هما المعنى بوصفه مشترِكاً, واللفظ بوصفه مشترَكاً فيه, وعلى وفق ذينك الطرفين يكون معنى(المشترك اللفظي) هو "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر على السواء عند أهل اللغة"[١٤٣٦], فليس شرطاً أن يكون في اللفظ المشترك معنيان, بل قد يكون أكثر من ذلك, فيكون عندها ذلك اللفظ مشتركاً فيه معان متعددة.

وقد أشار سيبويه إلى ظاهرة المشترك اللفظي، ولم يتوسع فيها تنظيراً وتطبيقاً, وإنما اكتفى بذكر الفكرة الأساسية التي تقوم عليها, وقد جاء ذلك عنده في الباب الذي عقده تحت عنوان (هذا باب اللفظ للمعاني)[١٤٣٧] إذ قال فيه: "اعلم أنّ من كلامهم اختلافَ اللفظين لاختلاف المعنيين, واختلاف اللفظين والمعنى واحد, واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"[١٤٣٨], والحالة الأخيرة هي التي عنى بها سيبويه (المشترك اللفظي) كما عُرِف. والظاهر من كلام سيبويه أنه يقصد بـ(اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين) اتفاقَهما واختلافَهما في أصل الوضع , ذلك لأن لكل لفظ معنى وضع له, واتفاق لفظين يعني وجود معنيين, وإلا فاللفظ المشترك- كما مرّ- قد يكون لمعان متعددة وليس لمعنيين فقط, وحتى عندما أراد سيبويه أن يمثل للمشترك اللفظي أتى بكلمة لها معنيان اثنان وان كان لِمَا مثَّل معان غير ما ذكرهما, لذلك قال: "واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجَدتُ عليه من المَوْجِدة, ووجدَت إذا أردت وِجدان الضّالّة"[١٤٣٩], فالاشتراك اللفظي تضيق دائرته عند سيبويه، لأن سيبويه قد حصر اللفظ المشترك بالمعنيين.

وأما أحمد بن فارس فقد وسَّع دائرة اللفظ المشترك تنظيراً وتمثيلاً, وكان المشترك اللفظي عنده هو أن "نسمي الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو: عَيْن الماء وعَيْن المال وعَيْن السَّحاب"[١٤٤٠], وقد أورد ابن فارس كلمة (عين) مضافة ليدل بذلك على أثر السياق في منح الكلمة معناها, وإن كان ذلك المعنى قد خالف حقيقته وجاء على سبيل المجاز كما في الأمثلة التي عرض لها ابن فارس.

وعندما تصير ظاهرة (المشترك اللفظي) بين يدي علماء اللغة المحدثين يُنظر إليها من زاويتين مختلفتين, فقد ينظر إلى اللفظ المشترك من الخارج مع الأخذ بنظر الاعتبار الأشكال التي كانت عليها الألفاظ قبل أن تتشارك في ذلك اللفظ, وهذا النوع من الألفاظ هو ما يسمى بـ(المشترك اللفظي) (Homonymy), وأما عندما ينظر إلى اللفظ المشترك من زاوية الدلالة, ولم يكن لذلك

(١٤٣٢) كتاب العين: ٢٩٣/٥-٢٩٤.
(١٤٣٣) لسان العرب: ٤٤٩/١٠(ش ر ك).
(١٤٣٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١٥٠/٧.
(١٤٣٥) كشاف اصطلاحات الفنون: ٧٧٦/٣.
(١٤٣٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٣٦٩/١.
(١٤٣٧) ينظر: كتاب سيبويه: ٢٠/١.
(١٤٣٨) كتاب سيبويه: ٢٠/١.
(١٤٣٩) نفسه: ٢٠/١، هناك معان أُخر تحملها كلمة (وجد) كالمحبة والغضب والعلم والاستغناء, ينظر: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً: ٣٢٦-٣٣١.
(١٤٤٠) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٩٦.

اللفظ غير شكل واحد, فإن هذا النوع من الألفاظ هو ما يسمى بـ(تعدد المعنى) (Polysemy), ويدل المصطلح الأول وهو المشترك اللفظي(Homonymy) على "كلمة أو أكثر تتطابقان في النطق ولكنهما تختلفان في المعنى المعجمي لكل منهما... وأما المصطلح الثاني وهو تعدد المعنى(Polysemy) فيستعمل للدلالة على أي كلمة أو جملة لها دلالتان أو أكثر"[١٤٤١], فالاختلاف بين المصطلحين يكمن بالأساس في وجود صيغ ذات دلالتين مختلفتين, ومن ثم تماهت تلك الصيغ في صيغة واحدة من دون أن تفقد تلكما الدلالتين, أو أن الاختلاف يكمن في عدم وجود صيغ متعددة, وإنما توجد صيغة واحدة ذات دلالتين, "إحداهما ما أطلق عليه زجوستا Zgusta المعنى المباشر direct sense, والأخرى هي الدلالة التي حدثت عن طريق تخصيص الدلالة أو نقلها أو المجاز"[١٤٤٢]، ويشترط الدكتور إبراهيم أنيس في الدلالة الأخيرة شرط التباين التام حتى يعد ذلك النوع من الألفاظ من المشترك اللفظي[١٤٤٣].

"وينظر بعض العلماء بناء على ذلك, إلى كل من المشترك اللفظي, وتعدد المعنى على أنهما موضوعان مستقلان. بينما يجمع بينهما علماء آخرون على أنهما صورتان لظاهرة واحدة هي تعدد المعنى"[١٤٤٤], والواقع أنهما صورتان لظاهرة واحدة ما دامت النتيجة التي يفضي إليها (المشترك اللفظي) أو(تعدد المعنى) هي نتيجة واحدة, وهي اللفظ ذو الدلالات المتعددة, وأن ما يصنف اللفظ ضمن هذا النوع أو ذلك هو السياق وحده.

ولغرض أن يقف البحث عند ظاهرة المشترك اللفظي- بشقيها- في خطب نهج البلاغة, فإنه سيعمد إلى ألفاظ تلك الظاهرة في سياقات الخطب نفسها, ومن ثم بيان الأسباب التي جعلت هذا اللفظ أو ذاك من (المشترك اللفظي) أو من (تعدد المعنى).

أ. الحميم:

(الحميم) كما في العين والصحاح ومقاييس اللغة هو (الماء الحار)[١٤٤٥], وقد ذكر أبو الحسن علي بن الحسين الهُنائي المعروف بكراع النمل (ت٣١٠هـ) في كتابه (المُنجَّد في اللغة) لكلمة (الحميم) معنيين فقال: "والحميم: الماء الحار والحميم: القريب"[١٤٤٦], فـ(حميم) لها معنيان، هما اللذان ذكرهما كراع، لذا فهي عنده من كلمات المشترك اللفظي.

وقد وردت كلمة(الحميم) في خطب نهج البلاغة في ثلاثة مواضع, ودلت على المعنيين المذكورين, فمن دلالة (الحميم) على الماء الحار قول الإمام (عليه السلام) في وصف أهوال ما بعد الموت: ((**وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ, وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ**))[١٤٤٧], وأما الدلالة على القريب فقد جاءت في مقطع من خطبة للإمام يذكر فيه يوم القيامة قائلاً: ((**فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ, وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ... وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ, والصُّمُّ الرَّوسِخُ, فَيصيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً, وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً, فَلا شَفِيعٌ يَشْفَعُ, وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ, وَلَا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ**))[١٤٤٨], وقد حمل غير واحد من شراح النهج كلمة (حميم) في هذا المقطع على معنى الصديق[١٤٤٩], لأن الصديق قريب أيضاً. وأما الموضع الآخر الذي جاءت فيه كلمة (حميم) بالمعنى السابق نفسه فهو في قول الإمام (عليه السلام) عند ذكر الموت: ((**قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ, وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ... وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ, بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ, وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ, وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ**))[١٤٥٠], ومن الممكن أن يُحمل معنى (حميم) في هذا الموضع على غير معنى قريب, لوجود كلمة قريب في السياق نفسه, غير أن ما ذكره أحد شراح النهج يزيل ذلك اللبس, إذ قال الشارح موضحاً ذلك المقطع: "الوراث على ثلاثة أقسام

(١٤٤١) مقدمة لدراسة فقه اللغة: ١٦٢, وينظر: علم الدلالة(عمر): ١٦٨-١٧٤.
(١٤٤٢) الكلمة- دراسة لغوية ومعجمية: ١٣٦.
(١٤٤٣) ينظر: دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٢م: ١٣٦.
(١٤٤٤) الكلمة- دراسة لغوية معجمية: ١٢٥.
(١٤٤٥) ينظر: كتاب العين: ٣٣/٣, تاج اللغة وصحاح العربية: ١٩٠٥/٥, معجم مقاييس اللغة: ١٥/٢.
(١٤٤٦) المنجد في اللغة: أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع: تح: د. أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م: ١٨١.
(١٤٤٧) نهج البلاغة (الصالح): ١١٣(خ٨٣).
(١٤٤٨) نفسه: ٣١٠(خ١٩٥).
(١٤٤٩) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح): ٤٣٦/٣, توضيح نهج البلاغة: ٢٥٦/٣.
(١٤٥٠) نهج البلاغة (الصالح): ٣٥٢(خ٣٢٠).

بعضهم حميم قريب من أقربائكم يحبكم ويريد دفع الموت عنكم ولا يقدر عليه كالأب والأم, والثاني(قريب محزون لم يمنع) يهمه أمركم ويحزنه موتكم لكن لا مثل الأول كالأخ والأخت والعم, ولا يقدر أن يمنع عنكم الموت"[١٤٥١], فكل من ذكره الشارح يصح أن يكون قريباً. وعليه فإن كلمة (حميم) في خطب نهج البلاغة هي من المشترك اللفظي, ذلك لأنها وإن كانت تدخل تحت ما يسمى بـ(تعدد المعنى) فإنها في الوقت نفسه قد حملت معنيين متباينين, إذ لا علاقة بين (الماء الحار) و(القريب), وإنهما قد أتيا على لفظ واحد.

ب. عين:

تذكر معاجم اللغة لكلمة(عين) معاني متعددة, فقد جاء في كتاب العين أن "العين الناظرة لكل ذي بصر. وعين الماء, وعين الركبة. والعين من السحاب ما أقبل عن يمين القبلة, وذلك يسمى العين... وعين الشمس: صيخدها. ويقال لكل ركبة عينان كأنهما نقرتان في مقدمها. والعين المال الحاضر. يقال: إنه لعين غير دين, أي: مال حاضر. ويقال: إن فلاناً لكريم عين الكريم. ويقال: لا أطلب أثراً بعد عين, أي معاينة. ويقال: العين: الدينار... والعين: الميل في الميزان... والعين الذي تبعثه لتجسس الخبر"[١٤٥٢], وقد ذكر كراع في منجده, والسيوطي في مزهره بعضاً من تلك المعاني[١٤٥٣]. غير أن من اللغويين من يحمل كلمة (عين) على المجاز, سواء أكانت في أغلب معانيها غير معنى العين الناظرة, كما ذكر ذلك ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة), أم كانت في بعض من معانيها دون بعضها الآخر, كما صرح بذلك الزمخشري في (أساس البلاغة)[١٤٥٤], لكن مجازية المعاني التي ذكرت لـ(عين) لا تخرجها عن حدّ المشترك اللفظي, فالمجاز معنى آخر يضاف إلى معنى الكلمة الحقيقي, بل إن المجاز - كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس- يعد أهم عامل من عوامل المشترك اللفظي[١٤٥٥], وتزداد أهمية ذلك العامل عندما يكون نطاق الدراسة محدداً, ونطاق الدراسة في هذا المحل محدد بخطب نهج البلاغة.

وقد جاءت كلمة(عين) في خطب النهج في اثنين وثلاثين موضعاً, بعضها على الحقيقة, وبعضها الآخر على المجاز, واللافت في تلك المواضع أن الإمام(عليه السلام) قد استعمل كلمة (عين) معرفة بـ(أل) للدلالة على معنى العين الناظرة, وهو المعنى الحقيقي لها, وقد وردت الكلمة على تلك الصورة في ثلاثة مواضع من خطب النهج, منها قول الإمام (عليه السلام) في الخطبة الشقشقية: ((**فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى, فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى, وَفِي الْحَلْقِ شَجًا, أَرَى تُرَاثِي نَهْباً**))[١٤٥٦], وهي على تلك الدلالة في الموضعين الآخرين[١٤٥٧], في حين جاءت (عين) في صورة أخرى للدلالة على معنى العين حقيقةً أو مجازاً, فمن الدلالة الحقيقية قول الإمام (عليه السلام): ((**وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا, وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا**))[١٤٥٨], وهناك مواضع أخرى في خطب النهج كانت فيها كلمة(عين) دالة على تلك الدلالة نفسها[١٤٥٩]. وأما المواضع التي استعمل فيها الإمام كلمة(عين) مجازاً فمنها قوله (عليه السلام): ((**أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيَّهَا النَّاسُ, فَإِنِّي فُقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ**))[١٤٦٠], فقد جعل الإمام في هذا المقطع من خطبته للفتنة عيناً, وليس ذلك إلا على سبيل المجاز, لذلك جاء في شرح ابن أبي الحديد لهذا الموضع من الخطبة ما نصه "ومعنى فقئه (عليه السلام) عين الفتنة, إقدامه عليها حتى أطفأ نارها, كأنه جعل للفتنة عيناً يهابها الناس, فأقدم هو عليها ففقأ عينها, فسكنت بعد حركتها وهيجانها. وهذا من باب الاستعارة"[١٤٦١], ولاستعمال كلمة (عين) مجازاً في خطب نهج البلاغة محال أخر, كلها قد خرجت عن

(١٤٥١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٤١٩/١٤.
(١٤٥٢) كتاب العين: ٢٥٤/٢, وينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٢١٧٠/٦-٢١٧١, أساس البلاغة: ٣١٩, لسان العرب: ٣٠١/١٣-٣٠٩(ع ي ن), تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٨٧/٩-٢٩٣, المعجم الوسيط: ٦٤٧/٢.
(١٤٥٣) ينظر: المنجد في اللغة: ٣٢-٣٣, المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٣٧٢/١-٢٧٣.
(١٤٥٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٥٨/٤, أساس البلاغة: ٣١٩, المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً: ٧٥.
(١٤٥٥) ينظر: في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢-١٩٥٢م: ١٨١, ١٨٣.
(١٤٥٦) نهج البلاغة (الصالح): ٤٨(خ٣).
(١٤٥٧) ينظر: نفسه: ٩٠(خ٥٣), ١٩٦(خ١٣٨).
(١٤٥٨) نهج البلاغة (الصالح): ٩٠(خ٥٣).
(١٤٥٩) ينظر: نفسه: ٨٣(خ٤١), ٨٧(خ٤٩) ١٦٢(خ١٠٩), ٢٢٦, ٢٢٨(خ١٥٩), ٣٠٣(خ١٩٣), ٣٤٥(ك٢٢٣).
(١٤٦٠) نهج البلاغة (الصالح): ١٣٧(خ٩٣).
(١٤٦١) شرح نهج البلاغة: ٤٥/٧.

دلالاتها على المعاني الحقيقية لتدل على غيرها من المعاني, كالدلالة على صورة الوجه[١٤٦٢], أو الدلالة على النوم[١٤٦٣], أو الدلالة على الإمام نفسه[١٤٦٤], أو غير ذلك من الدلالات.

فكلمة(عين) في خطب نهج البلاغة متعددة الدلالات, فهي لذلك تدخل تحت ما يسمى بـ(تعدد المعنى), ذلك لكونها قد جاءت على لفظ واحد ومعان شتى سواء أكان ذلك في أصلها اللغوي أم في استعمالها في سياقات خطب النهج, غير أن ذلك لا يخرجها عن كونها مشتركاً لفظياً, وذلك لأن صورة لفظها كانت واحدة, ومعانيها متعددة.

ج. قَرْن:

لكلمة (قَرْن) في معاجم اللغة معان عدة, ومن بين تلك المعاني- كما في العين- "قرن الثور معروف, وموضعه من رأس الإنسان أيضاً, ولكل رأس قرنان, والقرن في السن: اللدة. والقرن: الأُمة. وقرن بعد قرن, ويقال عمر كل قرن ستون سنة"[١٤٦٥]، وقد ذُكر في الصحاح وفي لسان العرب وفي تاج العروس ما يقرب من معاني (قَرْن) التي وردت في كتاب العين[١٤٦٦], وذكرت تلك المعاني في المنجد أيضاً[١٤٦٧], فـ(قرن) إذن لها دلالات على معانٍ من بينها المعاني التي ذكرتها معاجم اللغة، وذكرها معجم المشترك اللفظي (المنجد في اللغة).

وجاءت كلمة (قرن) في ستة مواضع من خطب نهج البلاغة, وكان لها ثلاث دلالات, فهي إما أن تدلَّ على القرن المعروف وهو روق الحيوان, وذلك في قول الإمام (عليه السلام) مخاطباً عبد الله بن عباس: **((لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ, فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ, يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هَوَ الذَّلُولُ))**[١٤٦٨], وقد استعمل الإمام ذلك المعنى كنايةً عن كبرياء طلحة[١٤٦٩], ولدلالة (قَرْن) على معنى الروق من الحيوان موضع آخر في خطب النهج[١٤٧٠]. وإما قد تدل كلمة (قَرْن) على معنى السيد أو الرئيس أو الكبير, كما ذهب إلى ذلك بعض شراح النهج[١٤٧١] في توضيح قول الإمام لمّا قيل له: إن الخوارج قد هلكوا بأجمعهم, فرّد (عليه السلام) قائلاً: ((**كَلَّا وَاللهِ, إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ, وَقَرَاراتِ النِّسَاءِ, كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ, حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِين))**[١٤٧٢], وقد حمل بعض آخر من شراح النهج كلمة (قرن) في هذا الموضع على معنى القوم أو الفئة[١٤٧٣], والمحل إلى المعنى الأول أقرب بقرينة وجود الفعل (قُطع) الذي له دلالة على المفرد, أما وجود كلمتي (لصوصاً وسلابين) وما توحيان به من إرادة المعنى الآخر- وهو القوم أو الفئة- فإنه قد أستجلبه وجود (كلما) التي تفيد التكثير, أي تكثير (اللص) و(السلاب) حتى يكونا (لصوصاً) و(سلابين).

وقد تدل كلمة (قَرْن) في خطب نهج البلاغة على مدة من الزمان, ومن ذلك مثلاً قول الإمام في ذكر آدم (عليه السلام): **((فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ, وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ, وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ, وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ, بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ, وَمُتَحَمِّلِي رِسَالَاتِهِ, قَرْناً فَقَرْناً, حَتَّى تَمَّتْ بِنبَيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ- حُجَّتُهُ))**[١٤٧٤], واختلفت الأقوال في معنى (قَرْن) في هذا الموضع, فمنهم من حمله على معنى المدة من الزمان فقال: "المراد به مدة عمر جيل من الناس, وسمّي قرناً لاقتران أعمار بعضهم ببعض, وفي مدته خلاف من ثلاثين إلى المائة, وذلك بمختلف الاعتبارات, والمشهور عندنا الآن إطلاقه على المائة"[١٤٧٥], ومنهم من حمله على معنى أهل الزمان الواحد[١٤٧٦], والقول الأول

(١٤٦٢) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٨٤(ك٤٣), شرح نهج البلاغة:٣٢٣/٢.
(١٤٦٣) ينظر: نفسه: ٩٩(قو٧٠), نفسه:١١٢/٦.
(١٤٦٤) ينظر: نفسه: ١٥٢(خ ١٠٥), نفسه: ٧/ ١٦٨, توضيح نهج البلاغة: ١٥٠/٢.
(١٤٦٥) كتاب العين: ١٤١/٥.
(١٤٦٦) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٢١٧٩/٦, لسان العرب: ٣٣١/١٣ , ٣٣٣ (ق رن), تاج العروس من جواهر القاموس: ٣٠٥/٩-٣٠٦.
(١٤٦٧) ينظر: المنجد في اللغة: ٣٠٥.
(١٤٦٨) نهج البلاغة(الصالح): ٧٤(ك٣١).
(١٤٦٩) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١٦٧/١.
(١٤٧٠) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢٦٨(ك١٨٤).
(١٤٧١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣٧٥/٤, نهج البلاغة(عبده): ١٠٨/١.
(١٤٧٢) نهج البلاغة(الصالح): ٩٣-٩٤ (قو٦٠).
(١٤٧٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٧٣/٥, توضيح نهج البلاغة: ٢٤٤/١.
(١٤٧٤) نهج البلاغة(الصالح): ١٣٣-١٣٤(خ٩١).
(١٤٧٥) توضيح نهج البلاغة: ٨٠/٢.
(١٤٧٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٦/٧.

أصح لورود كلمة (قرن) منصوبة على الظرفية. وعليه تكون كلمة (قرن) في خطب نهج البلاغة ذات دلالات مختلفة, وهذا ما يجعلها تنضوي تحت كلمات(تعدد المعنى) التي هي بالنتيجة صورة أخرى من صور (المشترك اللفظي).

د. عَدَلَ:

جاء في كتاب العين في معنى الفعل(عَدَلَ) "وتقول: هو يعدل, أي: يحكم بالحق والعدل... وعدلت فلاناً بفلان أعدله به. وفلان يعادل فلاناً, وإنْ قلت يعدله فحسن. والعادل المشرك الذي يعدل بربه... والعدل أن تعدل الشيء عن وجهه فتميله. عدلته عن كذا, وعدلت أنا عن الطريق"[١٤٧٧], وقد ذكرت تلك المعاني- من بين ما ذكرت- للفعل (عَدَلَ) في معاجم أخرى[١٤٧٨], غير أن معجم كراع النمل (المنجد في اللغة) لم يورد للفعل (عدل) سوى صيغة المصدر, وذكر له معنيين فقط, وصرف المعنى الآخر إلى اسم أحد الأعلام[١٤٧٩], ومهما يكن من حال فإن (عدل) مشترك لفظي مادام دالاً – لدى اللغويين- على أكثر من معنى.

وقد تضمنت خطب نهج البلاغة سبعة مواضع للفعل(عدل), جاء في خمسة منها على بناء(فعل), والآخران على بناء (يفعل), وقد دل الفعل (عدل)- ببناءيه- في المواضع كلها على ثلاثة معان. أما المعنى الأول فهو الدلالة على الحكم بالحق وعدم الجور, وهذا المعنى لم يستخدمه الإمام لغير الله تعالى, ومن ذلك مثلاً قوله(عليه السلام): ((**الْحَمْدُ للهِ الفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ, وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ, وَالمُتَعَالِي جَدُّهُ... الْذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا, وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى**))[١٤٨٠], وهناك موضعان آخران قد دل فيهما (عَدَلَ) على المعنى نفسه[١٤٨١], والموضعان كلاهما قد جاء على بناء (فعل). وأما المعنى الأخر الذي أفاده الفعل(عدل) في خطب النهج فهو الدلالة على معنى شبَّه أو أشرك[١٤٨٢] وذلك في قول الإمام (عليه السلام) ذاكراً الله تعالى: ((**وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ**))[١٤٨٣], وكما يلاحظ أن الفعل قد جاء على بناء (فعل). أما المواضع الأخرى فقد دل الفعل (عدل) فيها على معنى مال أو انتقل, وعند تلك الدلالة يأتي الفعل (عدل) إما على بناء (فعل) كما في قول الإمام (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيْمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ, وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ... وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الآدَمِيِّينَ**))[١٤٨٤], أو على بناء (يفعل) كما في قوله(عليه السلام): ((**أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالْذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ**))[١٤٨٥], والإمام(عليه السلام) لم يستعمل (عدل) على بناء(يفعل) لغير تلك الدلالة الأخيرة[١٤٨٦]. وبذلك يكون الفعل (عدل)- ببناءيه- من (المشترك اللفظي) في خطب نهج البلاغة.

هـ. هوى:

ذكر الجوهري في صحاحه المادة (هوى) فقال: "والهوى مقصور: هوى النفس, والجمع الأهواء. وإذا أضفته إليك قلت هوايَ... وهويَ بالكسر، أي أحب. الأصمعي: هوَى بالفتح يهوي هوياً, أي سقط إلى أسفل"[١٤٨٧], وقد تابع الجوهري غيره من المعجميين في إعطاء ذلك المعنى لـ(هوى)[١٤٨٨], فللفظ (هوى) أصلان في اللغة, لكل واحد منهما بنية ودلالة, وقد اجتمعتا في

(١٤٧٧) كتاب العين: ٣٨/٢-٣٩.
(١٤٧٨) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ١٧٦٠/٥-١٧٦١, لسان العرب: ٤٣/١١، ٤٣٣ (ع د ل), القاموس المحيط: ١٣/٤, تاج العروس من جواهر القاموس: ٩/٨-١٠, المعجم الوسيط: ٥٩٤/٢.
(١٤٧٩) ينظر: المنجد في اللغة: ٢٦٢.
(١٤٨٠) نهج البلاغة(الصالح): ٢٨٣(خ١٩١).
(١٤٨١) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ٢٦٩(خ١٨٥), ٣٣٠(خ٢١٤).
(١٤٨٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٤١٤/٦, منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣٥٨/٨.
(١٤٨٣) نهج البلاغة(الصالح): ١٢٦(خ٩١).
(١٤٨٤) نفسه: ١٣٥(خ٩١).
(١٤٨٥) نفسه : ٦٤(خ٢٣).
(١٤٨٦) ينظر: نفسه: ١٨٢-١٨٣(ك١٢٥).
(١٤٨٧) تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٥٣٧/٦-٢٥٣٨.
(١٤٨٨) ينظر: لسان العرب: ٣٧٠/١٥-٣٧٢(هـ و ي), القاموس المحيط: ٤٠٤/٤, تاج العروس من جواهر القاموس: ٤١٥/١٠, المعجم الوسيط: ١٠١٢/٢.

صورة لفظ واحد, وذلك الاجتماع هو الذي جعل اللفظ مشتركاً بين دلالتي الكلمتين, ومن ثم صار اللفظ بذلك مشتركاً لفظياً, وهذا النوع من الاشتراك هو صورة أخرى من صور (المشترك اللفظي), أي هو غير صورة (تعدد المعنى) المذكور آنفاً, ذلك لأن المشترك اللفظي "ليس اختلاف الدلالة في إطار نفس الكلمة(كذا), بل هو في الحقيقة وجود دلالتين أو أكثر لكلمتين أو عدة كلمات, لأن لكل كلمة صيغة دالة على معنى هي جزء من بنيتها على الأقل في اللغة العربية فإذا تنوعت واختلفت الصيغ تعددت الكلمات, وبالمثل إذا تنوعت الدلالات تعددت الصيغ"[١٤٨٩], فالمشترَك في لفظة (هوى) سببه اختلاف الكلمات التي أشتُقت حتى صارت على صورة واحدة هي صورة المشترك لفظاً.

وقد جاءت لفظة (هوى) في خطب نهج البلاغة في ستة مواضع, و كان لها دلالتان, هما الدلالتان اللتان ذكرتهما معاجم اللغة, أي الدلالة على هوى النفس, والدلالة على معنى السقوط, فمن المعنى الأول مثلاً قول الإمام (عليه السلام): ((**رَحِمَ اللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ, وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ**))[١٤٩٠], وهي على ذلك المعنى في أربعة مواضع أخرى من خطب النهج[١٤٩١], وأما المعنى الآخر فقد جاء في قوله (عليه السلام): ((**شُغِلَ مِنْ الْجَنَّةُ أَمَامَه, سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا, وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا, وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارَ هَوَى**))[١٤٩٢]. وعليه فإن كلمة (هوى) في خطب نهج البلاغة وإن لم تكن هي نفسها ذات دلالتين, غير أنها قد تضمنت تلكما الدلالتين من كلمتين مختلفتي الدلالة, وهذا ما جعل الكلمتين تتضام فيما بينهما في صورة لفظ واحد هي صورة (المشترك اللفظي).

و. ولّى:

جاء في صحاح الجوهري في المادة (وَلِيَ) "وتقول: فلان وَلّى ووُلِّيَ عليه, كما يقال: ساس وسيس عليه. وولاه الأمير عمل كذا, وولاه بيع الشيء. وتولى العمل, أي تقلد. وتولى عنه, أي أعرض. وولى هارباً, أي أدبر"[١٤٩٣], وقد ذُكِرَ هذان المعنيان في غير الصحاح من المعاجم, فقد وردا في لسان العرب, وفي تاج العروس, وفي المعجم الوسيط[١٤٩٤], غير أن كراع النمل لم يذكر في منجده اللفظة (وَلّى) ضمن ألفاظ المشترك اللفظي[١٤٩٥]، ولكن ذلك لا يعني أن (وَلّى) ليست من مفردات المشترك اللفظي.

وللفعل (وَلّى) في خطب نهج البلاغة ستة مواضع, منها ما جاء على البناء (فعّل), أو البناء (يفعّل)، وقد دلت تلك المواضع على المعنيين اللذين ذكرتهما المعاجم اللغوية, فمن الدلالة على معنى التقليد أو التولية ما جاء في قول الإمام (عليه السلام): ((**وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بنَ عُتْبَةَ, وَلَو وَلَّيْتُهُ إيَّاهَا لَمَّا خَلَى لَهُمْ الْعَرَصَةَ, وَلَا أَنْهَزَهُمْ الْفُرْصَةَ**))[١٤٩٦], ومعنى (ولّى) في هذا الموضع هو جعله والياً على مصر[١٤٩٧], وقد جاء الفعل (ولّى) على هذا المعنى في خمسة مواضع أخرى من خطب النهج, سواء أكان الفعل على بناء (فعّل)[١٤٩٨] أم على بناء (يُفعّل)، ومما جاء على البناء الأخير مثلاً قول الإمام (عليه السلام) في شأن الحكمين وذمّ أهل الشام: ((**جُفَاةٌ طَغَامٌ عَبِيدٌ أَقْزَامٌ, جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ, وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ, وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ, وَيُوَلَّى عَلَيْهِ, وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيهِ**))[١٤٩٩]. وأما الدلالة على المعنى الآخر وهو الإدبار، فقد جاء دالاً عليها الفعلُ (ولّى) في موضع واحد فقط من خطب نهج البلاغة وهو قول الإمام (عليه السلام): ((**عِبَادَ اللهِ إنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالمَاضِينَ، وَلَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلّى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ**))[١٥٠٠].

([١٤٨٩]) مقدمة لدراسة فقه اللغة: ١٦٤, وينظر: علم الدلالة (عمر): ١٦٦-١٦٧.
([١٤٩٠]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٥١(خ١٦٧).
([١٤٩١]) ينظر: نفسه: ٥٥(ك١٣), ٢٥١(خ١٧٦), ٢٨٢ (خ١٩٠), ٣٢٢(ك٢٠٥).
([١٤٩٢]) نهج البلاغة(الصالح): ٥٨(ك١٦).
([١٤٩٣]) تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٥٢٩/٦.
([١٤٩٤]) ينظر: لسان العرب: ٤١٤/١٥ (ول ي), تاج العروس من جواهر القاموس: ٤٠١/١٠, المعجم الوسيط:١٠٧٠/٢.
([١٤٩٥]) ينظر: المنجد في اللغة: ٣٣٤.
([١٤٩٦]) نهج البلاغة(الصالح): ٩٨(ك ٦٨).
([١٤٩٧]) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠٣/٥.
([١٤٩٨]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٦٣(ك٩٢), ١٨٣(ك١٢٦).
([١٤٩٩]) نهج البلاغة(الصالح): ٣٥٧(ك٢٣٨), وينظر: ١٠٥(ك٧٩).
([١٥٠٠]) نفسه: ٢٢١(خ١٥٧).

فالفعل(ولّى) في خطب نهج البلاغة قد جاء ذا دلالة على معنيين، وقد تعددت المواضع التي ورد فيها، واختلف فيها نباؤه، غير أنّ ذلك لم يغير من دلالته على المعنيين اللذين ذُكرا له أو من صورة لفظه، لذلك أمكن عَدّه من (المشترك اللفظي).

ثالثاً: **الترادف** ***Synonymy*** :

الردف في اللغة- كما في العين- هو "ما تبع شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف، والجمع: الردافى... ويقال: جاء القوم ردافى أي بعضهم يتبع بعضاً. ورديفك: الذي تردفه خلفك، ويرتدفك، ويردفه غيرك"[١٥٠١]، ولم تختلف المعاجم الأخرى عن العين في إيراد تلك المعاني للمادة(ردف)[١٥٠٢]، والذي يستفاد من تلك المعاني أنّ هناك شيئين أو أكثر قد اجتمعا، أو أنّ أُناساً قد اجتمعوا على أمر ما بطريقة يتبع فيها بعضهم بعضاً، فالشيء أو القوم لم يترادفا حتى يكونا في اجتماع مع غيرهما تتابعاً, أو يكون أحدهما حالّاً محلّ الآخر، وكذا الحال فيمن تردفه خلفك أي تجتمع معه، ويردفه غيرك أي يحلّ محلك. وغير بعيد عن تلك المعاني في اللغة معنى الترادف في الاصطلاح، فهو يعني "توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الإنفراد بحسب أصول الوضع على معنىً واحد من جهة واحدة، و تلك الألفاظ تسمى مترادفة"[١٥٠٣], فكما كان اجتماع الشيئين أو القوم على الأمر الواحد, يكون اجتماع اللفظين أو الألفاظ على المعنى الواحد. وقد التمس علي بن محمد الجرجاني(ت ٨١٦هـ) تلك العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للترادف فعبر عنها قائلاً: "المترادف ما كان معناه واحداً وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك, أخذاً من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف أحد آخر, كأن المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه كالليث والأسد"[١٥٠٤], فالمعنى في أصله اللغوي قد انتقل من دلالته المادية ليُصطلح على معنى ذات دلالة مجردة, "ومن هذا كله يتبين لنا كيف اصطلحوا على تسمية الألفاظ التي تتابع وتتوالى على معنى واحد أو مسمى واحد بـ(الترادف) وصارت هذه الظاهرة اللغوية تعرف عند العلماء والدارسين بهذه التسمية اصطلاحاً."[١٥٠٥].

وقبل أن يستقر الترادف اصطلاحاً عند قدامى اللغويين العرب فإن فكرته قد جاءت عند سيبويه وهو يعرض لصنف من الكلام العربي, إذ كان من ذلك الصنف قسم سماه "اختلاف اللفظين والمعنى واحد... نحو ذهب وانطلق"[١٥٠٦], ويبدو أن اهتمام سيبويه- كما يظهر من تمثيله- كان متوجهاً إلى ما تدل عليه الكلمة دون النظر إلى الاعتبارات الأخرى, أو بالأحرى أن اهتمام سيبويه كان منصباً على دلالة الكلمة لأول وهلة دون الوقوف عند تلك الكلمة والتأمل فيها وبيان الفرق بينها وبين الكلمة الأخرى, إذ إن النظر إلى الكلمتين- بالطريقة التي عرض لها سيبويه- هو الذي جعل الكلمتين - (ذهب) و(انطلق) مجتمعتين على معنى واحد, أما فقدان ذلك النظر فهو الذي يستجلب الرأي الذي ينكر فكرة اجتماع لفظتين على معنى واحد, ويلتمس فروقاً بين هذه اللفظة وتلك, وقد عبر الدكتور إبراهيم أنيس عن ذلك ولكن بطريقة أخرى, وذلك حين قال: "ويظهر أن السر في إنكار الترادف, أن أصحاب هذا الرأي كانوا من الاشتقاقيين الذين أسرفوا في إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى أصل اشتقت منه, حتى الأسماء الجامدة والأسماء الأجنبية عن اللغة العربية, أبوا إلا أن يجعلوا لها أصلاً اشتقت منه"[١٥٠٧], والوقوف عند الكلمة, وإرجاعها إلى الأصل هو ما يستدعي التأمل وإنكار ما دلت عليه حين تلقّيها في سياقها, لذلك فأن مسألة إنكار الترادف بشكل مطلق- في هذا البحث- أمر يتعارض مع ما اتُّخِذَ من منهج , ذلك لأن هذا البحث قد اعتمد منهجاً وصفياً (Synchronic) في دراسته التطبيقية, بمعنى أنه يسجل ما يمليه الواقع اللغوي(الاستعمالي) للمفردات دون الالتفات إلى الواقع التأريخي(الاشتقاقي) لتلك المفردات, لأن الأخير يتطلب منهجاً آخر(Diachronic), غير أن ذلك لا يعني- في الوقت نفسه- قبول الترادف بشكل مطلق- في هذا البحث- وإنما قبوله على وفق ضوابط معينة, وتلك الضوابط قد حددها النظر اللغوي الحديث.

([١٥٠١]) كتاب العين: ٢٢/٨-٢٣.
([١٥٠٢]) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ١٣٦٣/٤-١٣٦٤، أساس البلاغة: ١٦٠، لسان العرب: ١١٤/٩-١١٨(ردف)، القاموس المحيط: ١٤٣/٣-١٤٤، تاج العروس من جواهر القاموس: ١١٤/٦-١١٦، المعجم الوسيط: ٣٣٩/١.
([١٥٠٣]) كشاف اصطلاحات الفنون: ٥٧٨/٣.
([١٥٠٤]) التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ: ٢٥٣.
([١٥٠٥]) الترادف في اللغة: حاكم مالك لعيبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ٣٣.
([١٥٠٦]) كتاب سيبويه: ٢٠/١.
([١٥٠٧]) في اللهجات العربية: ١٦٨.

وأما الترادف في عرف اللغويين المحدثين فهو"ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق"[١٥٠٨], وذلك النوع من الترادف هو الصورة المثلى منه, لأنه- كما يقر البحث اللغوي الحديث- "نادر الوقوع إلى درجة كبيرة, فهو نوع من الكماليات التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر"[١٥٠٩], والسبب في ذلك هو أن لكل مفردة خصوصية يستجلبها استعمال تلك المفردة أو مُستعملُها, وذلك ما يجعل إمكانية توافق تلك الخصوصية مع غيرها لإحداث الترادف التام أمراً نادر الوقوع.

ويحدد البحث اللغوي الحديث شروطاً لحصول الترادف, ومن الممكن أن تصنف تلك الشروط إلى صنفين, صنف داخلي يتعلق بالألفاظ المترادفة نفسها من حيث شكل تلك الألفاظ ومعناها، وصنف خارجي يتعلق بما حول الألفاظ المترادفة من حيث الاتحاد في البيئة اللغوية, والاتحاد في العصر[١٥١٠].

أما من الصنف الأول من الشروط فكان "الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقًا تاماً على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة"[١٥١١], وكان مما اشتُرط أيضاً "ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر"[١٥١٢].

و أما الصنف الآخر من الشروط فإنه لا يدخل ضمن نطاق هذا البحث, وذلك لأن الواقع اللغوي للبحث محدد بـ(خطب نهج البلاغة) فلا معنى للنظر في البيئة أو العصر, وإذا كان ذلك الواقع محدداً فإنه - كما يرى الدكتور حاكم الزيادي- لا مناص من التعويل عليه مقياساً لمعرفة الترادف[١٥١٣], والواقع اللغوي لهذا البحث هو سياقات(خطب نهج البلاغة)، وأما المفردات التي سيتتبعها البحث في تلك السياقات فمنها:

أ. الإنسان / البشر:

وردت لفظة(الإنسان) في خطب نهج البلاغة في ستة مواضع, وكلها تدل إما على ذلك المخلوق في عوالم ما قبل الحياة الدنيا, كما في قول الإمام (عليه السلام): ((**ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا, وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا, تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ, وَلَاطَهَا بِالْبِلَّةِ حَتَى لَزُبَت... ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ, فَمَثُلَتْ إنْساناً ذَا أذْهَانٍ يُجِيلُهَا, وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا**))[١٥١٤], أو في قوله (عليه السلام) في أمر عرض الأمانة على السموات والأرضين: ((**وَلَوْ امْتَنَعَ شَيءٌ بطُولٍ أوْ عَرْضٍ أوْ قُوَةٍ أوْعِزٍ لامْتَنَعْنَ, وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنْ العُقُوبَةِ, وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَ, وَهُوَ الإنْسَانُ ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾**[١٥١٥]))[١٥١٦], فالموضعان في صدد عرض أحوال (الإنسان) في نشأة غير نشأه الحياة الدنيا. أو قد تدل كلمة (الإنسان) في خطب النهج على ذلك المخلوق في عالم الحياة الدنيا, ومن ذلك مثلاً قول الإمام (عليه السلام) في صفات الفساق: ((**وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ... يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ, وَفِيهَا وَقَعَ, وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ, وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ, فَالصُّورَةُ صُورَةُ إنْسَانٍ, والْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوانٍ**))[١٥١٧], وقد جاءت كلمة(الإنسان) على تلك الدلالة في المواضع الباقية[١٥١٨]. وأما كلمة (البشر) فلها في خطب نهج البلاغة موضعان فقط, وهما قول الإمام(عليه السلام): ((**مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الجَنَّةُ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مَنْهَا مَلَكاً**))[١٥١٩], وصرف ابن أبي الحديد كلام الإمام

(١٥٠٨) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، تر: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت: ١١٩.
(١٥٠٩) نفسه: ١١٩-١٢٠.
(١٥١٠) ينظر: في اللهجات العربية: ١٦٦-١٦٧, الترادف في اللغة: ٦٦, وقد عول الدكتور كمال بشر بشكل كبير على الصنف الثاني من الشروط, ينظر: دور الكلمة في اللغة: ١٣١.
(١٥١١) في اللهجات العربية: ١٦٦.
(١٥١٢) نفسه: ١٦٧.
(١٥١٣) ينظر: الترادف في اللغة: ٧٢
(١٥١٤) نهج البلاغة (الصالح): ٤٢(خ١).
(٣) الأحزاب/٧٢.
(١٥١٦) نهج البلاغة (الصالح): ٣١٨(ك١٩٩).
(١٥١٧) نفسه: ١١٩(خ٨٧).
(١٥١٨) ينظر: نفسه: ٣٤٤(ك٢٢٣), ٣٤٧(ك٢٢٤), ٣٥٤(ك٢٣٣).
(١٥١٩) نهج البلاغة (الصالح): ٢٨٧(خ١٩٢).

(عليه السلام) في هذا الموضع إلى الحياة الآخرة[١٥٢٠], وعليه يكون مسمى (البشر) في نص الإمام دالاً على ذلك المخلوق في الحياة الأخروية، وأما الموضع الآخر الذي استعمل فيه الإمام كلمة (البشر) فهو قوله (عليه السلام): ((**وَمَا يُبَلِّغُ عَنْ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إلَّا البَشَرُ**))[١٥٢١], وقد حمل غير واحد من شرَّاح نهج البلاغة كلمة (البشر) في هذا الموضع على معنى الرسل[١٥٢٢].

ويتضح من تتبع كلمتي (الإنسان) و(البشر) في خطب النهج أن لكل واحدة منهما معنى تختلف به عن الأخرى, ودليل ذلك اختصاص كل واحدة منهما بموضع دون سواه, وذلك ما يجعل الكلمتين غير مترادفتين, على الرغم في ورودهما في بعض المعاجم بمعنى واحد[١٥٢٣].

ب. جاء / أتى:

تذكر معاجم اللغة أن المجيء والإتيان كليهما بمعنى واحد[١٥٢٤], وقد حاول أبو هلال الحسين بن عبد الله العسكري(ت٢٩٥) أن يلتمس بين الكلمتين فرقاً دلالياً فقال: "الفرق بين قولك جاء فلان وأتى فلان: أن قولك جاء فلان كلام تام لا يحتاج إلى صلة وقولك أتى فلان يقتضي مجيئه بشيء ولهذا يقال جاء فلان نفسه ولا يقال أتى فلان نفسه ثم أكثر ذلك حتى استعمل أحد اللفظين في موضع آخر"[١٥٢٥], فأبو هلال وإن صرح بوجود فرق بين (جاء) و(أتى) غير أنه يقر في الوقت نفسه بترادف الكلمتين, إذ تستعمل إحداهما في موضع الأخرى.

وقد وردت كلمة (جاء) في خطب نهج البلاغة في خمسة مواضع, منها قول الإمام(عليه السلام): ((**أَمَا وَاللهِ مَا أَتَيتُكُمْ اخْتِيَاراً, وَلَكِنْ جِئْتُ إلَيْكُمْ سَوْقا**))[١٥٢٦], وقوله(عليه السلام): ((**يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ, وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقاً بِهِ**))[١٥٢٧], ولم تُلف كلمة (جاء) في المواضع الأخرى على غير المعنى السابق وهو الإتيان[١٥٢٨]. والمواضع التي ذكرت الكلمة (جاء) لا تتفق مع المواضع التي ذكرت فيها الكلمة(أتى) – من حيث المعنى- فحسب, وإنما من الممكن استبدال كلمة (جاء) مكان كلمة (أتى), ويسمى ذلك الاستبدال في علم اللغة الحديث بـ(مبدأ الاستعاضة), ويعد مقياساً للألفاظ المترادفة[١٥٢٩]. وأما كلمة (أتى) فقد جاءت في خطب نهج البلاغة في عشرين موضعاً, وهي (أتى) وإن لم تخضع في المواضع كلها لـ(مبدأ الاستعاضة), فإن معناها في تلك المواضع متفق مع معنى كلمة (جاء), ومن ذلك مثلاً قول الإمام (عليه السلام): ((**إنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ**))[١٥٣٠], أي بما جاء, وقوله (عليه السلام): ((**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِي شَيءٍ إلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ**))[١٥٣١], و(يأتي) في هذا الموضع يصح أن تكون كلمة (يجيء) مكانها, وقوله (عليه السلام) ذاكراً أحوال آخر الزمان: ((**فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ, وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ, تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا**))[١٥٣٢], وأما في قوله (عليه السلام): ((**فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ!**))[١٥٣٣], فإن (أُتيتم) وإن لم يكن بالإمكان

(١٥٢٠) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٣/١٣٥-١٣٦.
(١٥٢١) نهج البلاغة (الصالح): ٦٢(ك٢٠).
(١٥٢٢) ينظر: شرح نهج البلاغة(المصباح): ١/١٩-٢٠, توضيح نهج البلاغة:١/١٢٤.
(١٥٢٣) ينظر: كتاب العين: ٦/٢٥٩, المعجم الوسيط: ١/٥٨.
(١٥٢٤) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ١/٢٤٢, لسان العرب: ١٤/١٣(أ ت ى), المعجم الوسيط: ١/٤.
(١٥٢٥) الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، جامعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٢هـ: ١٥٢.
(١٥٢٦) نهج البلاغة (الصالح): ١٠٠(خ٧١).
(١٥٢٧) نهج البلاغة (الصالح): ٢٢٢(خ١٧٥).
(١٥٢٨) ينظر: نفسه: ١٧٩(ك١٢٢), ٢٠٨(خ١٥٠), ٣٢٧(ك٢١٠).
(١٥٢٩) ينظر: الترادف في اللغة: ٦٧.
(١٥٣٠) نهج البلاغة (الصالح): ٢٥٣(خ١٧٦).
(١٥٣١) نفسه: ٢٥١(خ١٧٦).
(١٥٣٢) نفسه: ١٤٨(خ١٠٢).
(١٥٣٣) نفسه: ١٨٢(ك١٢٥).

استبدالها بـ(جيء بكم) غير أن معنى الاثنين واحدٌ في هذا الموضع, وهذا ما يجعلهما متفقتين معنىً, ويكفي ذلك لعدّ (جاء) و(أتى) مترادفتين في هذا الموضع. ولا تختلف المواضع الأخرى لاستعمال(أتى) في خطب النهج عن الحالتين السابقتين[١٥٣٤].

ويخلص البحث مما سبق أن كلمتي (جاء) و(أتى) أُستُعملتا في خطب النهج بمعنى واحد, ولم تكونا متفقتي المعنى فحسب, وإنما أمكن في بعض المواضع استبدال إحداهما بالأخرى, لذلك فأن (جاء) و(أتى) وردتا مترادفتين في خطب نهج البلاغة.

ج. الخشية / الخوف:

الخشية كما في (كتاب العين) هي الخوف[١٥٣٥], ولم يبتعد ابن منظور في (لسان العرب) عن ذلك المعنى حيث ذكر أن "خَشِيَ: الخشية: الخوف. خشي الرجل خشية أي خاف"[١٥٣٦], ويفرق الراغب الأصفهاني في(مفردات غريب القرآن) بين الخشية والخوف فيذهب إلى أن الخوف هو "توقع المكروه عن أَمارة مظنونة أو معلومة ويضاد الخوف الأمنُ. ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية, والخشية خوف يشوبه تعظيم, وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه"[١٥٣٧]. فالعلاقة بين (الخشية) و(الخوف) علاقة عكسية- إذا صح التعبير- ذلك لأن الخشية مصدرها من يُخشى أو ما يُخشى نفسهما, وأما الخوف فيكون مبعثه الخائف نفسه, فالاختلاف بين (الخشية) و(الخوف) متأتٍ من هذه الناحية.

ولعل ذلك الاختلاف هو ما يُلمح في خطب نهج البلاغة, فقد كان للخشية منها ستة مواضع, وكلها تدل على أن المخشي منه لعظمه هو الذي سبب ذلك الشعور, ومن ذلك مثلاً قول الإمام (عليه السلام): ((**يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلُ وَأُدْبِرُ... وَاللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً**))[١٥٣٨], فعِظَم الإثم عند الإمام هو الذي جعل الخشية تنتابه، وقوله (عليه السلام) أيضاً: ((**فَاحْذَرُوا مِنَ اللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ, وَاخْشَوهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ**))[١٥٣٩], فعظمة الله تعالى هي سبب الخشية. ولا تختلف المواضع الأخرى للخشية في خطب النهج عن تلك الدلالة[١٥٤٠]. وأما الخوف فقد جاء في ما يقرب من الستين موضعاً في خطب نهج البلاغة, وكلها تشير إلى ذلك الشعور الذي يحسه الخائف من تلقاء نفسه بقطع النظر عن المخوف, فقد يكون الخوف عظيماً كخوف الله تعالى كما في قول الإمام (عليه السلام): ((**كُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ**))[١٥٤١], يقول أحد شراح النهج موضحاً هذا الموضع من الخطبة: "أي أن الناس يخافون من كل مخوف خوفاً حقيقياً"[١٥٤٢], فالشارح نسب الخوف للناس, فهم الخائفون. أو قد يكون الخوف مكروهاً كقول الإمام: (عليه السلام): ((**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اِتِّبَاعُ الْهَوى وَطُولُ الْأَمَلِ**))[١٥٤٣], فكراهة الإمام اتباعَ الهوى وطولَ الأمل هي التي جعلته يخافهما على الناس، فالخوف سببه الكراهة. ولا تختلف الموارد الأخرى التي ورد فيها الخوف في الدلالة على ما دلّ عليه في الموارد السابقة [١٥٤٤], وقد أرجع أحد الباحثين الفرق في دلالة (الخشية) ودلالة (الخوف) إلى أصل الجذر اللغوي للكلمتيين, أي (خ ش ي) و(خ و ف) وتقلباتهما, غير أنه لم يذكر شواهد على ما ذهب إليه[١٥٤٥], وأياً كان السبب فإن (الخشية) لا ترادف (الخوف) على الأقل في خطب نهج البلاغة.

([١٥٣٤]) ينظر: نفسه: ٣٥(خ٦), ٧٩(خ٣٥), ١٠٠(خ٧١),١٤٢(ك٩٧)، ١٩٨(ك١٤٢), ٢٠٩(خ١٥١), ٢٢٣(خ١٥٨), ٢٥٦(ك١٧٧).
([١٥٣٥]) ينظر: كتاب العين: ٢٨٤/٤.
([١٥٣٦]) لسان العرب: ٢٢٨/١٤ (خ ش ي).
([١٥٣٧]) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تح: محمد سيد كيلاني، القاهرة، ١٩٦١م: ١٦١.
([١٥٣٨]) نهج البلاغة (الصالح): ٣٥٨(ك٢٤٠).
([١٥٣٩]) نفسه: ٦٥(خ٢٣).
([١٥٤٠]) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ٩٧(ك٦٦), ١٦٦(خ١١١), ٣١٥(خ١٩٨).
([١٥٤١]) نهج البلاغة (الصالح): ٢٢٦(خ١٦٠).
([١٥٤٢]) توضيح نهج البلاغة: ٤٢٦/٢.
([١٥٤٣]) نهج البلاغة (الصالح): ٤٢(خ٨٣).
([١٥٤٤]) نفسه: ٥٩(ك١٧), ١٠٣(خ٧٦), ١٤١(خ٩٧), ١٥٤(خ١٠٦), ١٧١(خ١١٤), ٢٥١(خ١٧٦), ٢٧٠(خ١٨٥), وغيرها من المواضع.
([١٥٤٥]) ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم: د. طالب محمد الزوبعي، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥م: ٨٥.

د. السخط / الغضب:

ذكر الجوهري في صحاحه المادة (سخط) فقال: "السَّخط والسُّخط: خلاف الرضا. وقد سَخِطَ عليه, أي غَضِبَ, فهو ساخط . وأسخطه, أي أغضبه"[١٥٤٦], فالسخط والغضب عند الجوهري بمعنى واحد, وقد تابع عددٌ من المعجميين الجوهريَّ فيما ذهب إليه[١٥٤٧], غير أن أبا هلال العسكري يشترط لأن تكون (سخط) بمعنى(غضب) أن تأتي الأولى متعدية بـ(على), لذلك قال: "والسخط إذا عديته بنفسه فهو خلاف الرضا, يقال رضيه وسخطه, وإذا عديته بعلى فهو بمعنى الغضب, تقول سخط الله عليه إذا أراد عقابه"[١٥٤٨], أي إذا غضب عليه, ويمكن أن يضاف شرط آخر إلى شرط أبي هلال وهو كون (السخط) صادراً من الله تعالى حتى يكون بمعنى الغضب. وعدّ إبراهيم اليازجي في كتابه (نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد) الغضبَ مرتبةً أعلى من السخط إذ قال: "العتب إذا أنكرت عليه شيئا من فعله، ثم الموجدة وهي أشد، ثم السخط وهو خلاف الرضى، ثم الغضب، ثم الحنق"[١٥٤٩]، فـ(السخط) قد يكون في بعض وجوهه دالاًعلى معنى (الغضب)، أو إن الاثنين معناهما واحد ولكن مرتبتهما مختلفة.

وورد السخط في خطب نهج البلاغة في عشرة مواضع منها, ولم يأت متعدياً بعلى وصادراً من الله تعالى إلا في موضع واحدٍ فقط, وهو قول الإمام(عليه السلام): ((**واعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ, وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيءٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**))[١٥٥٠], ففي قوله(عليه السلام) (لن يسخط عليكم) معنى (لن يغضب عليكم), وزيادة على ذلك فقد تحقق بين (يسخط) و(يغضب) مبدأ(الاستعاضة)، أي استعاضة (يسخط) بـ(يغضب). وأما المواضع الأخرى التي جاء فيها(السخط) فإن معناه إلى عدم الرضا أقرب منه إلى معنى الغضب, ومن ذلك مثلاً قول الإمام (عليه السلام) مشيراً إلى خروج طلحة والزبير وعائشة عليه: ((**إنَّ هَؤلَاءِ قَدْ تَمَالَؤوا عَلَى سَخْطَةِ إمَارَتِي**))[١٥٥١], أي على عدم رضا الإمارة. وكذا الحال فيما يخصُّ مواضع (السخط) الأخرى[١٥٥٢]. وأما(الغضب) فله في خطب النهج تسعة مواضع, ولم يتحقق في موضع واحد منها- على الأقل- الشرطان السابقان, وهذا يُخرجها من مرادفة (السخط) في خطب النهج[١٥٥٣]. وعليه يكون التتبع لكلمتي (السخط) و(الغضب) في خطب نهج البلاغة خالصاً إلى أن السخط قد ورد مرادفاً لـ(الغضب) في موضع واحد من خطب النهج – وهو الموضوع المذكور آنفاً- وقد كان توافق دلالة الكلمتين توافقاً تاماً، مما جعل من الممكن أن تحل إحداهما محل الأخرى. وأما المواضع الباقية التي وردت فيها الكلمتان فلم تكن كلٌّ منهما متضمنة معنى الكلمة الأخرى- على الأقل- وهذا ما يخرجها عن دائرة الترادف في تلك المواضع، وإذا جاز لاسم أن يصدق على هذا النوع من الترادف فمن المناسب أن يسمى بـ(الترادف النسبي).

([١٥٤٦]) تاج اللغة وصحاح العربية: ١١٣٠/٣.
([١٥٤٧]) ينظر: لسان العرب: ٣١٣/٧(س خ ط), القاموس المحيط: ٣٦٣/٢, تاج العروس من جواهر القاموس: ١٥١/٥, المعجم الوسيط:١ /٤٢٣.
([١٥٤٨]) الفروق اللغوية: ٣٨٦.
(٣) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد: إبراهيم اليازجي، مطبعة القديس بولس، حريصا، ط٢، ١٩١٣م: ١/ ٢٤٩.
([١٥٥٠]) نهج البلاغة (الصالح): ٢٦٦(خ١٨٣).
([١٥٥١]) نفسه: ٢٤٤(خ١٦٩).
([١٥٥٢]) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ١٥٨(خ١٠٩), ٢١٤(خ١٥٣), ٢٣٠ (خ١٦١), ٢٥٩(خ١٨٠), ٢٩١(خ١٩٢), ٣١٩(ك٢٠١).
([١٥٥٣]) ينظر: نفسه: ١٥٤(خ١٠٦), ١٨٨(خ١٣٠), ٢٤٨(خ١٧٣), ٢٦٧(خ١٨٣), ٢٧٤(خ١٦٨), ٢٨٩(خ١٩٢), ٣٠٩(خ١٩٥).

هـ. الغيث / المطر:

لم يفرق أصحاب المعاجم بين كلمتي (الغيث) و(المطر), ويبدو أن مجازية كلمة (الغيث) وحقيقية كلمة (المطر) هي التي جعلت أصحاب المعاجم يفسرون كلمة (الغيث) بـ(المطر) وليس العكس[١٥٥٤], فالمجاز- بوصفه عاملاً من عوامل التطور الدلالي, ومن ثم هو أحد أسباب الترادف في اللغة[١٥٥٥]- هو الذي ساهم في اتفاق معنيي (الغيث) و(المطر). وقد نسب الجاحظ عدم التفريق بين المفردتين إلى صنف من الناس فقال: إن "العامة وأكثر الخاصّة لا يَفصِلون بين ذكر المطر وذكر الغَيث"[١٥٥٦], وقد ذكر الجاحظ ذلك بعد أن أعطى الخصوصية الدلالية لبعض كلمات القرآن الكريم ومن بينها كلمة(المطر), وأرجع تلك الخصوصية إلى استخفاف لفظ دون غيره في الاستعمال فقال: "وقد يستخفُّ الناسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرُها أحقُّ بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكُر في القرآن الجوعَ إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدْقِع والعجز الظاهر... وكذلك ذِكر المطر, لأنّك لا تجد القرآنَ يلفظ به إلا في موضع الانتقام"[١٥٥٧], فدلالة(الغيث) تختلف عن دلالة(المطر) والذي وحّد بينها استعمالاً هو استخفاف أحدهما دون الآخر.

وقد جاءت كلمة(الغيث) في خطب نهج البلاغة في ثلاثة مواضع[١٥٥٨], وكلها تدل على الماء الساقط من السماء ليكون سبباً للرزق والنماء, ومن ذلك مثلاً قول الإمام (عليه السلام): ((**اَللّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ, وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ**))[١٥٥٩], وقوله أيضاً لمن أرسله أهل البصرة ليعلم منه (عليه السلام) حقيقة حاله مع أصحاب الجمل فأجابه الإمام: ((**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعْثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ, فَرَجِعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنْ الكَلَإِ وَالمَاءِ, فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ والْمَجَادِبِ, مَا كُنْتَ صَانِعاً؟**))[١٥٦٠], ولا تختلف كلمة (الغيث) في دلالتها عن الموضع الآخر[١٥٦١], ويبدو أن ما تنماز به كلمة (غيث) لفظاً ودلالةً هو الذي جعلها تستعمل مع ذلك النوع من المطر الذي يطلب في موارد الخير والنعمة. وأما (المطر) فقد ورد في خطب نهج البلاغة في ثلاثة مواضع أيضاً، ويختلف كل موضع في دلالته عن الآخر, فقد يكون الموضع الذي يذكر فيه (المطر) دالاً على العذاب والنقمة كما في قول الإمام (عليه السلام): ((**أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ المَذَاهِبُ, وَتَتِيهُ بِكُمْ الْغَيَاهِبُ وَتَخْدَعَكُمْ الْكَوَاذِبُ؟... فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ, وَقَرَفَهُ قَرَفَ الصَّمْغَةِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَأْخَذَهُ, وَرَكِبَ الجَهْلُ مَرَاكِبَهُ, وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ, وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ... فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً, وَالْمَطَرُ قَيْظاً, وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً**))[١٥٦٢], أو قد يكون الموضع الذي يذكر فيه (المطر) دالاً على الرحمة أو النقمة, كقول الإمام (عليه السلام): ((**أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ كَقَطَرِ المَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادةٍ أَوْ نَقْصٍ**))[١٥٦٣], فقد ذهب أحد شراح النهج إلى تفسير معنى(الأمر) في هذا الموضع قائلاً: "المراد به الجنس من الآجال والأرزاق والمناصب وما أشبه ذلك"[١٥٦٤], وهذا يعني أن الإمام قد وضع تلك الأمور بين الزيادة والنقص, أي بين الرحمة والنقمة, وشبهها بقطر المطر. والموضع الآخر الذي ذكر فيه الإمام كلمة (المطر) في خطبه هو قوله (عليه السلام): ((**قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَلَمَعَ لاَمِعٌ وَلاَحَ لاَئِحٌ واعْتَدَلَ مَائِلٌ,**

([١٥٥٤]) ينظر: كتاب العين: ٤٤٠/٤, ٤٢٥/٧-٤٢٦, تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٩٨/١, ٨١٨/٢-٨١٩, لسان العرب: ٢/ ١٧٥(غ ي ث)، ١٧٨/٥-١٨٠(م ط ر), القاموس المحيط: ١٧١/١، ١٣٤/٢-١٣٥, تاج العروس من جواهر القاموس: ٦٣٧/١، ٥٤٤/٣, المعجم الوسيط: ٦٧٤/٢, ٨٨٢.

([١٥٥٥]) ينظر: الترادف في اللغة: ١٠٠-١٠٩.

([١٥٥٦]) البيان والتبيين :٢٠/١.

([١٥٥٧]) البيان والتبيين: ٢٠/١.

([١٥٥٨]) هناك موضع رابع وردت فيه كلمة(الغيث), ولكنه مقتبس من قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ)(الشورى/٢٨).

([١٥٥٩]) نهج البلاغة (الصالح): ٢٠٠(خ١٤٣).

([١٥٦٠]) نفسه: ٢٤٤-٢٤٥(ك١٧٠).

([١٥٦١]) ينظر: نفسه: ١٩٩(خ١٤٣).

([١٥٦٢]) نهج البلاغة (الصالح): ١٧٥(خ١٠٨).

([١٥٦٣]) نهج البلاغة (الصالح): ٦٤(خ٢٣).

([١٥٦٤]) توضيح نهج البلاغة: ١٢٩/١.

واسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً, وَبِيَوْمٍ يَوْمَاً, وَانْتَظَرْنَا الْغَيْرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ))[١٥٦٥], والموضع –كما يظهر- موضع خير ورحمة, فقد ذكر بعض شراح نهج البلاغة أن الإمام قد قال هذه الخطبة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان[١٥٦٦], وشرح ابن ميثم البحراني المقطع المذكور من الخطبة قائلاً: "وشبه انتظاره للغير بانتظار المجدب للمطر, ووجه الشبه شدة التوقع وانتظاره, ويمكن أن يلاحظ في وجه الشبه لواحق الأمرين المنتظرين. إذ من لواحق ما انتظره هو من الغير وانتقال الأمر إليه شمول العدل وظهور الحق في موارده المشبه لوقع المطر في الأرض المجدبة, واستلزامه للخير والبركة"[١٥٦٧], وعليه تكون كلمة (المطر) في الموضع الأخير متفقة من حيث الدلالة والمعنى مع كلمة (الغيث) التي ذكرت سابقاً, وبذلك تكون الكلمتان(الغيث) و(المطر) مترادفتين في مواضع واحد من خطب نهج البلاغة, ذلك على الرغم من ورودهما في مواضع متعددة من تلك الخطب, وهذا ما يدخلهما أيضاً تحت ما يمكن تسميته بـ(الترادف الجزئي).

و. قعد / جلس:

ذهب بعض أصحاب المعاجم إلى القول بترادف الكلمتين(قعد) و(جلس) ففسَّر(قعد) بـ(جلس) و(الجلوس) بـ(القعود)[١٥٦٨], وأما بعضٌ ثانٍ من أصحاب المعاجم فاكتفى بالقول بترادفهما من جانب واحد, وفسَّر(قعد)بـ(جلس) وليس العكس[١٥٦٩], أو فسَّر(جلس) بـ(قعد) وعكس ولكن اشترط أن يكون(جلس) عن قيام[١٥٧٠], في حين ذهب بعضٌ ثالثٌ إلى إعطاء فرق دلالي لكل من(الجلوس) و(القعود), ثم استدرك قائلاً : "قيل: وقد يستعمل جلس بمعنى قعد, كما يقال جلس متربعاً, وقعد متربعاً"[١٥٧١], وأما بعضٌ رابعٌ فقد ارتضى أن يكون معنى (القعود) هو (الجلوس) من جهة, ولكنه- من جهة أخرى- اكتفى بذكر كلمة (مجلس) بأنها كـ(مقعد)[١٥٧٢]. وليس أدلَّ على دلالة المفردتين من تتبعهما في خطب نهج البلاغة ما دام البحث منحصراً فيها.

فقد جاءت كلمة (قعد)- بتصريفاتها- في خمسة مواضع من خطب نهج البلاغة, وقد أفادت في تلك المواضع كافتها معنى الثبات والاستقرار, وأن القائم بذلك الفعل (القعود) لم يقم بفعل آخر بعده، وإفادة (قعد) الدلالة على ذلك المعنى هي ما ذهب إليه السيوطي في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن)، واختاره أحد الباحثين المحدثين[١٥٧٣]، و(قعد) كذلك في خطب نهج البلاغة. فعندما يريد الإمام أن يعبر عن ثبات الألسن واستقرارها عند حدٍ ما في وصف الله تعالى يستعمل لذلك الفعل (قعد) فيقول (عليه السلام): ((**فَسُبْحَانَ اللهِ الذَّي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً, وَمُؤَلَّفاً مُكَوَّناً, وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ, وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نِعْمَتِهِ**))[١٥٧٤]، وكذلك عندما يريد الإمام أن يعبر عمَّن تُقبل عليه الدنيا من غير أن يتحرك هو لذلك أو يسعى إليه, فإنه (عليه السلام) يستعمل الفعل (قعد) أيضاً, إذ يقول (عليه السلام) في صفة الدنيا: ((**مَنْ اقْتَقَرَ فِيْهَا حَزِنَ, وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ, وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ**))[١٥٧٥], وكذلك الحال عندما يريد الإمام التعبير عن الثبات وعدم الحركة سواء أكان ذلك في القبر, أم في الجنة[١٥٧٦]. وأما(جلس)- وتصريفاتها- فقد وردت في عشرة مواضع من خطب نهج البلاغة, وهي في المواضع كلّها تدل على معنى المكوث المؤقت الذي ما يلبث صاحبه حتى يؤدي فعلاً بعد فعل الجلوس نفسه, ففي وصف حياة النبي (صلى الله عليه وآله

(١٥٦٥) نهج البلاغة (الصالح): ٢١٢(خ١٥٢).
(١٥٦٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٥٣/٩, منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: القطب الراوندي، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، ١٤٠٦ق: ٩١/٢, توضيح نهج البلاغة: ٢/ ٣٧٧.
(١٥٦٧) شرح نهج البلاغة(المصباح): ٣/ ٢٣٥.
(١٥٦٨) ينظر: لسان العرب: ٣٥٧/٣(ق ع د), ٣٩/٦(ج ل س).
(١٥٦٩) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/٢,٥٢٥/٩١٤.
(١٥٧٠) ينظر: المعجم الوسيط: ١٣٠/١، ٧٥٤/٢.
(١٥٧١) الفروق اللغوية: ١٦٤-١٦٥.
(١٥٧٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٤/٢,٤٦٩/١٢١.
(١٥٧٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، تح: علي محمد البجاوي، دار الثقافة القومية: ٦٠٥/٣ نقلاً عن: ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٦٨.
(١٥٧٤) نهج البلاغة (الصالح): ٢٣٨(خ ١٦٥).
(١٥٧٥) نفسه: ١٠٦(ك ٨٢).
(١٥٧٦) ينظر: نفسه: ١١٣(خ٨٣), ٣٤٣(ك٢٢٢).

وسلم) مثلاً يقول الإمام (عليه السلام): ((**وَلَقَدْ كَانَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ, وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ**))[١٥٧٧], وكذلك في ذكر قارئ القرآن يقول الإمام (عليه السلام): ((**وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٍ فِي هُدَىً, وَنُقْصَانٍ مِنْ عَمَىً**))[١٥٧٨], وقد دل على وقتية(الجلوس) في هذا الموضع الفعل(قام) الذي جاء به الإمام بعد صيغة الفعل (جالس). وأما عندما يريد الإمام أن يعرض ما هو فيه من حال غير دائم فإنه يأتي بكلمة (مجلس) دلالةً على ذلك, إذ يقول في إحدى خطبه واصفاً الجنة: ((**فَلَوْ رَمَيْتَ بِبِصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِها وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا... فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا, وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالا بِهَا**))[١٥٧٩], فقد ذكر الإمام في هذا الموضع كلمة (مجلس) بما تدل عليه من حال وقتي غير دائم ليقابل بينها وبين ما تكون عليه الجنة من حال دائم.

وتتردد كلمة(جلس)- بتصريفاتها- في مواضع أخرى من خطب النهج, وكلها لها تلك الدلالة نفسها[١٥٨٠].

والذي يظهر من تتبع الكلمتين (قعد) و(جلس) – بتصريفاتهما- في خطب نهج البلاغة أنه على الرغم من تلويح بعض اللغويين بترادفهما, فإن السياقات التي وردت فيها تلكما المفردتان- بصياغاتهما المختلفة- قد كشفت عن فروق دلالية تجعل لكل واحدة منهما محلاً ترد فيه دون سواه, وهذا ما يبعدهما عن حيز الترادف في تلك الخطب.

ز. الوهن / الضعف:

لا يكاد يُفَرَق في معاجم اللغة بين (الوهن) و(الضعف), بل حتى لا يُفرق بينهما في كتب الفروق اللغوية, أما في المعاجم فقد ذكر الخليل أن "الوهن: الضعف في العمل وفي الأشياء. وكذلك في العظم ونحوه, وقد وهن العظم وهناً وأوهنه يوهنه"[١٥٨١], وقد تابع عدد من المعجميين الخليل في ذلك المعنى[١٥٨٢]. وأما كتب الفروق فقد ذكر أبو هلال العسكري- بعد أن أورد الفرق بين (الضعف) و(الوهن) أنه "قد يستعمل الضعف مكان الوهن مجازاً"[١٥٨٣], وكذلك لم يفرق بينهما الأب هنريكوس لامنس اليسوعي في كتابه (فرائد اللغة في الفروق)[١٥٨٤], لذلك ذكر إبراهيم اليازجي الكلمتين قائلاً: "وأجِدُ وهنًا في عظامي أي ضُعفاً"[١٥٨٥]، فـ(الوهن) و(الضعف) مترادفان عند جميع من ذكروا. غير أن تتبع المادتين(وهن) و(ضعف) في خطب نهج البلاغة يظهر كلمتين ذواتي دلالتين, وليستا كلمتين ذواتي دلالة واحدة.

فقد ذُكر (الوهن) في خطب نهج البلاغة في ثماني مواضع, وكلها لها دلالة محددة, وهي الإشارة إلى مرتبة أضعف من الضعف, بمعنى أنها تأتي مع الضعيف لتزيد من ضعفه مرتبةً أخرى, أو قل: إنه (الوهن) مستوى أدنى من الضعف. فمثلاً عندما يريد الإمام (عليه السلام) أن ينصح نفراً من الصحابة بألا يحدثوا جملة من الأمور يخاطبهم بقوله: ((**وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً, وَتُسْقِطُ مُنَّةً, وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً**))[١٥٨٦], أي لا تفعلوا فعلة تورثكم ذلك المستوى المتدني من الضعف, بمعنى آخر لا تضيفوا إلى ضعفكم ضعفاً آخر, وقد أيّد ذلك المعنى ما ذُكر في سياق النص من تضعضع القوة, وإسقاط المنة, وهما- في حدود ذاتيهما- ضعف أولي- إذا جاز التعبير- وكذلك عندما يذكر الإمام (عليه السلام) تصديَهُ للقيم الجاهلية فيقول: ((**وَأَيْمُ اللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ**

([١٥٧٧]) نهج البلاغة (الصالح): ٢٢٨(خ١٦٠).
([١٥٧٨]) نفسه: ٢٥٢(خ١٧٦).
([١٥٧٩]) نفسه: ٢٣٩(خ١٦٥).
([١٥٨٠]) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ٥٩(خ١٧), ٧٣(خ٢٩), ٩٩(قو٧٠), ١١٧(خ٨٦), ١٤٢(خ٩٧), ٣٤٣(ك٢٢٢).
([١٥٨١]) كتاب العين: ٩٢/٤.
([١٥٨٢]) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٢١٥/٦, معجم مقاييس اللغة: ١١٨/٦, أساس البلاغة: ٥١١, لسان العرب:١٣/ ٤٥٣(وهـ ن), تاج العروس من جواهر القاموس: ٩/ ٣٦٤.
([١٥٨٣]) الفروق اللغوية: ٣٣٠.
([٥]) ينظر: فرائد اللغة في الفروق: هنريكوس لامنس اليسوعي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٩م: ٤٦٢.
(٦) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد: ١٣٩/١.
([١٥٨٦]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٤٣(ك١٦٨).

بِحَذَافِيرَهَا, واسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا, مَا ضَعُفْتُ, وَلَا جَبُنْتُ, وَلَا خُنْتُ, وَلَا وَهَنْتُ))[١٥٨٧], والذي يدل على أن (وهن) في هذا الموضع هي غير (ضعف) أمران:

أولهما: إنَّ الإمام عطف (وهن) على (ضعف), والمعروف أن العطف يكون على مغايرٍ في المعنى.

وثانيهما: إنه (عليه السلام) ذكر (الوهن) في آخر ما نفاه عنه من أفعال.

وكأن الإمام يريد أن يقول: إنّ الضعف لم يعتره, وإن كان بمستوى أقل من مستوى الضعف الاعتيادي. وتبدو دلالة (الوهن) على ذلك المعنى أكثر جلاءً في قول الإمام (عليه السلام) مخاطباً الناس: **((أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيكُمْ))**[١٥٨٨], أي لو لم تبلغوا ذلك المستوى من الضعف- الذي هو الوهن- ومن ثم لم تعجزوا عن إيصال الباطل- وهو الضعيف- إلى مستوى أدنى من مستواه لم يطمع فيكم أحد, ولم يقوَ عليكم قوي. ولم تختلف دلالة (الوهن) في المواضع الأخرى من خطب النهج عن تلك الدلالة التي ذكرت[١٥٨٩].

وأما (الضعف) في خطب نهج البلاغة فقد جاء في أحد عشر موضعاً, وكلها تدل على معنى يُضاد معنى (القوة), أي أن(الضعف) في خطب النهج له دلالة واحدة, وهي الدلالة على معنى يقف مقابلاً لمعنى القوة, ومثال ذلك ما جاء في إحدى خطب الإمام (عليه السلام) من وصف لأنبياء الله تعالى (عليهم السلام) وما اجتمعت في صفاتهم من أضداد, إذ يقول الإمام: **((وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ, وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ... وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ))**[١٥٩٠], فقوة العزيمة عند الرسل يقابلها أو يضادها ضعف في جانب آخر من حالهم. وكذلك عندما يقابل الإمام (عليه السلام) بين قوة السموات والأرضين والجبال وبين ضعف الإنسان فإنه يقول: **((ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ... وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْإِنْسَانُ ﴿ إِنَّه كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[١٥٩١]))**[١٥٩٢], فالسموات والأرضون والجبال في قوتها تقابل أو تضاد الإنسان في ضعفه. ويظهر معنى(الضعف) أيضاً في خطب النهج في تلك الثنائية التي يعرض لها الإمام (عليه السلام), ويبين من خلالها استواء الخلق, إذ يجعل الإمام (القوي) في مقابل(الضعيف) فيقول(عليه السلام): **((وَمَا الْجَلِيلُ واللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ))**[١٥٩٣]. ولا تخرج دلالة (الضعف) في خطب نهج البلاغة عن ذلك المعنى في المواضع الأخرى[١٥٩٤].

وعلى ما سبق يتضح أنّ لـ(وهن) في خطب نهج البلاغة خصوصيةً دلالية هي غير الخصوصية الدلالية التي لـ(ضعف) في تلك الخطب نفسها, وقد جعلت تلكما الخصوصيتان الكلمتين (وهن) و(ضعف) كلمتين مستقلتين دلالياً, وليستا كلمتين مترادفتين.

(١٥٨٧) نفسه: ١٥٠(خ ١٠٤).
(١٥٨٨) نفسه: ٢٤١(خ١٦٦).
(١٥٨٩) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ١٤٩(خ١٠٣), ١٧٣(خ١١٦), ٢٧٥(خ١٨٦), ٢٩٦(خ١٩٢).
(١٥٩٠) نهج البلاغة (الصالح): ٢٩١- ٢٩٢(خ١٩٢).
(١٥٩١) الأحزاب/ ٧٢.
(١٥٩٢) نهج البلاغة (الصالح): ٣١٧- ٣١٨(ك١٩٩).
(١٥٩٣) نفسه: ٢٧١(خ١٨٥).
(١٥٩٤) ينظر: نهج البلاغة (الصالح): ١٤٩(خ١٠٣), ١٥٠(خ١٠٤), ١٧٢(خ١١٥), ٢٧٢(خ١٨٥), ٢٧٥(خ١٨٦), ٢٩٣(خ١٩٢), ٣٢٢(خ٢٠٥), ٣٥١(خ ٢٣٠).

رابعاً: **التقابل** *Contrast* :

ذكر الجوهري في صحاحه المصدر (التقابل), وأعطاه معنى المصدر (المقابلة) فقال: "والمقابلة: المواجهة. والتقابل مثله"[١٥٩٥], و(المقابلة) هي للفعل (قابل), و(التقابل) هو للفعل (تَقَابل). ولم يُشر غير الجوهري من المعجميين إلى مصدر الفعل(تقابل), وإنما أشاروا إلى الفعل (قابل) ومصدره, واكتفوا بذكر الفعل (تقابل)، ويتضح ذلك الحال عند صاحب (لسان العرب) إذ قال "وقابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً عارضه. الليث: إذا ضممت شيئاً إلى شيء قلت قابلته به, ومقابلة الكتاب بالكتاب وقباله به: معارضته. وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً"[١٥٩٦], ولم يختلف ما جاء في (لسان العرب) عما جاء في (القاموس المحيط) أو(تاج العروس من جواهر القاموس) أو (المعجم الوسيط)[١٥٩٧]. ومهما كان الفعل أو مصدره فهي كلها ترجع إلى الأصل

([١٥٩٥]) تاج اللغة وصحاح العربية: ١٧٩٧/٥.
([١٥٩٦]) لسان العرب: ٥٤/١١(ق ب ل).
([١٥٩٧]) ينظر: القاموس المحيط: ٣٥/٤, تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٨/٨, المعجم الوسيط: ٧١٩/٢.

(قَبِلَ) الذي له دلالة على وجود شيئين يقف أحدهما بوجه الأخر[١٥٩٨], وهذا ما يعلل اختيار الوزنين (فاعل) و(تفاعل) اللذين لهما صرفياً تلك الدلالة.

ويبدو أن الاقتصار على (المواجهة) بين الشيئين في معنى (التقابل) لغةً قد جعل عدداً من المفاهيم والمصطلحات التي وردت في التراث العربي تنضوي تحته,

"إذ يستعمل التقابل اصطلاحاً ليشمل كل أشكال التناقض والتضاد, بل والاختلاف أيضاً. فقد استعمل في مصادر قديمة بمفهومه الدال على التضاد, سواء أكان تقابلاً

في المفردات أم في المركبات والأساليب"[١٥٩٩], بل إن إطلاق لفظ (التقابل) على كل (مواجهة) قد جعل من (التقابل) مادة للمشتغلين باللغة وغيرها كالمناطقة والفلاسفة[١٦٠٠].

وعلى الرغم من كثرة الموضوعات التي أشارت إلى معنى (التقابل) في تراث العرب اللغوي غير أن لفظ (التقابل)- على وجه التحديد- لم يرد في ذلك التراث, ومن ثم لم يرد عن العرب القدامى تعريف يبين مفهوم ذلك اللفظ ويحدد دلالته.

ولما كانت فكرة(التقابل) تتضمن- فيما تتضمنه- تضاداً دلالياً, فإن أول إشارة تلمح إلى تلك الفكرة قد تضمنها كتاب (الأضداد) لابن الأنباري, إذ جاء في هذا الكتاب "وأكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين: أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين, كقولك: الرجل والمرأة, والجمل والناقة, واليوم والليلة, وقام وقعد, وتكلم وسكت, وهذا هو الكثير الذي لا يحاط به"[١٦٠١]، ولا يخفى أن تلك الفكرة قد تناولها البلاغيون في دراساتهم, وعقدوا لها باباً سموه تارةً بـ(المقابلة), وتارة أخرى بـ(المطابقة) أو (الطباق)[١٦٠٢].

وقد استقر(التقابل) عند المحدثين بوصفه ظاهرة دلاليّة تكوّن "مع الأضداد والمشترك والترادف ما يسمى بالعلاقات الدلاليّة Semantic Relations"[١٦٠٣]، أو علاقات المعنى. وقد يكون من باب التجوز أن تعد ظاهرة التقابل ضمن تلك العلاقات، ذلك لأنّ طبيعة العلاقة في (التقابل) لا تقتصر على الدلالة أو المعنى، وإنّما تمتد تلك العلاقة لتشمل الدال أو اللفظ أيضاً، فقد عرّف المحدثون(ظاهرة التقابل) بأنّها تعني "وجود لفظتين تحمل كل منهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى مثل: الخير والشر والنور والظلمة، والحب والكراهيّة، والكبير والصغير وتحت وفوق، ويأخذ ويعطي، ويضحك ويبكي"[١٦٠٤]، فالشرط الذي يفرضه النظر اللغوي الحديث للتقابل هو تعاكس الدلالة بين طرفي التقابل، وقد أدى ذلك الشرط إلى توسيع مفهوم التقابل ليشمل أي نمطين لغويين يقومان على فكرة التعاكس في الدلالة، وبذلك صار معنى التقابل يعني أنّه "لفظان أو تركيبان أو عبارتان متضادان أو

([١٥٩٨]) ينظر: كتاب العين: ١٦٦/٥, معجم مقاييس اللغة: ٤٣/٥, التقابل والتماثل في القرآن الكريم: د. فايز عارف القرعان، المركز الجامعي للنشر والدعاية والإعلان وقياس الرأي العام، إربد، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م: ١٥.

([١٥٩٩]) التقابل الدلالي في القرآن الكريم(رسالة ماجستير): منال صلاح الدين عزيز الصفار، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ١.

([١٦٠٠]) ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية(رسالة ماجستير): عبد الكريم محمد حافظ العبيدي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م: ٥٩-٦٦, التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ٢٧-٣٦، القابل الدلالي في القرآن الكريم: ٢٧-٣٦.

([١٦٠١]) الأضداد (ابن الأنباري): ٦.

([١٦٠٢]) ينظر: الصناعتين- الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري: تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢- ١٩٧١م: ٣١٦, المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت: ١٤٣/٣, معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م: ٢٥١/٢, ظاهرة التقابل الدلالي في القرآن الكريم(مقال): هوازن عزة إبراهيم، مجلة الأستاذ، ع٢٦، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي:٣٠٠.

([١٦٠٣]) ظاهرة التقابل الدلاليّ في اللغة العربيّة:٥٠، ينظر: التقابل الدلاليّ في القرآن الكريم: ١٨.

([١٦٠٤]) ظاهرة التقابل في علم الدلالة: د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصريّة، ع١٠، ١٩٨٤م: ١٥.

متخالفان أو متناقضتان في الدلالة بحيث يكون أحدهما ضدّ الآخر أو خلافه أو نقيضه بالمعنى ويدرك ذلك بالقرائن الدلاليّة المتعارف عليها كالقرينة السياقيّة أو الحاليّة أو غيرهما"[١٦٠٥].

وللتقابل أنواع سيقف البحث عند بعض منها، مختاراً نماذجها من (خطب نهج البلاغة)، ومستعيناً على ذلك بقرينة السياق التي تتولى تحديد المعنى، والكشف عن الدلالة.

أ- التقابل في الألفاظ المفردة:

لمَّا كانت ظاهرة التقابل تعكس أبعاد الحياة على اختلافها، فإنّها قد اختلفت هي الأخرى تبعاً لذلك الاختلاف، وتُعد الألفاظ المتقابلة أبرز المعالم تمثيلاً لذلك وأكثرها شيوعاً في نصوص اللغة، ومن أنواع التقابل الذي عكس تلك الأبعاد، وجاء في (خطب نهج البلاغة):

١.التقابل الزماني:

وهو التقابل الذي تكون مفرداته ذات دلالة زمنية[١٦٠٦]، ومما جاء من تلك المفردات في خطب النهج:

أ. الليل / النهار:

ورد التقابل بين الليل والنهار في مواضع عدة من خطب نهج البلاغة، وقد استُفيد في تلك الخطب من تقابل تلكما الظاهرتين الكونيتين للدلالة على أمور مختلفة، فعند ما يريد الإمام (عليه السلام) أن يشير إلى كثرة دعوتِهِ قومَه إلى القتال فإنّه (عليه السلام) يعقد تقابلاً بين (الليل) و(النهار) ليفيد بذلك معنى مواصلة تلك الدعوة في ذينك الزمانين، فيقول(عليه السلام): ((**أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَوَلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهاراً وَسِرّاً وَإِعْلاناً**))[١٦٠٧]، وتجد ثنائيّة(الليل) و(النهار) التي عرض لها الإمام في هذا الموضع لنفسها مسوغاً عندما يُعرف الغرض من الخطبة التي جاءت تلك الثنائية بين ثناياها، فقد وجه الإمام خطابه إلى قومه بتلك الخطبة متوخيّاً "حثهم على الجهاد وتوبيخهم على تركه"[١٦٠٨]. وأما عندما يريد الإمام أن يعبر عن نفاذ علم الله تعالى, وإحاطته بكل شيء في كل وقت من أوقات الزمان فإنه (عليه السلام) يعمد إلى ركنين من أركان الزمان وهما (الليل) و(النهار) ليقابل بينهما فيقول: ((**إِنَّ اللهَ- سُبْحَانَهُ وَتَعالَى- لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا العِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ, لَطُفَ بِهِ خُبْراً وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمَاً**))[١٦٠٩], ففي هذا الموضع يبين الإمام (عليه السلام) مقدار علم الله من خلال ذكر (الليل) و(النهار) اللذين هما "سيان بالنسبة إلى علمه, وليس كغيره من مخلوقاته يكون إدراكه للمحسوسات بطريق الإحساس حتى تكون ظلمة الليل حجاباً وحجازاً عن إدراكه"[١٦١٠]. وكذلك عندما يصف الإمام (عليه السلام) حال المتقين, ويبين استغراقهم في عبادة الله تعالى, وشمول تلك العبادة لأوقاتهم على اختلافها, فإنه (عليه السلام) يجعل من تقابل (الليل) و(النهار) بياناً لوصف ذلك الحال, إذ يقول في وصف أولئك المتقين: ((**أَمَّا اللّيلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ, يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً... وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ, أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ**))[١٦١١], فالتقابل بين (الليل) و(النهار) في هذا الموضع غرضه الإشارة إلى ملازمة التقوى للمتقين في أوقاتهم كافة.

والملاحظ أن الإمام (عليه السلام) قد قابل بين (الليل) و(النهار) في المواضع التي تستدعي استيفاء لكل الحيز الزماني الذي يروم الإمام (عليه السلام) التعبير عنه, وتبدو كلمتا (الليل) و(النهار) مناسبتين لشغل ذلك الحيز إذا علم أنه "يندرج تحت كل لفظة من

([١٦٠٥]) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٢٣.
([١٦٠٦]) ينظر: نفسه: ٢٣.
([١٦٠٧]) نهج البلاغة(الصالح): ٦٩(خ٢٧).
([١٦٠٨]) شرح نهج البلاغة(المصباح): ٣٥/٢.
([١٦٠٩]) نهج البلاغة(الصالح): ٣١٨(ك١٩٩).
([١٦١٠]) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣٤٠/١٣.
([١٦١١]) نهج البلاغة(الصالح): ٣٠٤(خ٩٣).

اللفظتين المتقابلتين مجموعة من الدرجات تساوي ما تحت اللفظة الأخرى من درجات"[١٦١٢], بحيث تغطي تلك الدرجات كل فترات الحيز الزماني المروم التعبير عنها.

ب. الأوّل / الآخِر:

تنماز كلمتا (الأوّل) و(الآخِر) بدلالتيهما على حدين يشعران معهما بألا شيء قبلهما أو بعدهما, وتلك الميزة هي التي جعلت الكلمتين صفتين لله تعالى, وقد جاءت الكلمتان على تلك الحال في خطب نهج البلاغة, ومن ذلك مثلاً قول الإمام (عليه السلام) واصفاً الله تعالى: ((**وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, الأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ, وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ**))[١٦١٣], ويقابل الإمام بين (الأول) و(الآخر) بعدِّهما صفتين لله تعالى في مواضع أخرى من خطبه[١٦١٤], وقد يستثمر الإمام ما في اللفظتين من دلالة، ويستعملهما متقابلتين للدلالة على أول الدهر وآخره, ومن ذلك مثلاً قوله (عليه السلام): ((**تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا, فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ**))[١٦١٥], قال ابن أبي الحديد شارحاً هذا الموضع من الخطبة: "إنما ينتظر ببعث الذين ماتوا في أول الدهر مجيء من يخلقون ويموتون في آخره"[١٦١٦], فالدلالة التي أفادتها اللفظتان (الأول) و(الآخر) دلالة زمانية أيضاً, ولمثل ذلك الاستعمال, وتلك الدلالة موضعان آخران من خطب النهج[١٦١٧].

ج. اليوم / الغد:

تتقابل لفظتا (اليوم) و(الغد) في مواضع عدة من خطب نهج البلاغة, وقد يحمل التقابل بينهما الدلالة على التقابل بين الدنيا والآخرة, ومن ذلك مثلاً قول الإمام (عليه السلام): ((**وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ, وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ**))[١٦١٨], ويظهر أن الإمام(عليه السلام) قد أفاد من إلف الناس تعاقبَ (اليوم) و(الغد) فصرف معناهما لتلكما الحياتين قاصداً بذلك تقريبهما من أفهام الناس.

٢. التقابل المكاني:

وهو التقابل الذي يكون طرفاه دالين على مكانين يكون أحدهما ضداً للآخر, ومما ورد منه مثلاً في خطب نهج البلاغة:

أ. السماء / الأرض:

جاءت كلمتا (السماء) و(الأرض) متقابلتين في مواضع كثيرة من خطب نهج البلاغة, وتنوعت دلالتهما بين الحقيقية والمجاز, فمن دلالتهما الحقيقية قول الإمام(عليه السلام): ((**أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ**))[١٦١٩], وأما الدلالة المجازية التي جاءت للسماء والأرض فمنها قوله (عليه السلام): ((**أَمَّا بَعْدُ, فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ المَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ**))[١٦٢٠], إذ إن "المراد بالسماء سماء الجود الإلهي وبالأرض

([١٦١٢]) ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٦.
([١٦١٣]) نهج البلاغة(الصالح): ١١٥(خ٨٥).
([١٦١٤]) ينظر: نفسه: ١١٥(خ٨٥), ١٢٤(خ٩١), ١٤٠(خ٩٦), ١٤٦(خ١٠١).
([١٦١٥]) نهج البلاغة (الصالح): ٦٢-٦٣(خ٢١).
([١٦١٦]) شرح نهج البلاغة: ٣٠٢/١.
([١٦١٧]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ٢١٠(خ١٥١), ٢٤٢(خ١٦٧).
([١٦١٨]) نهج البلاغة (الصالح): ٨٤(ك٤٢).
([١٦١٩]) نفسه: ٢٨٠(ك ١٨٩).
([١٦٢٠]) نفسه: ٦٤(خ٢٣).

عالم الكون والفساد على سبيل استعارة هذين اللفظين للمعنين المعقولين من المحسوسين"[١٦٢١], وقد قابل الإمام في هذا الموضع بين(السماء) و(الأرض) ليشير إلى علو المكان الذي ينزل منه الأمر, وإلى دنو المكان الذي ينزل ذلك الأمر إليه. وتأتي في خطب النهج كذلك مقابلة (السموات)بـ(الأرض)[١٦٢٢], ومقابلة (السموات) بـ(الأرضين)[١٦٢٣], غير أن ذلك لا يخرج تلك المتقابلات عن دلالتها على المكان.

ب. المشارق / المغارب:

تتقابل في خطب نهج البلاغة لفظتا (المشارق) و(المغارب), وذلك في موضع واحد فقط من تلك الخطب, و(المشارق) و(المغارب) جمع للمشرق والمغرب, وهما الاتجاهان المعروفان, غير أن الإمام أوردهما بصيغة الجمع انسجاما مع الموقف الذي أراد التعبير عنه, وهو توسيع الحيز المكاني الذي يستدعيه ذلك الموقف, فقد جاءت الكلمتان ضمن مجموعة أحوال تصف حياة نبي الله عيسى (عليه السلام) إذ يقول الإمام (عليه السلام) : ((**فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ, وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ, وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ, وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ, وَسِرَاجُهُ بِاللَّيلِ الْقَمَرَ, وَظِلاَلُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا))**، فـ(المشارق) و(المغارب) وإن كان لهما دلالة مكانية غير أن الإمام قصد من ورائها الإشارة إلى كثرة تطواف عيسى(عليه السلام) وتجواله.

٣. التقابل العقائدي:

ليس من المستغرب أن تحوي خطب نهج البلاغة ألفاظاً ذات بعد عقائدي, فكتاب نهج البلاغة بمجمله قد انطوى في قسمه الأكبر على العقائد[١٦٢٤], ومن تلك الألفاظ التي حملت معنى له دلالة على معتقد من المعتقدات , وجاءت في خطب النهج متقابلة مع ألفاظ أخرى لها دلالة على معتقد يقابل أو يُضاد المعتقد الأول من حيث المعنى, ويختلف معه من حيث اللفظ:

أ. الجنة / النار:

تتقابل (الجنة) و(النار) كثيراً في خطب نهج البلاغة, ويرجع السبب في ذلك إلى أهمية هذين المعتقدين في بناء الشخصية الإنسانية, وهو الهدف الذي يسعى إليه الإمام (عليه السلام), ومن المواضع التي وردت فيها المفردتان متقابلتين قوله (عليه السلام) فيمن تركوا عقولهم وآثروا دنياهم على آخرتهم: ((**أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى, وَالْأَبْصَارُ اللاَّمِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى؟ أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ للهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ, ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ, وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ, وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنْ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُم وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمالِهِمْ))**[١٦٢٥], وقد جاء التقابل في هذا الموضع ليدل على ما يؤول إليه عمل الإنسان سواء أكان ذلك العمل حسناً أم قبيحاً.

ب. الثواب / العقاب:

الثواب والعقاب حالتان معنويتان مركوزتان في ذهن الإنسان المسلم, ويشكلان جزءاً أساسياً من معتقده, وقد قابل الإمام بينهما في خطبه ليبين ما ينتظر الإنسان من مصير جزاءً لأعماله, ومن ذلك مثلاً قوله (عليه السلام): ((**أَلاَ إِنَّ اللهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً، لَا**

([١٦٢١]) شرح نهج البلاغة(المصباح): ٤/٢.
([١٦٢٢]) ينظر: نهج البلاغة(الصالح): ١٥٩(خ١٠٩)، ٢٢٥(خ١٦٠).
([١٦٢٣]) ينظر: نفسه: ١٨٨(ك١٣٠)، ١٩١(خ١٣٣)، ٣١٧(خ١٩٨).
([١٦٢٤]) ينظر: تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط٣، ١٤١٧ق- ١٣٧٥ش: ٦١- ٢٩٥.
([١٦٢٥]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٠١-٢٠٢(خ١٤٤).

أَنَّهُ جَهِلَ ما أَخْفُوهُ مِنْ مَصُونِ أسْرَارِهِمْ وَمَكْنُون ضَمَائِرِهِمْ, وَلكِنْ ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[١٦٢٦]**, فَيَكُونَ الثَّوابُ جَزاءً، وِالعِقَابُ بَواءً**))[١٦٢٧].

وللتقابل العقائدي مفردات أخرى جاءت في خطب نهج البلاغة لتدلّ عليه، ومن تلك المفردات (الهدى والضلال)[١٦٢٨]، و(الإيمان والكفر)[١٦٢٩]، و(النور والظلمة)[١٦٣٠]، و(الخير والشر)[١٦٣١].

٤. التقابل النوعي:

يقصد بالنوع الحقيقيّة التي ينتمي إليها الشيء، والتقابل بين نوعين يعني عقد علاقة تضاد بين حقيقتين مختلفتين، وعليه فأنّ التقابل النوعي يعني "تقابل نوع من الخلق بآخر مغاير له، مغايرة الخلاف أو الضد سواء أكانا من نوعين مختلفين، كالأنس والجن، أم كانا من نوع واحد ولكنهما متعاكسان كالذكر والأنثى"[١٦٣٢]، وقد يكون النوع الأول الذي ذكره التعريف غير داخل في مفهوم التقابل- كما حُدّ من قبل- إذ يشترط في طرفي التقابل التعاكس وليس الاختلاف فحسب.

ومن الألفاظ التي كانت دالة على النوع، وجاءت متقابلة في خطب نهج البلاغة:

أ. الرجل / المرأة:

(الرجل) و(المرأة) نوعان من جنس واحد، وقد قابل بينهما الإمام (عليه السلام) في خطبه في موضعين فقط، وكان القصد من التقابل الأوّل بيانَ حال الناس في الأنبار وقد غُزوا في عقر دراهم من قبل جيش معاوية بن أبي سفيان، ومن ثم عَرْضَ ما صارت إليه أمورهم، إذ قال (عليه السلام): ((**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَاثَهَا**))[١٦٣٣]، فهول ما حلّ نتيجة ذلك الغزو هو الذي دعا الإمام إلى عقد ذلك النوع من التقابل الذي اجتمع فيه (الرجل) مع (المرأة)، وأما القصد من التقابل الآخر فهو إعطاء نوع من التعليل لحكم شرعي يخص شهادة النساء وقد نصَّ عليه القرآن لكريم[١٦٣٤] وذلك في قوله تعالى عند أداء الشهادة: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾ (البقرة/ ٢٨٢)، فيسوغ الإمام ذلك قائلاً: ((**وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ**))[١٦٣٥]، فالتقابل في هذه المواضع غرضه بيان حال ترتَّب عليها حكم شرعي.

ب. الإنسان / الحيوان:

إذا كان الإنسان من جهة حَيَواناً مضافاً إليه صفةُ النطق، فإنّ هناك جهاتٍ أخرى تضع كل واحدٍ منهما تحت نوع من الموجودات يقف مقابلاً للنوع الآخر، وقد جاء من المواضع في خطب نهج البلاغة ما يَلْمَحُ جهة من تلك الجهات، ويقابل بين (الإنسان) و(الحيوان) ليدلل بذلك على أنّ هذا هو غير ذاك، فالموضع الذي ورد في خطب النهج مقابلاً بين مفردتي (الإنسان)

---

(٢) الملك/٢.
(١٦٢٧) نهج البلاغة(الصالح): ٢٠٠-٢٠١(خ١٤٤).
(١٦٢٨) ينظر: نفسه: ٢٠٥(خ١٤٧).
(١٦٢٩) ينظر: نفسه: ٨٢(ك٤٠).
(١٦٣٠) ينظر: نفسه: ٢٧٣(خ١٨٦).
(١٦٣١) ينظر: نفسه: ٢٩٦(خ١٩٢).
(١٦٣٢) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٧٥.
(١٦٣٣) نهج البلاغة(الصالح): ٦٩-٧٠(خ٢٧).
(١٦٣٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (المصباح): ٢٢٣/٢، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣٠٥/٥.
(١٦٣٥) نهج البلاغة(الصالح): ١٠٦(خ ٨٠).

و(الحيوان) هو قول الإمام (عليه السلام) في صنف من الناس: ((**وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ... يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ، وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ**))[١٦٣٦]، وقد ميَّز ابن أبي الحديد نوع الحَيَوَان الذي أراده الإمام في هذا الموضع عن الإنسان الذي هو حيوان من نوع آخر فقال: "فمراده بالحيوان ها هنا الحيوان الأخرس كالحمار والثور، وليس يريد العموم، لأنّ الإنسان داخل في الحيوان"[١٦٣٧].

فالتقابل بين (الإنسان) و(الحيوان) الذي جاء عن الإمام قد أفاد عرض نوعين من الموجودات, النوع الأول هو الإنسان بشكله وهيأته الخارجية, والنوع الآخر هو الحَيَوَان ببهيميته ورتبته المتدنية.

ب- التقابل في الجُمَل:

قد يتجاوز التقابل الدلالي حدود المفردة الواحدة ليكون تقابلاً بين جملتين تامتي الإسناد, ويعد أسلوب الشرط من أكثر الأساليب الجُمَلِية استيعاباً للتقابل بين الجمل[١٦٣٨], وذلك لما تقتضيه جملة الشرط من وجود عبارتين تستند إحداهما على الأخرى، فالشرط – كما مرّ – قائم أساساً على فكرة التعليق.

ومن أمثلة الشرط التي جاءت في خطب نهج البلاغة, وكانت عبارتاه متقابلتين دلالياً قول الإمام (عليه السلام) ذاكراً النبيَّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وما تركه من أثر: ((**خَلَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ, وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ**))[١٦٣٩], فالإمام (عليه السلام) لم يعقد مقابلة بين مفردتين فحسب, وإنما كانت مقابلته بين جملتين تامتين, وهما (تقدمها) و(تخلف عنها), وقد عرض الإمام (عليه السلام) من خلال ذلك التقابل لحالين من أحوال الناس, الحال الأولى هي حال من يُضيفون إلى أحكام الشريعة ما ليس منها, والحال الأخرى هي حال من يُقصرون عن أداء واجبات تلك الشريعة, إذ إن مراد الإمام من معنى التقدم في هذا الموضع هو "الزيادة على ما شرعه الله من الأحكام... والتخلف عدم إتيان ما شرع الله من أحكام"[١٦٤٠], ويدل ما يؤدي إليه كلا الحالين من مآل على أن أحدهما ضد للآخر, فالنتيجة مع الأول هي المروق, والنتيجة مع الآخر هي الزهوق.

وليس من الضروري أن تتقابل جملتان من الشرط فقط, فقد يأتي التقابل بينهما من غير الشرط أيضاً, ومثال ذلك في خطب النهج قول الإمام (عليه السلام) لأبي ذر الغفاري: ((**لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ, وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا البَاطِلُ**))[١٦٤١], فالإمام في هذا الموضع يطلب من أبي ذر مطلبين متقابلين, المطلب الأول هو الاستئناس بالحق, والمطلب الآخر هو الاستيحاش من الباطل, وقد أدَّت الجملتان(لا يؤنسنك إلا الحق) و(لا يوحشنك إلا الباطل) ذينك المطلبين المتقابلين، والجملتان اللتان أدّتا المطلبين كانتا تامتي الإسناد, فالتقابل في هذا الموضع لم يتم بين مسند ومسند آخر، أو بين مسند إليه ومسند إليه آخر، وإنما تمَّ التقابل بين أكثر من مسند وأكثر من مسند إليه, أو بالأحرى بين مسند ومسند إليه (جملة) من جهة، وبين مسند ومسند إليه (جملة) من جهة أخرى ، أي بين (يؤنس) و(يوحش), وكذلك بين (الحق) و(الباطل), وقد عمد الإمام إلى ذلك التقابل "تنفيراً عن أن يستوحش[أبو ذرّ] من حقٍ ما فيتركه وينفر عنه وإن صعب وشقَّ على النفس, أو يستأنس بباطل ما يفعله أو يسكت عليه وإن لذّ له"[١٦٤٢].

ج- التقابل في الصور:

(١٦٣٦) نهج البلاغة (الصالح): ١١٩(خ٨٧).
(١٦٣٧) شرح نهج البلاغة: ٣٧٤/٦.
(٣) ظاهرة التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٣٠٥.
(١٦٣٩) نهج البلاغة(الصالح): ١٤٦(خ١٠٠).
(١٦٤٠) توضيح نهج البلاغة: ١٢٦/٢.
(١٦٤١) نهج البلاغة(الصالح): ١٨٨(ك١٣٠).
(١٦٤٢) شرح نهج البلاغة(المصباح): ١٤٧/٣.

تُعد الصور إحدى الأدوات التي يعمد إليها أرباب البيان لغرض تقريب بعض المعاني إلى الأفهام, وذلك من خلال نقل تلك المعاني من حالتها المعنوية المجردة إلى حالة مادية مشاهدة, ويتم ذلك بوسيلتين:

إحداهما: "عن طريق إحلال طائفة من الصور الحسية محل طائفة من المعاني المجردة, تمثيلاً لتلك الأخيرة, وتمكيناً لها من أن تتخيل في الذهن كما تتخيل المتحققات.

وثانيتهما: عن طريق التشخيص(Personification) الذي يقوم على خلع الإنساني على الكائنات الحية والجامدة, المعنوية وغير المعنوية، مما هو غير إنساني"[١٦٤٣].

وقد تضمنت خطب نهج البلاغة صوراً كان القصد من ورائها تقريب ما هو بعيد, وإحضار ما هو غائب, ومن تلك الصور التي جاءت متقابلات في خطب النهج قول الإمام (عليه السلام): ((**أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ, حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا, وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا, فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ. أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ, حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا, وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ**))[١٦٤٤]، فالإمام لمَّا أراد أن يقرب مفهومي الخطايا والتقوى إلى أذهان مخاطبيه أتى بصورتين متقابلتين انتزعهما من واقع الحياة العربية ليكونا أوقع في النفوس، والصورتان هما صورة الفرس الذي يمنع ظهره الآخرين, ومن ثم يوردهم موارد الهلكة, وصورة المطية الذَّلول التي تكون سلسة القياد لصاحبها فتوصله إلى المقاصد المنجية[١٦٤٥], وغرض الإمام من ذلك التصوير هو عرض حالتين متقابلتين هما الخطايا والتقوى. وكذلك كانت هناك صورتان متقابلتان في خطب نهج البلاغة، وتلمح تلكما الصورتان في قول الإمام (عليه السلام): ((**مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسِطُهَا**))[١٦٤٦], وقد عبَّر الإمام بحالتي القبض والبسط- وهما من الأفعال المادية التي يمارسها الإنسان- عن حرية تصرفه بالكوفة, ولقد تم له ذلك التعبير من خلال تجسيد مراده (عليه السلام) على شكل صورتين ماديتين متقابلتين، وهما القبض والبسط فتحولت الصورتان إلى"ظاهرة تجسيد ما ليس مجسداً, وإلباس غير المحسوس لبؤس المحسوس, لتتحول الأشياء إلى أشياء جديدة من دون أن تفقد تواصلها مع معانيها الأولى"[١٦٤٧], أي أن الإمام (عليه السلام) قد استفاد مما تومئ إليه الصورتان في واقعهما ليعبر بتلكما الصورتين عن واقع من نوع آخر.

د- التقابل الموقفي:

لمَّا كان التقابل مبنياً على أساس وجود أمرين يتضاد أحدهما مع الأخر, فإن من الحري به أن يعبر عن بعض مواقف النفس البشرية لما تنطوي عليه تلك النفس من تناقضات تقف أحياناً متقابلة فيما بينها, وعليه فإن التقابل الموقفي هو أن يصدر من الإنسان موقفان يتناقض أحدهما مع الآخر, وقد يكون ذلك التناقض فطرياً مصدره النفس بما جُبلت عليه من سجايا متقابلة كالرجاء والخوف والرغبة والرهبة, أو قد يكون ذلك التناقض نتيجةً للتباين في المواقف التي يتخذها الإنسان في حياته, وهذا مما يتبع بناء الشخصية الإنسانية وسلوكها في الحياة, ونوعا التقابل الموقفي (الفطري) و(السلوكي) واردان في خطب نهج البلاغة

أما النوع الأول من التقابل الموقفي(الفطري) فقد جاء منه مثلاً في خطب النهج قول الإمام (عليه السلام): ((**وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أُولِي قُوَّةٍ لَا تُرَامُ, وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ, وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ... لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ, وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الِاسْتِكْبَارِ, وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ, أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ**))[١٦٤٨], فالإيمان الذي عند أنبياء الله الذين ذكرهم الإمام في هذا المقطع من خطبته يكون باعثاً لأمرين على حد سواء, والأمران هما الرهبة من عقاب الله تعالى, والرغبة في ثوابه, وكلاهما يحتم موقفين

([١٦٤٣]) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: جابر أحمد عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م: ٢٦٨.
([١٦٤٤]) نهج البلاغة(الصالح): ٥٧-٥٨(ك١٦).
([١٦٤٥]) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٢٣/٣.
([١٦٤٦]) نهج البلاغة(الصالح): ٦٦(خ٢٥).
([١٦٤٧]) الصورة الفنية في كلام الإمام علي(عليه السلام)- نهج البلاغة نموذجاً(بحث): د. خالد محي الدين البرادعي، مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، ع٥، س٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م: ١٦٦.
([١٦٤٨]) نهج البلاغة(الصالح): ٢٩٢(خ١٩٢).

متناقضين هما الخوف والطمع. وأما النوع الآخر من التقابل الموقفي (السلوكي) في خطب نهج البلاغة فمنه مثلاً ما جاء عنه (عليه السلام) عندما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير بن العوام، وأوصاه قائلاً له: ((**لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ... وَلَئِنْ اَلْقَ الزُّبِيرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً, فَقُلْ لَهُ يَقُوْلُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالعِرَاقِ, فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا؟**))[١٦٤٩], فالإمام يبين في هذا الموضع من كلامه موقف الزبير المتناقض من بيعته (عليه السلام), إذ تروي كتب التاريخ والسير أن الزبير قد بايع الإمام علياً في موقف من المواقف, وفي حقبة زمنية معينة, ثم ما لبث أن نقض بيعته في موقف آخر[١٦٥٠], وفي حقبة زمنية أخرى , فالموقفان متقابلان يمثلان نمطين سلوكيين دلا على شخصية من وصفه الإمام، أو وصف موقفه منه في حالتين بدت إحداهما متناقضة مع الأخرى.

وللتقابل صور أخرى تتنوع تنوع الحياة نفسها, وقد جاء في (خطب نهج البلاغة) محاكياً ذلك التنوع, وذلك لأن التقابل يمثل حقيقية الموجودات التي عبر عنها, وفي ذلك التنوع تمثيل للثنائيات المتقابلة التي يقوم على أساسها الوجود بأسره.

روافد البحث

- القرآن الكريم

(أ)

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: أبو أوس إبراهيم الشمسان، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: د. وسمية عبد الرحمن المنصور، جامعة الكويت، مطبوعات الجامعة، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- إحصاء العلوم: الفارابي، تحقيق وتعليق: د.عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣, ١٩٦٨م.
- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، مؤسسة النور، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، م. السعادة، مصر، ط٣، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.
- الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية- دراسة تحليلية تطبيقية: د. أبو السعود حسنين الشاذلي، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٩٨٩م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تح: محمد سعيد البدري، مطبعة دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- الأزهية في علم الحروف: علي بن محمد الهروي، تح: عبد المعين الملّوحي, مطبعة الترفي، دمشق، ١٩٧١م.

---

(٣) نفسه: ٧٤(ك٣١).

(١٦٥٠) ينظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ (قرص مضغوط): محمد الريشهري بمساعدة محمود الطباطبائي ومحمد كاظم الطباطبائي، نزاد، قم, بيروت، دار الحديث, د.ت: ٣٠٤/٥.

- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عبد الرحيم محمود، مطبعة أولاد أورفان، القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ -١٩٥٣م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: د. قيس إسماعيل الأوسي، وزارة التعلم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٨م.
- أسس علم اللغة: ماريوبآي، تر: د.أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ١٩٧٣م.
- أسلوبا النفي والاستفهام في العربية - في منهج وصفي في التحليل اللغوي: د. خليل أحمد عمايره، جامعة اليرموك،(د.ت).
- الأصوات اللغوية: د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- أصول تراثية في اللسانيات الحديثة: د. كريم زكي حسام الدين، الرشاد للطباعة والتغليف، القاهرة، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- الأضداد: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٨٧م.
- الأضداد في كلام العرب: أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، تح: د. عزة حسن، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.
- الأضداد في اللغة: محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م: ٢١١.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم- دراسة نظرية وتطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة: د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين): خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، (د.ت).
- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية-الجملة البسيطة: د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م .
- أم اللغات- دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها: سعيد أحمد بيومي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري, تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، ط٤، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م.
- أوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف،١٩٧١م.
- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني ، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(ب)

- بابل تاريخ مصور: جون أوتس، تر: سمير عبد الرحيم الجلبي، دائرة الآثار والتراث، ١٩٩٠م.
- البحث اللغويّ: د. محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، (د.ت).
- البحث اللغوي عند العرب- مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٨، ٢٠٠٣م.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ط١-١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني): د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧م.
- البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيويّ القديم: يوسف الحوراني، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٨م.
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي الشوشتري، دار أمير كبير للنشر، طهران، ط١، ١٣٧٦هـ.
- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: د.عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

(ت)

- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).
- تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط٤، ١٤٠٧هـ.
- تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين: جورج مونين، تر: د. بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- التبيان في تفسير القرآن: أبو محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ.
- التذكرة بأصول الفقه: الشيخ المفيد، تح: مهدي نجف، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- الترادف في اللغة: حاكم مالك لعيبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية- فونولوجيا العربية: د. سلمان حسن العاني، تر: د. ياسر الملاح، مراجعة: د. محمد محمود غالي، النادي الثقافي الأدبي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

- تشومسكي (فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه): د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٤٠٩ هـ -١٩٨٩م.
- تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط٣، ١٤١٧ق- ١٣٧٥ش.
- التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه: د. السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣م.
- التضاد في ضوء اللغات السامية: د. ربحي كمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م.
- التضاد في القرآن الكريم: محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق، ط١- ١١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم- دراسة دلاليّة مقارنة: عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٩٨٥م.
- التطور اللغوي التاريخي: محاضرات ألقاها إبراهيم السامرائي على قسم الدراسات الأدبيّة واللغويّة، دار الرائد للطباعة، ١٩٦٦م.
- التطور النحوي للغة العربية: براجشتراسر، تر: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- التعبير الفني في القرآن الكريم: د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٩٤م.
- التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة، تح: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.
- التفسير النبوي للقرآن: سلمان بن فهد العودة، المكتب العلمي بموقع الإسلام، (د.ت).
- التقابل والتماثل في القرآن الكريم: د. فايز عارف القرعان، المركز الجامعي للنشر والدعاية والإعلان وقياس الرأي العام، إربد، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- التكرار: د. حسين نصار، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: سمير إبراهيم وحيد العزاوي، دار الضياء للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٠م.
- تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي: د. أسعد علي، منشورات دار النعمان، لبنان، ط١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
- توضيح نهج البلاغة: محمد الحسيني الشيرازي، دار تراث الشيعة، طهران،(د.ت).

(ث)

- ثلاثة كتب في الأضداد- للأصمعي والسجستاني ولابن السكيت: نشرها: د.أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢م.

(ج)

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير: أحمد ياسوف، دار المكتبي ، دمشق، سورية ، ط١، ١٩٩٤م.
- الجملة العربية - دراسة لغوية نحوية: د. محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٤م.
- الجملة العربية- مكوناتها، أنواعها، تحليلها: د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠٠١م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن القاسم المرادي، تح: د. فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١, ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

(ح)

- حروف المعاني بين الأصالة والحداثة- دراسة: حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.
- حياة اللغة العربية: حفني ناصف، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٢م.

(خ)

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٦٧م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(د.ت).
- خصائص الحروف العربية ومعانيها – دراسة: حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ١٩٩٨م.

(د)

- دراسات في الأدوات النحوية: د. مصطفى النحاس، شركة الربيعات للنشر والتوزيع، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي: د. حسام الآلوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر،١٩٨٠م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٦٥هـ.

- الدرس الدلالي في خصائص ابن جني: د. أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ط١، ١٩٨٩م.
- دروس في التصريف: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٣، مصر، ١٩٥٨م.
- دقائق التصريف: القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب، تح: د. أحمد ناجي القيسي ود. حاتم صالح الضامن وحسين تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٢م.
- الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: د. صفية مطهري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.
- دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية: أشواق محمد النجار، دار دجلة، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.
- دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، تر: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(د.ت).
- ديوان الأدب: أبو إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تح: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، الهيئة المصرية لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ديوان حسان بن ثابت: تح: وليد عرفات، لندن، ١٩٧١م.

(ر)

- الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي، تح: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان،(د.ت).
- رسالة الأضداد: محمد بن بدر الدين المنشي، تح: محمد حسين آل ياسين، مكتبة الفكر للنشر والتوزيع، بغداد، ط١،١٩٨٥م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار المعارف للطباعة ، دمشق، ١٣١٣هـ- ١٩٧٣م.

(ز)

- الزمن في القرآن الكريم - دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه: د. بكري عبد الكريم، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.

(س)

- ست محاضرات في الصوت والمعنى: رومان ياكوبسون، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط١، ١٩٩٤م.

- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي, دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع, دمشق, ط٢, ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- سنن أبي داود: الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- السيمياء: بيار غيرو، تح: أنطوان أبو زيد ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط١، ١٩٨٤م.

(ش)

- شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي: ط١٥، القاهرة، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.
- شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محيي الدين عبد الحميد، م. السعادة، مصر، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
- شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاستراباذي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاز يونس، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
- شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسين الاستراباذي، تح : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.
- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت.
- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٧٨ هـ -١٩٥٩م.
- شرح نهج البلاغة(المصباح, شرح كبير): ابن ميثم البحراني، تهران، مطبعة خدمات جابي٣٩٦، ط٢، ١٤٠٤ق.
- شروح التلخيص- مختصر سعد الدين التفتازاني، مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي، الإيضاح للقزويني، حاشية الدسوقي على شرح السعد، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت.
- الشفاء(المدخل): أبو علي الحسن بن عبد الله (ابن سينا)، تح :الأب قنواتي ومحمد الخضري وفؤاد الأهواني، المطبعة الأميرية ، القاهرة، ١٩٥٢م.

(ص)

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

- الصرف الحديث في بيان القرآن والحديث: أحمد أمين الشيرازي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ط١، ١٤١٠هـ.
- صناعة المعجم الحديث: د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
- الصوائت والمعنى في العربية- دراسة دلالية ومعجم: د. محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: جابر أحمد عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

(ظ)

- ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم: د. طالب محمد الزوبعي، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥م.

(ع)

- العبارة(الشفاء): ابن سينا، تح: محمد الخضري، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،١٩٧٠م.
- العبارة(كتاب في المنطق): الفارابي، تح: محمد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب العربي، ١٩٧٢م.
- عبد بن عباس – شخصيته وآثاره: محمد تقي الحكيم, مطبعة ستارة, ط١, ١٤٢٣هـ.
- العراق في التاريخ: نخبة من الباحثين، بغداد، ١٩٨٣م.
- العلاقة بين اللغة والفكر- دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة: د.أحمد عبد الرحمن حماد، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.
- علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي- دراسة: منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ م.
- علم الدلالة دراسة وتطبيقاً: د. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة فاز يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥م.
- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق- دراسة تاريخية تأصيلية نقدية: فايز الدايه، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
- علم الدلالة: ف. بالمر، تر:عبد الحليم الماشطة، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥م.
- علم الدلالة: كلود جرمان وريمون لوبلان، تر: نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق، ١٩٩٤م.
- علم اللغة الاجتماعي عند العرب: د. هادي نهر، دار الغصون، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤ هـ -١٩٨٨م.

- علم اللغة بين القديم والحديث: عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي ، ط٣، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
- علم اللغة العام - الأصوات: د. كمال محمد بشر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٧٩م.
- علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، دار المعارف ، مصر، ١٩٦٢م.
- عمدة الصرف: كمال إبراهيم، مطبعة الزهراء، بغداد, ط٢، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

(ف)

- فرائد اللغة في الفروق: هنريكوس لامنس اليسوعي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٩م.
- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، جامعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٢هـ.
- فقه اللغة في الكتب العربية: د.عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية،١٩٩٠م.
- فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- فن التعبير: د. محمد نجيب التلاوي ود. مراد عبد الرحمن مبروك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).
- في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، ط١،١٩٧٢م.
- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢, ١٩٥٢م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (د.ت).

(ق)

- قاموس اللسانيات (عربي، فرنسي- فرنسي، عربي) مع مقدمة في علم المصطلح: د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.
- القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- القَسَم في القرآن الكريم: د. حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٥م.
- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: د. سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م.

(ك)

- كتاب الأضداد: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، تح: د. محمد عودة سلامة أبو جري، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت).
- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢, ١٩٧١م.
- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، مطبعة صدر، ط٢،١٤٠٩هـ.
- كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي، تح: لطفي عبد البديع، راجعه: أمين الخولي، تر: د. عبد المنعم محمد حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٢٨هـ- ١٩٦٣م.
- كلام العرب من قضايا اللغة العربية: د. حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م.
- الكلمة- دراسة لغويّة معجميّة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة، ٢٠٠٤م.

(ل)

- لسان العرب: ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.
- اللسانيات وأسسها المعرفية: د. عبد السلام المسدي، المطبعة العربية، تونس، ط١، ١٩٨٦م.
- اللسانيات والدلالة- الكلمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري ، حلب، ط١، ١٩٩٦م.
- اللغة: ج. فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية،(د.ت).
- اللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد، مطبعة مخيمر،١٩٦٠م.
- اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

(م)

- المثلث: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي: تح: صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد للطباعة، ١٩٨١م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: د. احمد الحوفي ود. بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،(د.ت).

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: علي النجدي ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- المدخل إلى علم اللغة: كارل- ديتر بونتج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١-١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- مدخل إلى علم اللغة: د. محمد حسن عبد العزيز، كلية العلوم، جامعة القاهرة، (د.ت).
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٦م.
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: الميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤٠٨هـ.
- المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً: د. توفيق محمد شاهين، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط١, ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- مشكل إعراب القرآن: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، دراسة وتحقيق: حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الأعلام في الجمهورية العراقية، ١٩٧٥م.
- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، الكويت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- معاني القرآن: أبو زكريا يحى بن زياد الفراء، تحقيق ومراجعة: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، دار السرور، د.ت.
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٩١م.
- المعاجم العربية- بدءتها وتطورها: د. إميل بديع يعقوب, دار العلم للملايين, بيروت, لبنان, ط٢, ١٩٨٥م.
- المعاجم العربية- دراسة وتحليل: د. عبد السميع محمد أحمد, مطبعة مخيمر, ط١, ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- المعجم العربي- نشأته وتطوره: د. حسين نصار, دار مصر للطباعة, ط٢, ١٩٦٠م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط: قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، إشراف: عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران، (د.ت).

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: أبو محمد جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، ضبطه وشرحه: أ. نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .
- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، انتشارات ذوي القربى، شريعت قم، ط٢، ١٤٢٣هـ ق.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تح: محمد سيد كيلاني، القاهرة، ١٩٦١م.
- المفصّل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة- الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين: طه باقر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢ ، ١٩٨٦م.
- مقدمة لدراسة التراث المعجمي: د. حلمي خليل, دار المعرفة الجامعية, إسكندرية, مصر, ٢٠٠٣م.
- مقدمة لدراسة علم اللغة: د.حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤م.
- مقدمة لدراسة فقه اللغة: د.حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣م.
- المقرب: ابن عصفور الاشبيلي، تح: د. أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
- الممتع في التصريف: ابن عصفور الاشبيلي، تح: فخر الدين قباوه، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م.
- من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٧، ١٩٨٥م.
- من ألواح سومر: صمويل كريمر، تر: طه باقر، مراجعة وتقديم: د. أحمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد، ومؤسسة الخانجي، القاهرة،(د.ت).
- مناهج البحث عند مفكري الإسلام: د. علي سامي النشار، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.
- مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- من تراثنا اللغوي القديم- ما يسمى في العربية بالدخيل: طه باقر، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،١٩٨٠م.
- المنجّد في اللغة: أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع: تح: د.أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.
- المنصف: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١- ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م

- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي، المكتبة الإسلامية، طهران، ط٤، ١٤٠٥ق.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: القطب الراوندي، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، ١٤٠٦ق.
- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ (قرص مضغوط): محمد الريشهري بمساعدة محمود الطباطبائي ومحمد كاظم الطباطبائي، نزاد، قم, بيروت، دار الحديث،(د.ت).

(ن)

- نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد: إبراهيم اليازجي، مطبعة القديس بولس، حريصا، ط٢، ١٩١٣م.
- النحو العربي والدرس الحديث- بحث في المنهج: د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م.
- نحو المعاني: د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.
- النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، ١٩٦٣م.
- نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها: الأب انستاس ماري الكرملي، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت).
- نظرية النحو العربي- في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: د. نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- نهج البلاغة: تعليق: د. صبحي الصالح، انتشارات أنوار الهدى، ط٢، ١٤٢٤هـ.ق.
- نهج البلاغة: تح: محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

(هـ)

- همع الهوامع- شرح جمع الجوامع في علم العربية: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).

(و)

- الوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي، منشورات دار الشرق، ط٢،(د.ت).

وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية- دراسة حول المعنى وظلال المعنى: محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، الجماهيرية العظمى، ١٩٩٣م.

(البحوث والمقالات)

الأضداد في اللغة(بحث): حسين محمد، مجلة اللسان العربي، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط، المغرب الأقصى، مج ٨، ع١، ١٣٩٠هـ- ١٩٧١م.

الصوت والدلالة- دراسة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث(مقال): د. محمد بو عمامة، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ع٨٥، ٢٠٠٢م.

الصوتيات عند ابن جني- في ضوء الدراسات العربية والمعاصرة(مقال): عبد الفتاح المصري، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع١٥-١٦، س٤، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

الصورة الفنية في كلام الإمام علي(عليه السلام)- نهج البلاغة نموذجاً(بحث): د. خالد محي الدين البرادعي، مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، ع٥، س٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

ظاهرة التقابل الدلالي في القرآن الكريم(مقال): هوازن عزة إبراهيم، مجلة الأستاذ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ع٢٦، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

ظاهرة التقابل في علم الدلالة(مقال): د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصريّة، ع١٠، ١٩٨٤م.

العلاقة بين الصوت والمدلول(بحث): عبد الكريم مجاهد، كتاب المورد، دراسات في اللغة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.

علم السيمياء في التراث العربي(مقال): د. بلقاسم دقّة، مجلة التراث العربي، دمشق، ع٩١، س٢٣، ٢٠٠٣م.

كتاب الأضداد- أبو محمد عبد الله بن محمد التوزي(بحث): تح: محمد حسين آل ياسين، مجلة المورد، دار الحرية للطباعة، بغداد، مج٨، ع٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(الرسائل والأطاريح الجامعية)

الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس(أطروحة دكتوراه): صباح عباس سالم الخفاجي، جامعة القاهرة، كلية الآداب، القاهرة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

أساليب الطلب في نهج البلاغة(رسالة ماجستير): عدوية عبد الجبار كريم الشرع، كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

البحث الدلالي عند ابن سينا- في ضوء علم اللغة الحديث (اللسانيات)(رسالة ماجستير): مشكور كاظم العوادي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

التقابل الدلالي في القرآن الكريم(رسالة ماجستير): منال صلاح الدين عزيز الصفار، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

الدراسات الصوتية في كتاب(العين)- في ضوء علم اللغة الحديث(رسالة ماجستير): موفق عليوي خضير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب- في ضوء علم اللغة الحديث(أطروحة دكتوراه): تحسين عبد الرضا الوزان، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م.

ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية(رسالة ماجستير): عبد الكريم محمد حافظ العبيدي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية،١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد(أطروحة دكتوراه): هادي عبد علي هويدي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان(رسالة ماجستير): نسرين عبد الله شنوف الزجراوي، جامعة الكوفة، كلية القائد للتربية بنات، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(المحاضرات)

📖 محاضرات الدكتور صباح عباس السالم على طلبة الدراسات العليا، في جامعة بابل- كلية التربية- قسم اللغة العربية(مدونتي) ٢٠٠٤م.

خاتمة...

وقبل أن يُسدل هذا البحث ستاره, ويعيد قلمه إلى دواته, لابدَّ له أن يعرض لبعض ما اسطاع أن يخلص إليه من نتائج:

أ- إن هناك جهداً دلالياً لبلاد ما بين النهرين تمثل في صناعة المعجم, إذ تعبر تلك الصناعة عن رقي لغوي, وخصوصاً عندما يعرف أن معاجم تلك البلاد كانت مزدوجة اللغة(تقابلية).

ب- ليس من العسير الرجوع إلى مباحث اللغة في التراث العربي, واستخلاص منهج منها يصلح لدراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها, بدلاً من الرجوع إلى مباحث الفلسفة والفقه التي تحول اللغوي إلى متفلسف أو متفقه. ولما كان البحث- هنا- في الدلالة فبالإمكان استخلاص علم دلالة لغوي عربياً.

ت- أوحت بعض الأصوات في خطب نهج البلاغة بالمعاني التي دلت عليها بعض المفردات في سياقاتها, وما ذلك الإيحاء إلا نتيجة للخصائص التي انمازت بها تلك الأصوات من حيث الصفات أو المخارج.

ث- أورد الإمام (عليه السلام) في خطبه أنماطاً من الصيغ الصرفية تدل على معانٍ لم تدرج ضمن المعاني التي ضمتها مباحث الدلالة الصرفية قديماً وحديثاً, وفي الوقت نفسه فإن الإمام أورد أيضاً نمطاً آخر من الصيغ لا يصح إدراجها تحت معنى صرفي معين, وإنما هي مطلقة الدلالة صرفياً.

ج- الزمن بُعد آخر من الأبعاد التي تدل عليها بعض التراكيب النحوية, فهو- على أقل تقدير- الظرف الذي يتحقق فيه المعنى الدلالي النحوي, ولم يتحكم الفعل- بماله من دلالة على الزمن- في خطب نهج البلاغة في بعض الأحيان، لم يتحكم بالزمن, وإنما تحكمت القرائن في ذلك الزمن, فصرفت معناه إلى حيث تريد.

ح- لم يأت الاستفهام كله في خطب نهج البلاغة دالاً على معانٍ مجازية, وإنما قد يأتي دالاً على معناه الحقيقي, وذلك في المواضع التي سأل فيها الإمام (عليه السلام) النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو سأل فيها خصومه (الخوارج)، يزاد على ذلك أن هناك معاني مجازية خرجت إليها بعض بُنى الاستفهام في خطب النهج، ولم تذكر تلك المعاني ضمن ما يذكر للاستفهام من معان.

خ- هناك فرق بين تتبع الظاهرتين الدلاليتين (التضاد) و(الترادف) في نص معين, وتتبعهما في نصوص اللغة عامة, إذ إن لكل واحد من التتبعين منهجاً وأدوات, وقد

حاول البحث- ما استطاع- بمنهج دراسة نص (خطب نهج البلاغة) وأدواته أن ينفي ما هو غير موجود من تلكما الظاهرتين في خطب النهج, وأن يثبت ما هو موجود منهما فيها وإن تفاوتت نسبة وجوده في تلك الخطب.

د- إنّ التقابل تعبير عن ثنائية قائم على أساسها الوجود بأكمله, وقد انعكست بعض ملامح تلك الثنائية في خطب نهج البلاغة, فاستثمرها الإمام (عليه السلام) لشغل أحياز لا يملؤها إلا التقابل بين الثنائيات.

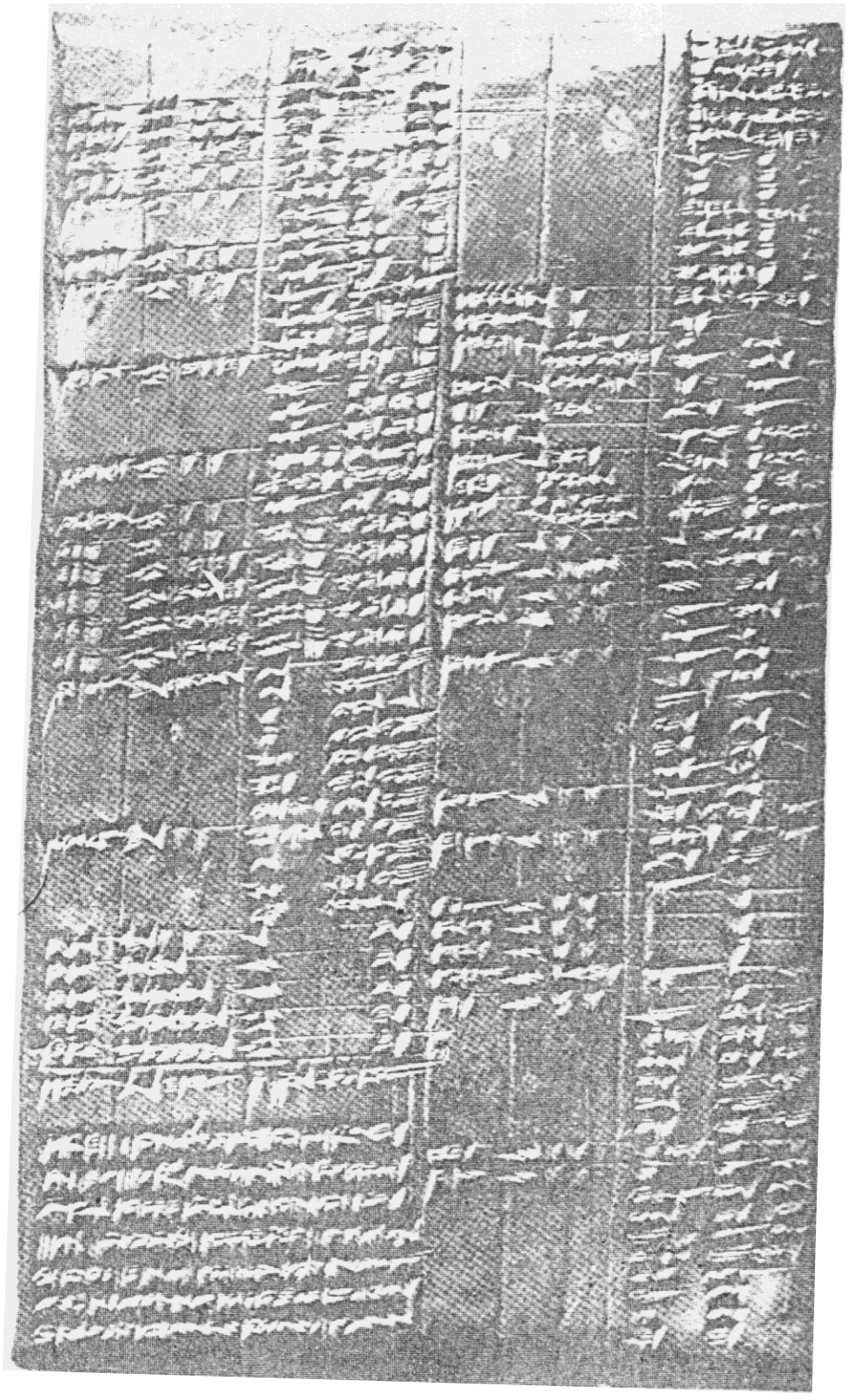

شكل رقم (١)

شكل رقم (٢)